نُشُوءُ اللغةِ العربيَّةِ

ونُمُوّها واكتهالُها

بقلم

الأب أنستاس ماري الكرملي

من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي

يباع في مصر : في مكتبة لويس سركيس في شارع الفجالة ٥٣

وفي العراق : في دير الآباء الكرمليين في بغداد في كنيسة اللاتين

القاهرة في سنة ١٩٣٨

طبع في

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصرى رقم ٦ ، بمصر

نُشُوءُ اللغةِ العربيَّةِ
ونُمُوّهَا واكتِهالُها

بقـــلم

الأب أنستاس مارِيّ الكرملِيّ

من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكيّ

يباع فى مصر : في مكتبة لويس سركيس في شارع الفجالة ٥٣

وفى العراق : في دير الآباء الكرمليين في بغداد في كنيسة اللاتين

القاهرة فى سنة ١٩٣٨

طبع في

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصرى رقم ٦ ، بمصر

كلمة لا بدّ منها

عقدتُ هذا الكتاب على تسعةٍ وثلاثين فصلاً ، وختمتهُ بموجزٍ ، هو بمنزلة خلاصةٍ لهُ . وقد توخّيْتُ ألّا تكون هذهِ الفصول متناسقة في الطول ، ولا في القِصَر ، ليُشعِرَ القارئُ بأنّ ما كان منها قصيراً ، يجد مثل موضوعهِ شيئاً كُثاراً في تصانيف النحاة ، واللغويين الأقدمين على اختلاف عصورهم وطبقاتهم .

وأما الفُصول الطوال ، فهي من وضعي ، فلا يُصيب القارئُ ما يُضارعها في أسفار القابضين على اليراع ، فأشبعتُ البحث قولاً ، وإن لم أقل كل ما كنتُ أودُّ أن أقولهُ ، لأنّ ما تعرضتُ لهُ ، لم يذكرهُ غيري ، أو ربما يستغربهُ المطالع أو يُنكرهُ عليّ .

وقد تعودتُ سماع النقد ، بل أقذع النقد وأقبحهُ حتى مَرَدتُ عليه . فان كان القائل مصيباً في قولهِ ، أو في بعض قولهِ ، أجبتهُ ، وإلا نبذتهُ نبذ النواة ، تاركاً لهُ الدهر ليُؤدِّبَهُ ، فهو أحسن مؤدّب ، لمن يأكل قلبهُ الحسد ، أو الحقد ، أو الضغينة ، أو ما تريد أن تسمِّيَهُ . وكفى .

الأب أنستاس ماري الكرملي
من اعضاء مجمع اللغة العربية الملكي

باسم العظيم

بعد حمد الله تعالى على آلائه وأنواره ، أقول :

١ً. تصدير

هذا بحث لُغَويّ ، جَرَيْتُ فيه على الأُسلُوب الحديث ، تمحيصاً للحقيقة ، ودفاعاً عن اللغة المُضَرِيَّة ، وايضاحاً لما فيها من دقائق الاوضاع ، وخفايا الاسرار ، وغوامض الحروف ، وخصائصها ، وبدائع الصيغ وأوزانها ، وما فيها من مختلفات لُغَى القبائل ، متوقعاً البلوغ به الى الحقّ ، غير مبتغٍ أجراً ولا شكوراً ؛ إنما كل أُمنِيَّتي خدمة العربية ، وحَمْل أبنائها على السير في مثل هذا النهج ، ليعلم غيرهم ان لسان العرب فوق كل لسان ؛ ولا تُدانيها لسان أخرى من السنة العالم جمالاً ، ولا تركيباً ، ولا أصولاً ، ولا . . . ولا . . . ولا . . .

٢ً. نظرة عامة خاطفة ، فى نشوء لغة قحطان

اللغويون على فريقَيْن متعادلين على سُرُر موضونة :

فريق يذهب الى ان الكلم ، وضعت في أول أمرها على هجاء واحد : متحرك فساكن ، محاكاةً لأصوات الطبيعة ، ثم فُئِّمَتْ (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف) ، فتصرَّف المتكلمون بها تصرُّفاً ، يختلف باختلاف البلاد ، والقبائل ، والبيئات ، والأهوية ، فكان لكلّ زيادةٍ ، او حذف ، أو قلب ، او ابدال ، أو صِيغة ، مَعْنَاةٌ أو غايةٌ ، أو فكرة ، دون اختها ، ثم جاء الاستعمال فأقرّها مع الزمن ، على ما أوحته اليهم الطبيعة ، أو ساقهم إليه الاستقراء ، والتتبع

الدقيق . وفي كل ذلك من الاسرار ، والغوامض الآخذة بالألباب . ما تجلَّت لها بعد ذلك تجلّيًا بديعًا ، استقرّت على سُنَن ، واصول ، وأحكام ثابتة لن تتزعزع .

وفريق يقول : ان الكلم وضعت في أول نشوءها على ثلاثة أحرف بهجاء واحد أو بهجاءين . ثم جرى عليها المتكلمون بها ، على حد ما تقدمت الاشارة اليه قُبيل هذا ، فاتسعت لهم الآفاق المتنوّعة ، وظهرت الفروق ، وكثرت اللغات ، واختلفت اللثغات ، إلى آخر ما كان من هذا القبيل ، على السبيل الذي اتضح لك آنفًا.

على اننا اتبعنا الرأي الأول ، منذ أن اولعنا بهذه اللغة المبينة الرائعة ، فأخذنا بنشرهِ وتفصيل دقائقه منذ سنة ١٨٨١ ، وأوضحنا كثيراً من مناحيهِ ، في الصحف والمجلات ، التي كانت تنشر يومئذٍ في الديار العربية اللسان ، ولا ننفك نصرح به إلى يومنا هذا ، دون ما ملل ولا وجل ، نبوح به على رؤوس الملإ ، أو نجهر به في المجالس ، أو ندافع عنهُ في المجامع ، أو ندعمهُ في الاندية ، حتى انه لم يخفَ على أحد ، بل عُرِفْنا بهِ لدى الجميع ، والناس لنا بين مادح وقادح ، وهم كلما زادونا قدحًا ، زدناهم مدحًا ، وازددنا مضيًا في وجهنا ، لا نلوي على غير الرأي المذكور ، بَعْد ان تجلَّت لنا صحتهُ ، وظهرت لنا محاسنهُ واطايبهُ .

٣ً. مصطلحات لغوية لا بُدَّ منها

عرف بعض حُذّاق أبناء يعرب الأقدمين هذا الرأي ومالوا اليه . وممن قال به ، ولم يحد عنه قَيْد شعرة ، الاصبهاني صاحب كتاب غريب القرآن ؛ فانه بنى معجمه الجليل ، على اعتبار المضاعف هجاءً واحداً ، ولم يُبَالِ تكرار حرفهِ الأخير ، فهو عندهُ من وضع الخيال ، لا من وضع العلم ولا التحقيق . أي انه اذا أراد ذكر (مدّ يمُدُّ مَدًّا) مثلاً في سِفرهِ ، ذكرها كأنها مركبة من مادة (مَدْ) أي ميم ودال ساكنة ، ولا يلتفت أبداً الى انها من ثلاثة أحرف أي (م د د) ، كما يفعل سائر اللغويين . ولهذا السبب عينِهِ ، يذكر (مدَّ) قبل (مدح) مثلاً ، ولا يقدم هذه على تلك ، على ما نشاهده في معظم معاجم اللغة ، كالقاموس ، ولسان العرب ، وأساس البلاغة وتاج العروس وغيرها .

والمستشرقون وضعوا معاجمهم مقتفين اثر الاصبهاني ، ولم يبتكروا الطريقة من عندهم ، بخلاف ما يظنه جمهور المتطفلين على اللغة .

ويُسَمَّى الحرفان اللذان ينشأ منهما معنىً ، أو إن شئت فقُلْ - ويسمَّى الهجآء الواحد اذا أفاد معنىً - (مادةَ) ، أو (تركيبًا) ، أو (أصلاً) ، أو (ترجمة) .

ويلازم كلاًّ من هذه الاسمآء الأربعة هذا الاصطلاح ، وان تعدَّد الهجآء ، فكان اثنين أو ثلاثة أو أكثر .

وقد استقلت كل مادة بمعنىً فاشتهرت به ، واذا تقاربت أحرف بمخارجها من أحرف مخارج كلم أخرى ، تدانت أيضًا معانيها بعضها من بعض ، وتلازمت ، وتضامَت، وظهرت القربى بينهما كل الظهور . مثال ذلك :

(لَدَمَهُ) أي ضربه بشيء ثقيل يُسْمع وقعهُ - .

و (لَطَمَهُ) أي ضرب خدَّهُ أو صفحة جسدهِ بالكفِّ مفتوحة ، أو بباطن كفهِ - .

و (لَثَمَهُ) : ضربه واكثر ما يكون اللثم : الطعن في النحر - .

و (لثَمَ أنفهُ) : لكمهُ - .

و (لَحَمَهُ) : أضرَّ به وناله بمكروهٍ - .

و (لَخَمَهُ) : لطمه .

و (لَدَمَهُ) : لَطَمَهَ - .

و (لَكَمَهَ) : ضربه باليد مجموعة الأصابع ، او لكزهُ ، او دفعه - الى آخر تلك الامثال . وكل حروفها متقاربة المخرج ومتقاربة المعنى ، الذي هو (الضَرْب) .

واذا زاد الهجاء حرفًا ، فصار هجاءين ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، سمي ما زاد على أولهِ (تصديراً PRÉFIXE) - وما زاد في قلبهِ : (حشواً INFIXE) - وما زاد في آخره (كاسعًا SUFFIXE) وما زاد في أولهِ أو آخرهِ (مُطَرِّفًا AFFIXE) ، وما زاد في أي موضع كان سُمّي (مُفَنِّمًا PARTICULE AUGMENTATIVE) والمصدر التفنيم . ويقال له أيضًا (الضمّ) و (التوسيع) .

وهناك غير هذه الأسمآء ، لهذه الاوضاع نفسها ، فذكرنا ما اشتهر منها .

ونحن نورد هنا أمثلة على التصدير والحشو والكَسْع .

أ — امثلة التصدير

ثَرَمَ - الثَّرَمَ محركةً. انكسار السنّ من أصلها أو سنّ من الثنايا، والرَّبَاعِيَات. أو خاصّ بالثَّنِيَّةِ. ثَرِمَ كفرحَ فهو أثْرَمُ وهي ثَرْمَاءُ (ق) وفي الثرَم معنى القطع.

جَرَمَ - الجَرْمُ: القطعُ. جَرَمَهُ يَجْرِمُهُ جَرْمًا: قَطَعَهُ (ق).

حَرَمَ - حَرَمَهُ الشيءَ يَحْرِمُهُ وحَرِمَهُ يَحْرَمُهُ حرِيمًا وحِرْمانًا وحِرْمًا وحِرْمَةً وحَرِمًا وحَرِمَةً وحريمة: منعهُ إياهُ. ومنهُ حَرَمَ أسقف النصارى فلانًا: قطعهُ من شركة المؤمنين. والاسم الحِرْم بالكسر. وفيه معنى القطع (محمح)

خَرَمَ - خَرَمَ الخَرَزَةَ يَخْرِمها وخرَّمها فتخرَّمت: فصَمَها. وفلانًا. شقَّ وَتَرَةَ أنفِهِ. وهي ما بين مَنْخِرَيْهِ فخَرِم هو كفرِح أي تخرَّمت وَترتُهُ. والخَرَمَة، محركةً، موضع الخَرْم من الأنف. والخرماء: الأذن المنخرمة (ق) والقطع ظاهر في المادة.

شَرَمَ - الشَرْم: الشقّ، والفِعْل: كضرب وقطع ما بين الأرنبة. ورجل أشْرَمُ بيّن الشَرَم محركةً، أي مشروم الأنف. ومنهُ قيل لأبرَهةَ: «الأشْرَمُ» (ق).

صَرَمَ - يَصرِمُهُ صَرْمًا ويُضَمُّ: قطعهُ بائنًا. وفلانًا: قطع كلامهُ. والنخل والشجر: جَزَّهُ كاصطرمهُ (ق).

عَرَمَ - عَرَم العظم: نزع ما عليه من لحم كتعرَّمهُ (ق)

غَرِمَ - الغَرَام: الهلاك والعذابُ. والغريم: الدائن والمديون، ضدٌّ (ق) ومعنى القطع لا يخفى على أحد.

والأصل في كل ما تقدم: الرمّ يقال: رمَّ الشيء أكلهُ. والرُّمَّة بالضم: قطعة من حبل و بكسر (ق).

ب — امثلة الحشو

رَتَمَ – رتم فلان الشيء . كسرهُ أو دقَّهُ ، أو خاص بكسر الأنف .

رَثَمَ – رثمَ (بثاء مثلثة) أنفهُ أو فاهُ : كسرهُ حتى تقطَّرَ الدم منهُ .

رَجَمَ – رجم فلان فلانًا : قتله ورماهُ بالحجارة . وهذا الأخير هو الأصل في معناه ، وباقي المعاني متفرع منهُ .

رَدَمَ – ردم الباب : سدَّهُ كلهُ أو ثلثهُ .

رَسَمَ – رسمتِ الناقةُ : أثَّرَت في الأرض . ورسم أيضًا : كتب وخط .

رَشَمَ – رشم : كتب وخط .

رَضَمَ – رضم الأرضَ : أثارها لزرع ونحوهِ .

رَطَمَ – رطمَ بسلاحهِ : رمى بهِ .

رَغَمَ – رغمَ فلان فلانًا : كرههُ وقسرهُ وفعل شيئًا على رغمهِ .

رَقَمَ – رقمَ الكتاب : رسم حروفهُ . والرسم لايخلو من ضرب القلم للورق .

رَكَمَ – ركم الشيء : جمعهُ وألقى بعضهُ فوق بعضٍ .

من جمهور اللغويين اصحاب المعاجم المطولة

وفي كل هذه الألفاظ معنى جامع هو الكسر أو الدق أو الضرب . والاصل فيهِ الرم ، كما تقدَّم شرحهُ ، لكن المُفنِّم هنا حرف الوسط أو حرف القلب . فأحدث في محوَّلاتهِ غير ما أحدث في ما صُدِّرَ بأحرفٍ أُخر .

ج — امثلة الكسع او التذييل

نَبَأَ – نبأ الشيء : ارتفع وعلى القوم : طلع عليهم . ومن أرض الى أرض : خرج ونبأ : صات خفيًّا أوهو صوت الكلاب مثل النبح .

نَبَتَ - نبت الزرع : خرج من الأرض . والانسان نما شبابهُ

نبَثَ - البئر : أخرج ترابها ، وعن الأمر والسرّ : بحث عنهُ .

نَبَجَ - نبجت القبجة : خرجت من مكمنها .

نَبَحَ - نبح الكلب والظبي والتيس والحية : أخرج صوتاً .

نَبَخَ - النُّبْخُ : جدري الغنم وغيرهِ وما نفط من اليد عن العمل . ونبخ العجين حمض وفسد فخرج عليه شيء كالرغوة أو كالنفاطات .

نَبَذَ - نبذ الشيء : طرحهُ من يدهِ ، أمامهُ أو وراءهُ ، أو هو عامّ .

نَبَرَ - نبر الشيء : رفعهُ . والمغنّي رفع صوتهُ بعد خفضٍ ، والحرف همزهُ

نبَزَ - نبزهُ أي لمزهُ بمعنى عابهُ وأشار اليهِ بعينهِ ونحوها وضربهُ ودفعهُ .

نَبَسَ - نبس بالمجلس : تكلم أي أخرج كلاماً .

نَبَشَ - نبش الشيء المستوي : أبرزهُ . والكنز عن الأرض كشفهُ عنها وأخرجهُ .

نَبَصَ - نبصَ بمعنى نبسَ . يقال : ما ينبِصُ أي ما يتكلّم . ونبص الطائر والعصفور نبيصاً : صوَّت ضعيفاً . ونَبَصَ الغلام نبيصاً : صوَّت بشفتيهِ اذا أراد تزويج طائر بأنثاهُ .

نَبَضَ - نبض فلان في قوسهِ : أصاتها أو حرَّكَ وترها لترنَّ . ونبض العِرْقُ : تحرَّك .

نَبَطَ - الماء : نبع . ونبط فلان البئر : استخرج ماءها .

نَبَعَ - نبع الماء : خرج من العين

نَبَغَ - نبغ الشيء : خرج وظهر والماء : نبع . وفلان قال الشعر وأجادهُ ولم يكن في إرث الشعر. ونبغ رأسهُ : ثار منهُ النُّباغَة وهي الهِبْرِيَة وهي شيء كالنخالة يتساقط من الرأس .

نَبَقَ - نبقَ الرجل : كتبَ . والشيء : خرج .

نَبَلَ – نبلَ الابل : ساقها سوقاً شديداً . وكذلك اذا قام بمصلحتها .

نَبَكَ – النبْك بالفتح : ما ارتفع من الأرض . والنَّبْك على ما قال ابن شميل : مثل الفَلْكة ، غير أن الفَلْكَة أعلاها مدوَّر مجتمع والنَّبْكة : رأسها محدَّد كأنهُ سنان رُمْح ، وهما مُصْعِدَتان . ومكان نابك : مرتفع .

نَبِهَ – نَبِهَ من نومهِ : قام منه واستيقظ . ونَبَهَ الرّجل نباهةً : شرُف واشتهر فهو نابهٌ ونبيهٌ ونبهٌ .

نَبَا – نبا الشيء : بعد وتأخر ولم يستقم مكانهُ . والسيف عن الضريبة نَبْواً : كلَّ وارتدَّ عنها ولم يمض . والنَّباوَة : ما ارتفع من الأرض .

والأصل في كل ذلك من نَبَّ . يقال : نبَّ التيس خاصةً يَنِبُّ نبّاً وَنَباباً ونَبِيباً : صاح عند الهياج .

وقد اكتفينا من كل زيادة بمادَّةٍ واحدةٍ ، والا فان الكلم الثلاثية كلها لا تخرج عن ان أصلها بُنِيَ على هجاء واحدٍ . ثم تفرعت الفروع بضم الحروف اليها . فجاءت المعاني متعدّدة مختلفة . وقد يكون هذا الاختلاف زهيداً أم غير زهيد بموجب قوة كل حرف ، وما اختصّ به من المعنى .

٤ً . اتفاق وضع أبناءِ العرَب ، مع وضع أبناءِ الغرْب

ولما كان وضع الكلم مبنيًا على محاكاة الطبيعة ، وعلى الهجاء الواحد في أغلب الأحايين ، قد يتفق مصطلح العرب ومصطلح أبناء الغرب ، إذا اتفق الخاطران في توهم صوت الطبيعة ، ولا يكون هذا الأمر الا إذا كان ثمَّ هجاء واحد أو هجاءان إثنان لا أكثر .

فمثال الهجآء الواحد قول العرب (ردَّ) ولا جرم أن أصله (ردْ) بفتح فسكون وهو في اللاتينية REDDERE . ومن المعلوم أن ERE كاسعة تكسع بها كثير من أفعالهم كما قد تكسع بهتين الأخريين : IRE كما في FINIRE أو ARE كما في AMARE . إذن REDDERE ليست إلا (رَدْ) العربية لا غير .

ومثال ماعندهم وعندنا من الأسماء REGIO وفي حالة الاضافة REGIONIS أي الناحية . فقولهم REGIO ينظر الى لفظتنا (رجا) أو (رَجآء) .

على أن فقهآء تلك اللغة يقولون إن REDDERE مشتق عندهم من DO و RE وإن REGIO من REGO ونحن لا نوافقهم كما ترى .

ومن أفعال لغة اليونان : (agô) ἄγω ومعناها عندهم (ساق) فهي العربيـة (حَجَا) بمعنى ساق . ومنه قولهم : حجتِ الريحُ السفينةَ : ساقتها . وقولهم هذا هو من باب التنظير والتمثيل لا من باب التقييد والتخصيص .

ومن الأسمآء قول الهلِّينيين(NANOS) νᾶνος . وقد نقلها الرومان الى لغتهم فقالوا (νᾶνος) بمعنى القزم والرجل الضعيف . وقد حار علماؤهم في تأصيل هذه الكلمة . ومن عادتهم أنهم يجدون مجانساً لكل لفظة يونانية في الهنـدية الفصحى أو في لسان من ألسنة أهل الغرب . وقد أقرَّ فقهاؤهم اللغويون بأنهم لم يجدوا لها مقابلاً في أي لغة من لغى تلك الديار مع ما بذلوا من السعي في هـذا الوجه . أما المضرية فانها تنادي بأنها من أصولها ، أي أنها من (النُّعّ) بفتح فتشديد أو بضم فتشديد . قال في لسان العرب : النُعُّ : (وضبطها ضبط قلم بالضمّ) الضعيف . وفي القاموس : والنَعّ (وضبطها ضبط قلم بالفتح . ويكون كذلك كل مرة لا يصرح بوزن أو بكلام آخر) الرجـل الضعيف . » اه . والذي عندنا أن الفتح هو الأفصح لوجود هذه الكلمة نفسها بالفتح في اللغتين المؤتمتين أي اليونانية واللاتينية ، لكن الصاغاني ومن أخذ أخذهُ نقلوا عن ابن الاعرابي النع : « الضَّعف » كما هو نص العباب والتكملة لا الضعيف لكن رواية المجد وابن مكرم متفقتان على أن النع هو الضعيفُ . وأما اختلاف الضبط فالصواب مع القاموس دون لسان العرب . ولعل ضبط هذا الديوان ناشيء من النساخ لا من المؤلف نفسهِ ، أو لعل الضَّبْطيْن جائزان . ومثل النَعّ : النأنأة والنأناء والنوأنؤ والمنأنأ وكلها تعني العاجز الجبان .

وقد ذكرنا من كل لغةٍ شاهدين من باب الاشارة لا غير ، وإلا فالألفاظ تعدُّ بالمئات وهي مُهَيَّأة في معجمَيْنا : اليوناني العربيّ واللاتيني العربيّ .

٥. ترتيب نشوء المفردات فى اول وضعها

يؤخذ مما بسطناه بين يديك، أن المفردات أول ما نشأ منها، كان موضوعاً على هجاء واحدٍ، محاكاة للطبيعة، أولهُ متحرّك وثانيهِ متحرك. - ثم جاء المضاعف، من ثلاثي ورباعي، فيكون ثلاثياً اذا لم تتخيل الحركة في الشيء، ورباعياً اذا تخيلتها فيهِ. وانما حُرِّك الساكن في آخر الهجاء لحاجة الناطق إلى إسماع الحرف الاخير من الكلمة التي ينطق بها لئلاً يختلط مَخرَج حرفٍ، بمَخْرَج حرف آخر يقاربهُ ويدانيهِ صَوْتاً، ولا يكون ذلك إلا بالشدّ على الحرف الأخير وابرازهِ متحركاً لكي لا يقع أدنى لبس.

ولما كان بعضهم يطيل حركة أول الهجآء، وآخرون يطيلونها في آخرهِ، وكلٌّ يجري على ما يبدو له من توجيهِ فكر السامع إلى لفظهِ، على خلاف من يشدد الحرف الأخير من لفظتهِ، نشأ في وقتٍ واحد الأجوف والناقص. فالذي أراد أن يحاكي حكاية صوت صرَّار الليل، حاكاه بأن قال (صَرْ) ولما حاول أن يثبت لسامعهِ أن الحرف الأخير هو راء قال: (صَرَّ) وشد على الحرف الأخير وهو الرآء، ولما أراد أن يفهم السامع أن الصَرَّار كان يكرّر صوتهُ قال: (صَرْصَرَ) فأسكن الرآء الاولى، على الوضع الاول لحكاية صوت الحشرة، وحرّك الثانية للاشارة الى مواصلتهِ للكلام، أما أنه لو لم يرد مواصلتهُ بل قطعهُ، قال (صَرْصَرْ) لا غير، أي بتحريك الصادين واسكان الراءين.

ولما حاول فريق أن يمدوا صوتهم على أول الهجآء، اضطُرُّوا أن يقولوا (صَارْ) في مكان (صَرْ) ولم يخصوهُ بصرّار الليل بل أطلقوه على كل ذي صوتٍ، وغدا معنى (صار يصور): صَوَّت يصوِّت بمعنى عامّ. والذين لم يمدُّوا اول الهجآء ومَدُّوا آخرهُ قالوا (صَرَى يَصْرِي) وخصوا معناهُ بالقطع، كأن المقطوع يحكي (صَرَى).

وبعد أن عُرِف المضاعف والأجوف والناقص في وقت واحد، نشأ المهموز

وهو أثقل وطأةً على اللســان من سائر الصيغ . فكان مهموز الأوّل ، (أو مَهْموز الفاء) ، ومهموز الثاني ، (او مهموز العين) ، ومهموز الثالث (أو مهموز اللام) .

وفي الآخر ظهر المثال الواوي واليائي .

ونحن في ذكرنا الافعال بهذا الترتيب ، لا نريد أن نقول : إنها حدَثتْ بعد أن مرَّ على الطائفة الواحدة منها عصور طوال أو مُددٌ قصار ، بل نريد أن نشــير إلى أن تلك التحوّلات نشأت شيئًا بعد شيء ، والطائفة الاولى منها ساقت الناطقين، فدفعتهم الى ما بعدها ، من غير أن نُعَيّن زمنًا ، ولا نحدّد وقتًا ، فهذا كلهُ موكول الى الغرائز والبيئات والمتكلّمين بلغة يعرب ، وقحطان ، واسماعيل .

٦ً. اثبات ما تقدم من كلام السَلَف

قال ابن منظور في ترجمة (ه ج ج) : وهَجْ هَجْ ، وهَجٍ هَجٍ ، وهَجَا هَجَا : زجر للكلاب ، وأورد الأزهريُّ هذه الكلمات ، قال : يقال للأسد والذئب وغيرهما في التسكين . قال ابن سِيْدَهْ : وقد يقال : هَجَا هَجَا ، للابل ، قال هِمْيَانُ :

نَسْـمَعُ لِلأَعْبُدِ زَجْراً نافِجَا   من قِيلِهِمْ : أَيَا هَجَا ، أَيَا هَجَا

قال الأزهريّ : وان شئتَ قلتهما مرة واحدة ، وقال الشاعر :

سَفَرَتْ فقلتُ لها : هَجٍ ، فتبرقعَتْ ، فذكرتُ حِين تبرْقعتْ ضَبَّارا

وضَبَّار ، اسم كلب . ورواهُ اللحِيانيّ : هِجِي . الازهري : ويقال في معنى هَجْ هَجْ : جَهْ جَهْ على القلب » اه كلام ابن مكرَّم .

وقال المذكور في تركيب (صرر) : « يقال صَرَّ العُصْفُور يَصِرُّ اذا صاحَ ، وصَرَّ الجُنْدُبُ يَصِرُّ صَرِيراً ، وصرَّ الباب يَصِرُّ ، وكلُّ صوتٍ شِبهُ ذلك فهو صرير : اذا امتدَّ ، فاذا كان فيهِ تخفيف وترجيع في إعادةٍ ، ضوعف ، كقولك صَرْصَرَ الاخطبُ صَرْصَرَةً ، كأنهم قدّروا في صوت الجُنْدُب المدَّ ، وفي صوت

الأخْطَبِ الترجيعَ ، فحكوه على ذلك . وكذلك الصقر والبازي » . وقد نقل الشارح هذا النص ولم يعزُهُ إلى قائلهِ على مألوف عادتهِ .

وفي القاموس : « مَأْمَاتِ الشاةُ والظَبْيَةُ : واصَلَتْ صَوْتَها فقالت : مِئْ مِئْ »

وقال الازهري : « صَهَّ القَوْمَ ، وصَهْصَهَ بهم : زجرهم . وقد قالوا : صَهْصَيْتُ، فأبدلوا الياء من الهآء ، كما قالوا دَهْدَيت في دَهْدَهْتُ . - وصَهْ كلمة زَجْرٍ للسكوت . قال : صَـهْ لا تَـكَلَّمْ لِحَمَّادٍ بِدَاهِيَةٍ ، عَلَيْكَ عَيْنٌ مِن الأَجْذَاعِ والقَصَبِ

وصَهْ ، كلمة بُنِيتْ على السكون ، وهو اسم ، سُمّيَ به الفعل ، ومعناه : اسكُتْ . تقول للرجلِ اذا سَكَّنْتَهُ وأسكَتَّهُ : صَهْ ، فإنْ وصلْتَ ، نَوَّنْتَ فقُلْتَ صَهٍ صَهْ . وكذلك : مَهْ ، فان وصلتَ ، قُلْتَ : مَهٍ مَهْ . وكذلك تقول للشيء اذا رضيتَهُ : بَخَّ وبَخٍ بَخْ . ويقال : صَهٍ ، بالكسر . قال ابن جنّيْ : اما قولهم : صَهٍ ، اذا نوَّنْتَ فكأنك قلتَ : سكوتًا : واذا لم تنوّنْ ، فكأنك قلتَ : السُكُوتَ فصار التنوينُ علمَ التنكير ، وتركُهُ علم التعريف . وانشد الليث :

إذا قال حادِينـا لِتَشْبِيهِ نَبْأَةٍ ﴿ صَهٍ لم يَكُنْ إلاّ دَوِيُّ المَسَامِعِ

قال : وكلُّ شيءٍ من موقوف الزَجْر ، فانّ العرَبَ قد تنوّنهُ مخفوضًا ؛ وما كان غير موقوفٍ ، فعلى حركةِ صرْفهُ في الوجوه كلها . وتُضَاعَفُ صَهْ ، فيقال : صَهْصَهْتُ بالقومِ » اه . وقال المبرَّد : ان وصلتَ فقلتَ : صَهٍ يا رَجُلُ ! بالتنوين ، فانما تريد الفرْقَ بين التعريف والتنكير ، لأن التنوين تنكيرٌ . وقال ابن الاثير : وقد تكرر ذكر صَـهْ في الحديث ، وهي تكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بمعنى اسْكُتْ . قال : وهي من أسمآء الافعال ، وتنوَّن ، ولا تنوَّن ، فهي للتنكير كأنك قلت : اسكت سكوتًا ، واذا لم تُنون ، فللتعريف ، أي اسكت السكوت المعروف منك والله تعالى اعلم . اه .

ويمكننا أن نُطِيلُ النَفَسَ في الاستشهاد ، لكن النتيجة واحدة وكذلك تكون

الفائدة . فلقد ظهر لنا نشوء اول الكلمة وصُوَر انتقالها من حالة الى حالة أخرى، حتى لم يبق لنا شكٌ في هذا التحوُّل العجيب أي انتقال الكلمة المحاكية للصوت إلى المضاعف الثلاثي والرباعي، ومما يؤيد كلام الأقدمين، قول امام اللغويين المتأخرين، الشيخ ابرهيم اليازجي. فقد جاء في مجلة الطبيب (في السنة ١٨٨٤ في ص ١٩٤): «ان الثُنائي موضوع في الأصل على حَرْفَيْن، والتشديد في الثاني طارئٌ من قِبل الصناعة . . . فانك اذا تفقَّدتَ هذه الأفعال في العبرانيـة والسريانية . . . وجدتها فيهما مخففـة ساكنةً الأواخِر، جريًا على الحكاية الاصلية، لأن الذي سمع قرع جسمٍ بآخَرَ مثلاً، سمع شيئًا يُحاكي « دَقْ » بالاسكان، فحكاه بصورتهِ مخفَّفًا؛ ثم لما احتاجوا الى تحريك الثاني في بعض الصُـوَر التصريفية، كرهوا أن يوالوا بين متحركَيْن، لا فاصل بينهما، فوسَّطوا بينهما ساكنًا، إمَّا من جنس ذلك المتحرّك، فقالوا « دَقُّوْ » مثلاً بالتشديد، وهو اختيار العبرانيين، وعليهِ جرت العرب؛ أو حرف مـدٍّ من جنس حركة الأول فقالوا « دَاقُون » أي « دَقُّوا » أيضًا، وهو اختيار السريان » اه .

واليك الآن شاهداً على تولُّد الاجوف والمهموز من المضعَّف. قال ابو الفضـل جمـال الدين في (ذيم): « الذَيْمُ والذَامُ العَيْب. . . وقد ذَامَهُ يَذِيمُهُ ذَيْـمًا وذامًا: عابهُ . وذِمْتهُ أذِيمُهُ، وذَأَمْتهُ، وذَمَمْتُهُ، كلهُ بمعنىً، عن الاخفش، فهو مَذِيم على النقص، ومَذْيُوم على التمام، ومَـذْؤوم اذا هَمَزْتَ، ومَـذْمُوم من المضاعف. وقيل: الذَيْمُ والذَامُ: الذَمُّ . » اه المقصود من ايرادهِ .

وقال ابن الاعرابي: « من العرب، من يقلب أحد الحرفين المُدْغمين ياءً، فيقول في مَرٍّ . مَيْر، وفي زرٍّ . زِير، وهو الدُجة، وفي رِزٍّ . ريز » (راجع لسان العرب في زور)

وقال السيد مرتضى: « كاع عن الشيءِ يَكَاعُ، كخاف يَخَافُ، لغـة في كَعَّ يَكَعُّ، وقال اللغويون: زال عمرهُ مثل زلَّ . والشواهد أكثر من أن تحصى .

فقد رأينا الاجوف والمهموز العين . فأما المهموز الاول، فالامثـلة أيضًا كثيرة ولـكن نجتزيء بشاهدٍ واحد قديم وهو: (ذَنْ) بفتح الذال المعجمة ونون ساكنة

وقد هجرها الادباء وأكثر اللغويين ، لأن من عادتهم الاعتماد على الثلاثي لشيوعهِ في العربية والرواية المشهورة هي همزها ، أي (إِذَنْ) ومن غريب الاتفاق أن (ذَنْ) كالانكليزية THEN مبنىً ومعنى ، وهذا من أغرب ما صادفتهُ في اللغة .

وقد ذكر صاحب اللسان كلاماً طويلاً في مقدّمة ديوانهِ لغات العرب في من يهمز بعض الالفاظ ومن لا يهمزها ، فيحسن بالمتتبع أن ينظر فيها إذا أحبَّ التوسع في هذا البحث فيرى ما يرضيهِ عن ضروب المهموز . ونأخذ عن بعضهم ما جاء بخصوص الهمز ، وننبه القارىء على أن الهمز في أول الكلمة موجود في جميع اللغات، فلا عبرة له هنا . أما مهموز العين واللام فخاصّان بالعربية ، على ان قريش ، وكانت لغتها أفصح اللغات ، ما كانت تهمز (او تنْبِر) لكن سيبويهِ قال : « ليس أحد من العرب إلا ويقول : تنبّأ مُسَيْلِمةُ ، بالهمز ، غير أنهم تركوا الهمز فى « النبيّ » كما تركوه في الذُرّيّة والبَرِيَّة والخابِيَة » ، إلا أهل مكة ، فانهم يهمزون هذه الاحرف ، ولا يهمزون غيرها ، ويخالفون العرب في ذلك . قال : والهمز في النبيّ لغة رديئة ، يعني لقلة استعمالها ، لا لأن القياس يمنع من ذلك . - ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل : يا نَبِيءَ الله ! فقال له ، لا تَنْبِرْ باسمي ، فانما أنا نَبِيُّ الله . - وفي رواية : فقال لستُ بنبيءِ الله ، ولكني نبيُّ الله . وذلك بأنهُ عليهِ السلام أنكر الهمز في اسمهِ ، فردَّه على قائله ، لأنهُ لم يدرِ بما سمّاه ، فأشْفَق أن يُمْسِكَ على ذلك ، وفيهِ شيءٌ يتعلَّقُ بالشَّرْع ، فيكون بالإِمساك عنهُ مُبِيحَ مَحْظُورٍ ، أو حاظِرَ مُباحٍ » اه عن اللسان

وأما في تاج العروس فقد قال : « وفي رواية ، فقال : إنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لا نَنْبِرُ. والنَبْرُ . همز الحَرْف . ولم تكن قريش تهمز في كلامها . ولما حجَّ المهديُّ ، قدَّم الكسائيَّ يُصَلّي بالمدينةِ ، فهَمَزَ ، فأنكر أهل المدينة عليهِ وقالوا تنبِر في مسجد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بالقرآن » (مادة نبر) وكذلك (لسان العرب في المادة المذكورة)

وقريش تعوّض عن الهمز بالتخفيفِ فتجعله بين بين . « في الحديث : انهُ أُتِيَ بأسيرٍ يُرْعَدُ . فقال لقومٍ : اذهبوا بهِ ، فأَدْفُوهُ . فذهبوا بهِ فقتلوهُ . فوداهُ رسولُ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم . أراد : الادفاءَ من الدِّفءِ ، وأن يُدْفأ بثوب ، فحَسِبوه بمعنى القتل في لغة أهل اليمن . وأراد أدْفِئوهُ بالهمز . فخفَّفهُ بحذف الهمزة ، وهو تخفيف شاذّ كقولهم : لاَ هَنَاكَ المَرْتَعُ (بمعنى لا هَنأَكَ المَرْتَعُ) ، وتخفيفهُ القياسيّ أنْ تُجْعَلَ الهمزةُ بينَ بينَ ، لا أن تُحْذَفَ ، فارتكَبَ الشُذوذَ ، لأن الهمزَ ليس من لغة قُرَيْشٍ . فأما القتْل ، فيقال فيهِ : أدْفأْتُ الجريحَ ، ودَافأْتُهُ ، ودَفَوْتهُ ، ودَافيْتهُ ، ودافَفْتهُ : اذا أجهزتَ عليهِ . » انتهى بحرفهِ (عن اللسان في دف أ)

وقد ذكر لك الامام اللغوي دافَّ ، وأدْفأَ ، ودفَا يَدْفُو ، بمعنىً واحد وفيها المضَاعف ، والمهموز ، والناقص ، وان اختلفت أبوابها وصيغها . فهذا كلام واضح على أن جميعها ناشئة من المضاعف الثلاثي .

٧َ . أوائل صيغ الفعل المزيد أو أوائل أوزانهِ

ذكرنا في الفقرة السابقة ، ان المضاعف الرباعي ، هو أول ما نشأ من صيغ الأفعال ، بعد المضاعف الثلاثي . ونشأ في الوقت عَيْنِهِ ، وزن فَعَّل تفعيلاً من المضاعف أيضاً عند قومٍ غير القوم الذي ذهبوا إلى المضاعف الرباعي . ودونك ما قال صاحب لسان العرب في (خ ب ب) :

« أبو عمرٍو : خَبْخَبَ وخَوْخَ : إذا استرخى بطنهُ . وَخَبْخَبَ : إذا غَدَرَ . وتَخَبْخَبَ الحرُّ : سَكَنَ بعضُ فَوْرَتِهِ . وَخَبْخِبُوا عَنْكمْ من الظهيرةِ : أَبْرِدُوا . وأَصْلهُ : خَبِّبُوا ، لأنَّ في الكلمة خاءً ، وهذهِ عِلَّةُ جميع مايشبههُ من الكلمات » اه . على أن هذا رأيٌ . والذي اتضح لنا في ما تقدَّم الاستشهاد بهِ ان المضاعف الرُّباعي ليس شيئًا سوى تكرير حرفي المضاعف الثلاثي في أول وضعهِ ، أي بغير تضعيف

الآخر ، فيكون أصـل فعَّلَ في خبب : خَبْخَبَ ، قفْصِرَ . وهكذا يقال على كل ما يشْبِهُهُ .

وتفعَّلَ تفعُّلاً نتيجة فعَّل تفعيلاً .قال في التهذيب ، ونقلهُ أبوالفضل جمال الدين: « يقال : انقضَّ البازي على الصيد وتقضَّضَ : إذا أسْرَعَ في طيرَانه منْـكَدِرًا على الصَّيد . قال : وربما قالوا تَقَضَّى يَتَقَضَّى . وكان في الأصل تَقَضَّضَ ، ولما اجتمعت ثلاث ضادات ، قُلِبت إحداهُنَّ ياءً ، كما قالوا تمطَّى ، وأصلهُ تمطَّط أي تمدَّد . » اه

وأما بقية الأوزان من المزيد ، فنشأت على تتالي الأزمان . والكلام عليها هنا يطول ، فاجتزأنا هنا بأوائلها التي ذكرناها ، أى فَعْلَلَ المضاعف وفعَّلَ تفعيلاً ، وتفعَّل تفعُّلاً ، وادَّخرنا الكلام على ما بقي منها في كتاب آخر .

٨ً . زيادة الأحرف على الأسماء

زيادة الأحرف على أصول الكلمة الواحدة نشأت بعـد أن تشعَّبت حاجات الانسان ، لأن تلك الحاجَ لم تأتِ سرَاعًا ، ولا عفواً ، ولا فوراً ، بل جاءَتهُ شيئًا بعد شيء ، فزاد الأحرف للدلالةِ على حاجةِ الجـديدة . هذا إذا كانت الزيادة على الأصل ، بلغت ستة أحرف ، أوسبعة في الأكثر . أما إذا طغت على هذا القدر ، أو إذا كانت تلك الأحرف ليست مما زيد على الأصل ، فلا جرم أنها منَ المعرَّب الدخيل على كلام أهل الضاد .

على أنه قد تكون الكلمة الواحدة من بنات الثلاثة والأربعـة ، وهي مع ذلك من الدخيل. فان السيوطي ذكرالفاظًا كثيرة معرَّبة وهي ثلاثية الأحرف،أو رباعيتها، كالكُوب والبيعَة والتنُّور والتنبير والجِرْم والحَصَب إلى غيرها ، قائلاً إنهـا من كلام الأعاجم . بيد أن الحكم يجري على الأكثر والأغلب . وفي كثرة أحرف الكلمة وتعدّيها السَّبْعَةَ ، ما يدل دلالة صريحة على عجمتها .

٩ً . موَسِّعات لغة العرب

مِمَّا وسع كلام الناطقين بالضاد توسيعًا لا يقابلهُ شيء في سائر اللُّغَى المعروفة ، ماوقع فيها من القلب ، والابدال ، والتصحيف ، والتحريف ، وتشابه رسم الحروف ، والتعريب . ونحن نقول كلمة على كل من هذه الدواعي الموسّعات .

١٠ً . القَلْب

المراد بالقلب هنا تقديم بعض أحرف الكلمة على بعضها كقولك : اسْتَدْمَى غريمهُ واسْتَدَامَهُ إذا رَفِقَ بهِ (راجع المزهر طبعة بولاق الأولى ١ : ٢٣١) واعْتَامَ الرَّجل واعْتَمَى : إذا اختار (فيه) ويسمَّى القلب المكاني وهو غيرُ القلب الصَّرْفيّ الذي هو إبدال أحرف العلة والهمزة بعضها من بعضٍ ، وكلاهما غير الإبدال كما سترى.

والمقلوب في كلامهم أكثر من أن يُحْصَى . وكنا قد وضعْنا رسالة كبيرة فيه ففقدناها . فمن هذا الباب ما يأتي وقد ذكرها صاحب المزهر : انتقى فلان الشيء وانتَاقَهُ : من النقاوة

وقاف الأثر وقفَاهُ

وأشَافَ الرجل على الأمر وأشفى : إذا أشرَف عليهِ

وجاءَت الخيل شواعي وشوائع : متفرقة .

وشاكي السلاح وشائك السلاحِ .

وشاهي البَصَرِ وشايهُ البصر : حديدهُ

ورجلٌ هاعٍ لاعٍ وهائع لائع : جزوع .

وجرفٍ هارٍ وهائر

وعاقني عنهُ عائق وعاقٍ .

وفى غير المزهر :

القاءَة والآقة : الطاعة .

وعاث يعيث وعَثَى يعثِي .

وآن يئين وأنى يأني .

وقال الزجَّاج في شرح أدب الكاتب : ذكر بعض أهل اللغة : ان الجاه مقلوب من الوَجْه واستُدِلَّ على ذلك بقولهم : وَجُهَ الرجل فهو وجيه : اذا كان ذا جاهٍ ، ففصلوا بين الجاه والوجْهِ بالقلب .

وفي كتب اللغة : جذب وجبذ .

وفي ديوان الشارح ولسان العرب : « قال الأزهريّ : النون في الشُّكْبان ، نون جمع ، كأنهُ في الأصل: شُبْكَان، فقلبت الشُّكْبَان » .

وقالوا : تَقَرْطَبَ الرجل على قفاه ، وتبرقط : إذا سقط .

والعَوْطَب كالعوبط وهي الداهية . قال ابن دُرَيْد في جمهرتِهِ : كأنهُ مقلوب .

وقالوا : الصُّبْر والبُصْرُ : الجانب .

وربض كرَضَب .

وأَنْبَضَ القوسُ وأَنْضَبَ .

وما أطيبهُ وما أيطَبَهُ .

وجارية بُقَعَة وقُبَعَة وهي التي تُظهر وجهها ثم تخفيه .

وغلامٌ مُبْعَنْقٍ وَمُعبنقٍ : سَيّءُ الخلق .

وفي اللسان : عُقاب عَقَنْبَاة ، وَعَبَنْقَاة ، وقَعَنْبَاةٌ ، وَبَعَنْقَاة : حديدة المخالب . وقيل : هي السريعة الخطف المُنْكَرَة . وقال ابن الاعرابي: كل ذلك على المبالغة ، كما قالوا – أَسَدٌ أسِد ، وكَلْب كَلِب ، واُعْبَنْقَى واُبْعَنْقَى : إذا ساَء خُلُقُهُ » اه .

وقالوا : عجوز شَهْبَرَة وشَرْهَبَة : مُسِنَّة .

والصُّعْبُور والصُّعْرُوب : الصغير الرأس من الناس وغيرهم .

وقال الشارح في مادة (ح و ج) : والمقلوب في كلام العرب كثير .

ومن القلب عندهم ، القلب الذي لا يستحيل بالانعكاس مثل : فَحَّتِ الحية وحَفَّت . إلا أن بعض المتقعّرين منهم قالوا : الحفيف من جلدها ، والفحيح من فيها . وقالوا : ماء عُقّ ، وماء قُعّ ، وهو المُرّ . والكِنْع : العِنْك ، وهو الأصل وسُدْفَة من

الليل ، من أوله إلى ثلثه ، أو قطعة منهُ مظلمة ، أو الثُّلُثُ الباقي . وهناك مثل الآء والبَاب والسَلِس والدَدَد .

ومثل القلب الذي لا يستحيل بالانعكاس ، لا يُرى إلا في لغتنا . وأما مثل القلب المألوف ، فيرى منهُ في الألسنة القديمة فقط ، كالعِبْرِية ، والإرَمية ، واليونانيَّة ، واللاتينية ، لكنهُ ليس بفاشٍ فيها فُشُوَّهَا في لغة مُضَر .

١١ً . الإبدال

المراد بالإبدال هنا : إقامة حرفٍ مكان حرفٍ آخر ، قد يقاربهُ مخرجاً وربما لا يقاربهُ ، أو يكون بقلب الحَرْف نفسهِ لفظاً آخر على معنى إحالتهِ إليهِ . وقد قالوا : ان حروف البدَل في الادغام أربعة عشر يجمعها قولك : « بجدّ صَرْفُ شَكِسٍ ، أَمِنَ طَيَّ ثَوْبِ عِزَّتهِ » ومجموعها اثنان وعشرون حرفاً . وقد وجدنا نحن أن الابدال قد يتسع في جميع حروف الهجاء بلا شاذٍ . وقد وضعنا كتاباً فيهِ ، وهو الآن بيدنا وهو غير مطبوع سميناهُ « جمهرة اللغات » .

« ومُثُلُ ذلك : الوأْلُ والوَعْل والوَغْل : المَوْئِل (التاج في وأل) .

القَرَا : القرَع : الذي يؤكل . عن ابن الاعرابي ، كأنَّ عينهُ مبدلة من الألف ، (عنهُ في قرو) .

أَوَّقَهُ فتأَوَّق بمعنى عَوَّقَه فتعوَّق أي أَخَّرَهُ فتأَخَّر (جمهور اللغويين) .

غمَا في أمَا (القاموس وشرحهُ ولسان العرب وسائر متون اللغة) .

مآءَ السِنَّور ومَاغَ ، أي صَاح (جماعة اللغويين) .

المأْصُ والمعَصُ والمَغَصُ : بِيضُ الإِبِل وكِرَامُها (لسان العرب وتاج العروس) .

رَمِهَ الحَرُّ وزَمِهَ : اشتدَّ . والدَمَه والذَمَهُ والزَمَهُ : شدة الحرِّ (اللغويون) .

سَيْلٌ رَاعِبٌ بالراء وسيل زاغِب بالزاي : يملأُ الوادي (في الغريب المصنف) .

ريحٌ نيْرَجٌ : عاصف بالرآء . وريحٌ نَيْزَج بالزاي عن ابن خالويهِ .

هَرَأَهُ البَرْدُهَرْءًا وأَهْرَأَهُ : بلغ منهُ . ولغــة فيهما بالزاي (عن كتاب الأفعال لابن القوطيَّة) .

يقال سمِعْتُ رَزَّةَ القَوْم ، اذا سمعت أصْوَاتهم ، بتقديم الراء على الزاي . وسمعت زَرَّة القوْم ، مثلهُ ، بتقديم الزاي على الرَاء . (عن الجمهرة لابن دريد) . فأنت في الخِيار أن تعتبره من بابِ القلب أو من باب الإبدال . والبُصَرَاء مختلفون فيه .

رَفَّ الطـائرُ يَرِفُّ رَفًّا ورفِيفًا ، وزَفَّ الطائر يزِفُّ زفًّا وزَفيفًا : إذا بَسَـطَ جَناحَيْهِ (جماعة أكابر اللغويين) .

الأَفْزُ والقَفْزُ والأَفْرُ : الوَثْبُ (عن أبي عمرٍو) .

تَزَعْزَعَتِ السِنُّ وتزعزت السِنُّ بمعنى واحدٍ (السيد الزبيديّ)

شَغْرَبَهُ وشَغزَبَهُ . والشَغْرَبِيَّة : كالشَغْزَبِيَّة وهي اعتقال المصـارع رِجْلَهُ بِرِجْلِ آخر وصَرْعُهُ إياهُ . (المجْد) .

تَيْسٌ مُشَغْنَبٌ ، وتكسر نونهُ : مُشَغْنِبٌ . وهو التيس الذي يستقيمُ قَرْنُهُ ثمَّ يلتوي على رأسهِ قِبَلَ أُذُنِهِ (جماعة المحققين من أصحاب اللغة) .

جارَ عن الحقّ وجَاضَ عنهُ : عدل عنهُ (لسان العرب والقاموس والتاج) .

طَوَى الثَوْبَ على عُرُوضِهِ وعلى غُرُورِهِ بمعنى واحدٍ والغرور جمع غَرٍّ وهو كل كَسْرٍ مُتَثَنٍّ في ثوبٍ أو جلدٍ . تقول طويتُ الثوب على غَرِّهِ أي كَسْرِهِ الأوَّلِ (ق) .

مِشْية سُرُح مثل مشية سُجُح أي سهلة (كتب اللغة) .

ونحن لا نريد أن نمضي في وجهنا قُدُمًا ، لاتساع أفق البحث بين يدينا كلما أوغلنا فيهِ .

١٢ . اجتماع القلب والابدال فى الكلمة الواحدة ، او اجتماع قلبين فيها او ابدالين فيها

قد يجتمع القلب والابدال معًا في الكلمة الواحدة ، إذ لا مانع يمنع هذا الأمر .

فقد قالوا مثلاً : أخَذَهُ بِزَأْمَجِهِ وَزَأْبَجِهِ وزَأْبَرِهِ ، مهموزاتٍ أي أخذهُ كلهُ ، ولم يدَعْ منهُ شيئًا (راجع الشارح واللسان في زَمجَ) .

وقالوا : سَمَا الشيء وسَمَقَ وشَمَخَ (كتب اللغة) .

الحَفْث والفَحِثُ والحِتْف والحَضْف والخَضْف والحَضْب وكلها بمعنى الحيَّة ، أو ضرب منها . وقد ذكرها جميع أصحاب المعاجم .

هذا عَلُوج صِدْق وأُلُوكُ صِدْق (اللغويون) .

القَعْسَرُ والقَشْعَرُ : الغوْفَر أي صغار البطيخ (القاموس) .

بَنُو تيم الله بن ثَعْلَبَة يقولون . رَعَنَّك ، يريدون لَعَلَّك . ومن العَرَب من يقول: رَغَنَّك ولَعَنَّك بالغين المعجمة (اللسان في عنن) .

قال أبو منصور : رأيتُ البحرانيين يقولون : سِبِت ، بالسين والتاء في [شِبِث] وأصلها شِوِذ [وقال في مكان آخر : شِوِد بالدال المهملة] (اللسان في شبث) .

القَنْطِرِيس : الناقة الشديدة الضخمة كالخَنْدَلِيس (القاموس) .

البَلْعَس والدَلْعَس والدلعك : الضخمة من النوق (المجد) .

إنْهفَت الشيء وانْخَفَضَ بمعنى واحدٍ .

سَأَتهُ وسَحَطهُ وشَحَطَهُ أي ذبحهُ أو خنقهُ .

الوَجْبَة والبَزْمَة والأَزْمَة والرزْمَة والوَجْمَة والوزْمَة وهي الأكلة الواحدة في اليوم .

وأمثال ذلك لا تحصى ، ولا تستقصى ، وقد تختفي على القارىء في أول الأمر ، لكنها لا تختفي على المتأمل المتدبّر .

١٣ً. التصحيف

المراد بالتصحيف هنا مصدر صَحَّف ، وهو أن يُخطيء القاريء في قراءة الكلمة وروايتها ، لاتفاق في صورةِ أحرُف الكلمتين ، واختلاف في النقط ، أما الحركات فقد تختلف ، وربما لا تختلف . وقد وقع هذا الأمر منذ القديم في هذه اللغة المبينة حتى ان أبا عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني المتوفى سنة ٣٦٧ وضع تأليفاً بديعاً سماهُ : (التنبيه على حدوث التصحيف) وقد نبَّهَ فيهِ على التصحيف الذي وقع في مُتُون الاحاديث النبوية ، وكلمات العرَب البلغاء ، كالامام علي بن أبي طالب ، وفي الأشعار القديمة والامثال السائرة .

أما أمثال التصحيف ، فأ كثر من أن تحصى ونحن نذكر لك طرفاً منها :

قال أبو الفضل جمال الدين في مادة (ق ب ع) : « وفي حديث الاذان : انهُ أهتمَّ للصلاة كيف يَجْمَع لها الناس . فذُكِر لهُ (القُبْع) فلم يعجبهُ ذلك ، يعني البوق . رُوِيت هذه اللفظة بالباء [أي القُبْع] ، والتاء [أي القُتْع] والثاء [أي القُثْع] والنون [أي القُنْع] . وأشهرها وأكثرها النون . ثم قال في مادة (ق ث ع) ، بعد أن أورد هذا النصّ أيضاً : « قال الخطابي : سمعتُ أبا عُمَر الزاهد يقول : بالثاء المثلثة ، ولم أسمعهُ من غيرهِ . » اه

وقال أيضاً في ترجمة (ق ت ع) بعد إيراد النصّ المذكور « ومدار هذا الحرف على هُشَيْمٍ ، وكان كثير اللحن والتحريف على جلال محله في الحديث » اه

والأصل عندنا هو القُنْع ، بقاف مضمومة فنون ساكنة يليها عين في الآخر . وهي تنظر الى اليونانيَّة (ὁ Κόγχος, ου) CONKHOS أي قُنْع أو شُبُّور أو بوق أو كل ما يشبه البوق من المحار والأدوات . والحرف اليوناني KH كثيراً ما يقابلهُ العين في لغتنا .

وقالوا : الجِنْس ، والقِنْس ، والقِبْس ، والكِبْس ، والقِنْص ، والكِرْس ، والجِرْس ، والجِنْث ، والكِنْع ، والقِنْع ، والعَنْك ، والكِنْسِح ، والكِنْسِيح ، والبِنْج ، والسِنْخ ،

والخِنج، إلى غيرها ونظن أن الأصل هو الجنس وهو ينظر إلى اليونانية γένος أو اللاتينية GENUS .

ومن المصحَّف الُغشون والُغنون والُغْدُود ، وهو الخيشوم .

وقالوا : الحَوْف (على ما في القاموس وتاج العروس والاوقيانوس) : القَرْيَة بالياءِ المثناة التحتيَّة بعد الرَّاء، وأيضاً القِرْبَة بباء موحدة . ومثل ذلك وقع لهم في شرح القَسَّة فقالوا معناها القَرْية والقِربة .

ونظن أن المعنى الصحيح الاول للحَوْف هو القِرْبة بالباءِ الموحدة لأن الكلمة مشتقة من مادة تدل على جِلْدٍ ، وقِدٍّ ، والقِرْبة تكون من تلك المادة نفسها.

وأما القسَّة فأوَّل ما كان معناها القرية بالياء المثناة لأن في معنى هذهِ المادة ما يدل على الابل ، والابل لا تكون في أغلب الاحيان إلا في القرى . قال اللغويون قسَّ الابل قسًّا : أحسن رعيها وساقها . وقسَّت الناقة . رعت وحدها . والقَسُّ صاحب الابل الذي لا يفارقها . فيرجح أن يكون معنى القَسَّة القَرْية . وفي ما بقي من هذه المادة ما يؤيد هذا المعنى . فلتراجع .

وقالوا : أمرٌ مُدَغْمَس ومُدَغْمَس ومُدَخْمَس ومُدَهْمَس ومُتَهَمَّس أي مستور . ولا جرم أن الأصل هو من مادة (د م س) من دَمَس الظلام دُمُوساً : اشتدَّ ، ودَمَس الاهاب غطَّاه ليُمَرِّطَ شعرهُ . والدُمْس من الأمور : العظام ، والدَمَس أي ما غُطِّيَ . يقال شيء دَمَسٌ أي مُغَطًّى. ثم زادوا المادة هاءً في الوسط ليدُلُّوا بها على اشتداد الأمر وهي تزاد كذلك للتعظيم على ما ورد مثلهُ كثيراً في اللغة . وأما سائر الأحرف فمبدلات منها . والتصحيف في العربية شيء كُثار لا يقدَّر .

١٤ً . الاحتِبَـاء في التَّصْحيف أو الاحتباءِ .

يقـال : احتبى فلان في تصحيف الكلمة : اذا قرأ الكلمة ناقلاً نقطة حرف ، أو نقطتي حرف ، إلى حرف آخر . وقد أحدث هذا الاحتباء أوهامًا وأغلاطًا شنيعة . وربما لم يحدث أدنى ضرر . فمثال الضرر ما جآء في أصل هذا المثل وهو : « أجهـل

خاصي المخنَّثين » فقد قيل ان جماعة من المُخَنَّثين ، كانوا في المدينة ، في خلافة سليمان ابن عبد الملك الامويّ ، فأراد أن ينفيهم منهـا ، وكان عاملهُ فيها أبا بكر عُمَرَ بن حزم . فكتب اليهِ يقول : أَحْصِ من عندك من المخنَّثين . واتفق أن نقطة من السطر الأعلى وقعت فوق الحآء فصارت خآء ، فخصاهم .

وقد يسبب هذا التصحيف كلماً جديدةً من غير أن يُحدث فيها معـاني حديثة فقد قالوا مثلاً : العَـتْرَب والعَـنْزَب والعَـيْزَب وهو السماق (راجع اللسان والتاج)

الحال والخال والجال بمعنى الراية (اللسان والتاج في حول وفي مادة كل لفظة)

الفُرْزُوم والقُرْزُوم : خشبة مدوَّرة يحذو عليها الحذَّاء ونوع من الثياب يقال له المِرْط أو المِئْزر .

القِلِزُّ والقُلُزُّ كالفلِزّ والفُلُزّ : النحاس الذي لا يعمل فيهِ الحديد والرجل الشديد.

النخاريب والتخاريب : خروق كبيوت الزنابير والثُقَب التي يمجّ النحل العسل فيها .

وفي الحديث : « ان اخنع الاسمآء عند الله ، ملك الاملاك . » ويروى : انخَعَ الاسمآءِ وأَنجعَ وأنْخَى . (راجع النهاية لابن الاثير وتاج العروس) .

الخُضْب (بالضمّ ، حيَّة بَيْضآء جبليـة) قال الازهري : وهذا تصحيف ، وصوابهُ الحِضْب ، بالحآء والضاد المعجمة . يُقـال : هو حُضْبُ الاحْضَاب . . . قال : وهذهِ الحروف وما شاكلها ، أُرَاها منقولة من صُحُف سقيمة الى كتاب اللَيْث وزيدت فيهِ سهواً . ومن نَقَلها لم يعرف العربية فَصَحَّف وغَيَّر فأكثر (لسان العرب والتاج) .

وقال الشارح في مادة (ق ص ر) : « رُوي عن عليّ ، رضي الله عنهُ : انهُ كتب الى معاوية : غَرَّكَ عِزُّك ، فَصَـار قُصَارُ ذلِكَ ، ذلَّكَ ؛ فاخْشَ فَاحِشَ فعلِكَ ، فَعلَّكَ تَهْدَا بِهذَا » – وهي رسالة تصحيفية غريبة في بابها . » انتهى .

وقال المذكور في مادة (ع ز ر) : « ابو بكر ، محمد بن عُزَيْز السِجِسْتَانِيُّ ، مؤلّف (غريب القرآن) ، والبَغَادَّةُ (أي البغداديون) يقولون بالرآءِ (أي عُزَيْر)... وإليهِ ذهب الصَلَاحُ الصَفَدِيّ في (الوافي بالوَفَيات) ، وهو تصحيف ، وبعضهم صَنَّفَ فيهِ ، وجمع كلام الناس ، ورَجَّحَ انهُ بالرآءِ . وقد ضرب فى حديدٍ بارد ؛ لأنَّ جميع ما احتجَّ بهِ فيها ، راجع الى الكتابة لا إلى الضبط من قبل الحروف ، بل هو من قِبَل الناظرين في تلك الكتابات ، وليس في مجموعةٍ ما يفيد العلم بأنَّ آخرهُ رآء ، بل الاحتمال يطرق هذهِ المواضع التي احتجَّ بها ، إذ الكاتب قد يذهل عن نَقْطِ الزاي ، فتصير رآءً ! ثم ما المانع أن يكون فوقها نقطةٌ ، فجعلها بعض من لا يُمَيِّز علامة الاهمال » ا ه بحروفهِ .

قال صاحب هذا الكتاب : « ان سبب ذهاب البغادَّة إلى ان المسمَّى هو (عُزَيْر) براءٍ في الآخر لا (عُزَيز) بزايَيْن ، شُيوعُ الاولى دون الثانية . ولم تشع الأولى إلاَّ لأن العراقيين جميعاً لا يسمعون طول حياتهم إلا بـ (العزَيْر) مُصغراً ومعرفاً بال وبراءٍ في الآخر ، لوجود قبرِ نبيّ في العراق بالاسم المذكور . هذا فضلاً عن أن (عُزَيْراً) ورد في القرآن ، فشاعت اللفظة عند الادباء والعلماء والمتديّنين فملأت الاسماع ، والعوام تتبع ما يفشو بينهم من الكلام ، لا ما يتطلّب تحقيقاً له ، أو تدقيقاً فيهِ .

واليهود والنصارى يسمون (عُزَيراً) : عِزْره ، أو عِزْرا الكاتب .

وجاء في الاوقيانوس ، ونقله صاحب محيط المحيط ولم يُشر إلى مصدرهِ : « في الحديث : فأُتي بثلاثة أقرِصة على بَتِيٍّ أي منديل من صوفٍ ونحوهِ ، قيل : والصواب : بُنِيٍّ أي طبق ، أو نَبِيٍّ أي مائدةٍ من خُوصٍ » ا ه .

وقال ابن مكرَّم في لسانهِ في تركيب (ب ش ق) : « في حديث الاستسقاء : بَشِقَ المسافرُ ومُنِع الطَريقُ . قال البُخَاريّ : أي انسدّ . وقال ابن دُرَيْد : بَشِق ، أي أسْرَع ، مثلُ بَشِكَ . وقيل : معناه تأخَّر . وقيل : حُبِس . وقيل : مَلَّ . وقيل :

ضَعُفَ . وقال الخطابيُّ : بَشِقَ ، ليس بشيء ، وانما هو لَثِقَ من اللَّثَقِ ، وهو الوَحْل. وكذا هو في رواية عائشة ، رضي الله عنهـا . قال : ويُحتَمَل أن يكون مَشِقَ ، أي صار مَزِلَّةً وزلقاً . والميمُ والباءُ تتقاربان . وقال غيرهُ : انما هو بالبـاء ، من بَشَقْتُ الثوب ونَشَكْتُهُ : اذا قطعتَهُ في خِفَّةٍ ، أي قُطِعَ المُسَافِر . وجائزٌ أن يكون بالنون، من قولهم : نَشِقَ الظَّبْي في الحِبَالَةِ : اذا عَلِقَ فيها . ورجُلٌ بَشِقٌ : اذا كان يدخل في أمورٍ لا يكاد يَخْلُصُ منها » اه بنصِهِ وفَصِّهِ .

وفسَّر اللغويون الأَحبش بقولهم : الشديد الحـادّ من الاصوات . والصواب الأَجَشّ .

وجاء في (كتاب لَيْس) لابن خالويهِ : « الظَرَوْرَى ، كشَرَوْرَى : الرجل الكيّس، العاقل ، الظريف . واختلف في البصرة في مجلس اليزيدي نديمـانِ له نَحْويَّانِ في الظرَوْرَى . فقـال احدهما : هو « الكَيّس » . وقال الآخر : هو « الكَبْش » . فكتبوا الى أبي عُمَرَ الزاهد يسألونهُ عن ذلك . فقـال ابو عُمَرَ : من قال إن الظَرَوَرَى الكَبْش فهو تَيْسٌ ؛ انما هو الكَيّس . ونقل هذهِ الحكاية صاحب تاج العروس في مادة (ظ ر ر) .

وجاء في القاموس : الفَنَاة : البقَرَة . وفي محيط المحيط للمعلم بطرس البستـاني : البعرة في (ف ن و) وهنا انقلبت البَقَرَةُ بَعْرَةً ، فيا لسوءِ حَظّها ، لكن أي انقلاب!

وقال الشرتوني في أقرب الموارد : « وذكر بعض اللغويين أنها البَقَّة وهو غير صحيح أيضاً » اه

وفي البستان للشيخ عبد الله البستاني : الفناة : البقرة . فانظر وتأمل !

وقال الزبيديّ في ترجمة (خ ش ف) : المَخْشَف كَمَقْعَدٍ : اليَخـدان ، عن اللَيْث . قال الصاغاني : ومعناه : مَوْضِع الجَمَد. قلتُ : واليَخْ بالفارسية : الجمـد . (وفي الاصل المطبوع : الجمدان ، وهو خطأ من الناظر في نشرهِ)، ودان : موضعهُ.

هذا هو الصَوَاب . وقد غلِط صاحب اللسان لما رأى لفظ اليَخْدان في (العين) ، ولم يفهم معناه ، فصحَّفهُ ، وقال : هو النَجْرَان ، وزاد : الذي يجري عليهِ البـاب ، ولا إخالهُ إلا مُقلِّداً للازهريّ . والصواب ما ذكرناه . » اه

وقال في (ط و س) : « الطُوس ، بالضمّ : دوام الشَيْء . وهكذا في سـائرِ النُسَخ . وفي بعضها : دوامُ المَشْيِ . وهو غلط فاحِش ، لا أدري كيف ارتكبهُ المُصَنِّف مع جلالة قدرهِ . ولعله من تحريف النُسَّاخ . والصواب : « دَوَاءُ المَشِيّ »، كما هو مضبوط بخطِّ ابي السَنَاءِ الارمويّ في نسخة التهذيب . ونسبهُ الصاغاني الى ابن الاعرابي ، إلا انهُ ضبط المشي ، بفتح فسكون . وهو بكسر الشين وتشديد الياءِ ، كما ضبطهُ الارمويّ . ومعناه : دَوَاءٌ يُمَشِّي البطن وهو الإِذْرِيطُوس . . . فاقتصر على بعض حروف الكلمة . وفي الأساس : شرب فلان الطوس أي الاذريطوس » اه المقصود من إيرادِهِ .

وفي محيط المحيط : « والطُوسُ : دوام الشيء ، ودواء يشرب للحِفْظِ وهي عبارة القاموس بِحُروفها .

وهذا البَحْث طويل المدى ، عَريض المنكب ، حتى اننا لنستطيع أن نضع كتاباً ضخماً فيهِ ، ونقر بعد اتمامهِ باننا لم نبلغْ منهُ إلا طرفاً ليس إلا . ومثل هـذه التصحيفات المجتبى فيها زادت في العربية منذ أن وضع المحدثون معاجمهم أي منذ نحو مائتي سنة وفيها من المضحكات المبكيات ما يُطْرِب ويذرف الدموع معاً !

١٥ . التصحيف الناشىء من تشابه رَسم الحروف

ذكرنا في الفقرتين الـ ١٣ و الـ ١٤ بعض ألفاظٍ من هذا القبيل . والآن نذكر لك شواهد أُخر تقع تحت هذا العنوان . وأول كل شيء نبتدئ بكلام البيرونيّ في ما يتعلق بهذا الموضوع :

قال في مقدمة كتابهِ (الصَيْدَنَة) : « ولكن للكتابة العربية آفة عظيمـة ، هي تشابه صور الحروف المزدوجة فيها ، واضطرارها في التمايُز إلى نُقَط العَجْمِ ، وعلامات الاعراب ، التي اذا تُرِكت ، استبهم المفهومُ منها . واذا انضاف اليهِ اغفالُ المُعارضة ، و إهمال التصحيح بالمقابلة ، وذلك الفِعل من عامّ قومِنا ، يُساوى بهِ وجودُ الكِتاب وعدمهُ ، بل عِلْمُ ما فيهِ وجَهْلُهُ . ولولا هذه الآفة ، لكفى ما في كتاب ديسقوريدس، وجالينوس ، و بولس ، وأُرِبَا سِيُوس ، المنقولة إلى العرَبي من الاسامي اليونانية ، إلا أنَّا لا نثق بها . . . » اه المقصود من ايرادهِ .

ومشابهة الحروف بعضها لبعضٍ ، أوقع أعظم العلمآء واللُغَويين في مجادلات طويلة ، أضاعت من السَلَف كثيراً من أوقاتهم وعلومهم وأعمارهم والايغال في ضروب العرفان المفيدة . وقد أشرنا إلى هذا الامر في ما مرَّ بنا من الكلام . والآن نذكر لك غير ما تقدَّم شرحُهُ .

قال ابو الفضل الخزرجي في تركيب (ي و ح) : « ابن سِيدَهْ : يُوح : الشَمْس، عن كراع . لا يدخلهُ الصرف ، ولا الالف واللام : والذي حكاه يعقوب بُوح (بالبَاء الموحَّدة التحتيَّة) . قال ابن بَرّي : لم يذكر الجوهري في فصل اليآء شيئاً . وقد جآء منهُ قولهم : يُوح (بياء مثناة تحتيـة) : اسم للشمس . قال : وكان ابن الانباريّ يقول : هو بُوح بالبآء (الموحَّدة التحتية) ، وهو تصحيف . وذكره ابوعليٍّ الفارسيُّ في الحلبيَّات عن المبرَّد (يوح) بالياء المعجمـة باثنتين (من تحت) . وكذلك ذكره ابو العلآء بن سُلَيْمَانَ في شعرهِ فقال :

(وَيُوشَعُ رَدَّ يُوحَي بَعْضَ يَوْمٍ) ، وأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ ردَدْتَ يُوحَا

قال : ولما دخل بَغْدادَ ، اعتُرِض عليهِ في هذا البَيْتِ ، فقيل له . صَحَّفْتَهُ ؛ انما هو بوح ، (بالباء الموحدة التحتية) ، واحتجُّوا عليهِ بما ذكره ابنُ السِكّيت في ألفاظهِ. فقال لهم : هذه النُسَخُ التي بأيديكم ، غيَّرها شيُوخُكم ؛ ولكنْ أخرِجوا النُّسَخَ العتيقة؛

فأخرجوا النسخ العتيقة ، فوجدوها كما ذكره أبو العلاء . وقال ابن خالويه : هو يُوح ، بالياء المعجمة باثنتين (من تحت) ، وصحَّفهُ ابن الانباري ، فقال : بُوح ، بالباء المعجمة بواحدةٍ . وجرى بين ابنِ الأنباريّ وبين ابي عُمرَ الزاهدِ كلُّ شيءٍ ، حتَّى قالت الشعراء فيهما . ثم أخرجنا (كتاب الشَّمْس والقَمَر) لابي حاتمٍ السِجِسْتَانيّ ، فاذا هو يُوح ، بالياء المعجمة باثنتَيْن (من تحت) . واما البُوح ، فهو النفس لا غير .

وفي حديث الحسن بن عليٍّ عليهما السلام : هل طَلَعَتْ يوحِ (بكسر الحاء) يَعْني الشمس . وهو من أسمائها كَبَراحِ ، وهُما مبنيَّانِ على الكسر . قال ابن الأثير : وقد يُقَال فيهِ يُوحَى ، على مثال فُعْلَى . وقد يقال بالياء الموحَّدة لظهورها من قولهم : بَاحَ بالأمر يَبُوحُ » اه نقلهُ بحرفهِ . ومثل هذا القول ورد في ديوان الشارح .

قال صاحب هذهِ الكلمة ومؤلفُها : الذي عندنا أن الصواب هو يَرَح ، بياءٍ مثناةٍ تحتيّة مفتوحة ، يليها راء مفتوحة ، وفي الآخر حاء مهملة ، وهي الشمس بلغة أهل تَدْمُر ، وكانت لغتهم تُشْبِهُ العربية كثيراً ، والكلمة نفسها تعني القَمَر بلغة الأشوريين . وقد تمدّ فيقال : يَرَاح كسَحَاب وصُحّفت بَرَاح بباء موحدة تحتيَّة .

وفي اللغة الإِرَمِية : يَرَحْ ويَرْحَا الشهر أو التاريخ و (يَرْحُوثَا) مُدَّة الشَهْر . فيحتمل معناهُ الاصلي : الشمس والقمر ، لأن منهم من كان يؤرخ الحوادث باعتمادهِ على دوران الشمس كالمجوس ، ومنهم من كان يؤرخ باعتمادهِ على القمر كاليهود .

ومن هذا القبيل : الرَبْرَق ، والرَيْرَق ولَرَيْزَق وهو عِنَب الثَعْلَب .

وجاء عندهم العَبَقْس والعَبقَص ، والعَنْقَص ، والعُبْقُوس والعُبقُوص والعُنْقُوص ، والعَفَنْقَص والعَقَنْفَص ، والعفَنْقَصَة والعَقَنْفَصَة . والاصل عَنفَس أو عُنفُوس ، وهو من اليونانية (EMPUSA) ἔμπουσα وهو في الاصل الطَيْف ثم نقل إلى معنى واحدٍ

من معبوداتهم وكان يُصَوّر بشكل حشرة ، ثم دُعِيت الحشرة بهذا الاسم . وكتب اللغة تقول : دوَيبَّة ولا تزيد على هذا القدْر .

وجاءَ في لسان ابن منظور في (سوف) : السواف بفتح السين : الفَنَاء . وفي القاموس : السَوَاف كسَحَاب : القِثَّاء ، والمَوْتَان . فأين الفَنَاء من القِثَّاء . والصوابُ أنَّ المجد خاطِئ ، وابن منظور هو المُحِقّ أي الفناء بنون بمعنى الهلاك .

وورد في اللسان أيضاً في ترجمة (ق ه ا) : القَهَةُ من اسماء النَرْجِس . عن ابي حنيفة . قال ابن سيده : على انهُ يحتمل أن يكون ذاهِبُها واواً وهو مذكور في موضِعِهِ . » اه .

وقد فَتَّشنا في معجمِهِ فلم نجدها في (وقه) ولا في (وقا) . ولم يذكرها أحد من أرباب دواوين اللغة . ونحن نظن ان الصواب هو القَهْد، بقاف مفتوحة ، وهاء ساكنة يليها دال مهملة . وقد ذكرها اللغويون في معاجمهم بمعنى النرجس .

وفي القاموس : الرَفْن البيض (في رفن) . وفي اللسان : النَبْض ، عن ابن الاعرابي. فمن المُحِقّ ؟ - قلنا : ان المحقّ هو ابن منظور لأَنهُ جاءَ في هذه المادة : إرْفأَن الرجُلُ : نَفَرَ ثم سكن . وعند النفور يشتد النبض وليس في تلك المادة ما يوجّه معنى البيض .

وقد جمعنا شيئاً كثيراً من أمثال هذه الأوهام وتقع في سِفْرٍ ضَخْم . وأغلب هذه التصحيحات علقناها على هامش نسخة اللسان وتاج العروس وأساس البلاغة والمصباح .

١٦ً. التحريف

المراد بالتحريف هنا تشابهُ أحْرُف الكلمة بعضها لبعض في النوع ، والشكل ، والعدد ، والترتيب ؛ لكنها تختلف في الحركات أو في الحركة والسكون. فأمثلة الاول: اللَبَابُ : كسحاب : الكلأ القليل - واللُبَاب كغُراب : المختار الخالص من كل

شيءٍ واللِبَاب كفِراش : أوساط الصدور والمَنَاخِرُ ، واحدها لِبَّة . (وفي البستان : المناخِر ، بالخاء المعجمة وهو غلط) .

واللَبَجَة واللُبُجَة : حديدة ذاتُ شُعَبٍ كأنها كفٌّ بأصابعها تتفرَّج ، فيوضع في وسطها لَحْمٌ ، ثم تُشَدُّ إلى وتدٍ ، فاذا قَبَضَ عليها الذئب ، التَبَجَتْ في خَطْمِهِ ، فقبضَتْ عليهِ وصرعتْهُ . والجمع اللَبَجُ واللُبَجُ .

وقد ترِد الكلمة الواحدة بحركاتٍ ثلاثٍ ولا يتغير شيء من معناها كالسَمّ مثلاً للثقْبِ ولهذا القاتِل المعروف . فقد وردت فيهِ الحركات الثلاث .

وقد يختلف المعنى باختلاف الحركة . فالحَبُّ مثلاً ، بالفتح : البَزْر وبالكَسْر : المحبوب والمُحِبُّ . وبالضمّ : الجرَّة الضخمة . فان لم يكن القارِئ واقفاً على معاني تلك الكلمات ، باختلاف حركاتها ، خبط فيْهِنّ خبط عشواء .

وأمثال هذه المثلثات في العربية جَمَّة وقد وضع فيها اللغويون كُتُباً وأراجيز وشرحوها .

وأما المحرف باختلاف الحركات والسكنات فمشهور أيضاً في هذه اللغة مثال ذلك امرأة جُلُبَّانة وجِلِبْنَانة وجُلُبْنَانة : مُصَوِّتة ، صَخَّابة ، مِهذارة ، سَيئة الخُلُق .

وجُرْبَان السَيْف وجُربّانُهُ : حَدُّهُ ، أو شيءٌ يُجعَل فيهِ السيف وغِمْدُهُ وحَمائِلهُ فقد تختلف المعاني باختلاف مواقع تلك الحركات والسكنات . وربما لا تختلف والشواهد في كتب مُتُون اللغة اكثر من أن تُحْصَى .

١٧ . اجتماع التصحيف والتحريف معاً

قد يجتمع التحريف والتصحيف معاً في الكلمة الواحدة فتزداد اللغةُ كلماتٍ ، قد تفيد الشعراء ، أو من يعنى بحفظ الغريب أو جمعهِ ، لكنهُ يوقر الأسفار ألفاظاً لا جَدْوَى فيها من جهة العِلم والفنّ . وفي ما مرَّ من الفُصول الأخيرة من هذهِ الرسالة شواهد عديدة ، ونزيد عليها ما يأتي :

جاءَ في حيـاة الحيوان : « العِطرِف ، بالكسر : الأفعى الكبيرة » . ولم يذكر اللغويون هذهِ اللفظة . وجاءَ في القاموس والتاج : العِظْرِب : الأفعى الصغيرة . وهذهِ اللفظة لم ترد في اللسان ، بل ورد فيهِ الغَطْرَب (وقد ضبطت كجعفر) بمعنى الافعى. عن كراع . وقال في (غ ض ف) : « الغَضُوف : الأسد والحيـة الخبيثة . » - ولم يذكرها اللغويون فلعلَّها الغَطْرَب ، بغين مفتوحةٍ فطآء ساكنة فرآء مفتوحة فبآء . - وقد تكون صحيحة وان لم يذكرها أرباب اللغة لان الاشتقاق يُجيزها .

وجاءَ في القاموس في (زرر) : وقول الجوهريّ : إذا كانت الإبل سمانًا : قيل لها : بِهَا زِرَّةٌ . تصحيف قبيح وتحريف شنيع ، وإنما هي بَهَازِرَة ، على وزن فعالِلَة.

وذكر اللغويون الأَبَيَانِ ، بالتحريك ، بمعنى الأَبِي . وصرَّحوا بضبطها أنهـا بتحريك الهمزة والبآءِ واليآءِ (والمعـروف عند الجميع أن وزن فَعَلان ، بالتحريك ، لم يأتِ صفة ، والوارد صفة هو وزن فَعْلان باسكان . وأما الذي بالتحريك فهو من أوزان المصـادر . - والظاهر أن أول من ركب متن هـذا الغلط الجوهري ، وقلَّدَهُ غيرهُ ، من أصحاب الدواوين والمتون والشروح تقليداً أعمى من غير تحقيق ولا تثبت .

وسبب زَلَّة الجوهري — على ما يبـدو لي — إنهُ سمع قول أبي المُجَشّروهو شاعر جاهلي :

وقبلَكَ ما هَابَ الرِجالُ ظُلامَتي وفَقّأتَ عَيْنَ الاشْوَسِ الأَبَيَانِ

فاتخذه شاهداً على ما ادّعاهُ مع أنهُ يمكن أن يقول القائل : تحريك البآءِ هنا للضرورة الشعرية التي تجيز الشاعر أن يحرّك السا كن ، إذن قال الأَبَيَانِ بالتحريك في مكان الأَبْيَان بالاسكان.

وقد قال الفارابي في ديوان الأدب ، قبـل ختام الأسمآءِ من الهمز ، (أي في الصفحة ٥١٩ من نسختنا الخطّية):«ان الابيان وزان فَعْلان كلآن ودفـآن . وتحمل رواية من روى الأبيات بالتحريك على الغلط من الراوي ، أوالضرورة الشعرية . »اه

وقال في التاج :كَشْمَرَ أنفهُ ، بالشين بعد الكاف : كَسرَهُ . قالهُ صاحب اللسان . ولا جرم ، أن معـنى كَشْمَرَ أنفهُ كَسَرَهُ أي أذَلَّهُ ، كما يقال : « كَسَرَ فلانٌ الجيشَ أي هزَمَهُ . » اه .

والذي عندنا : أنَّ كَشْمَرَهُ لغة في قَسْبَرَهُ اجتمع فيها إبدالان أي رغمهُ أو رَغَم أنفَهُ بمعنى أذلَّهُ، ولا يريد بهِ الكسر المادّيّ ، وإن كان الوضع الأصلي هو الأول . وإلا لو كان المراد به الكسر الحقيقيّ للأنف ، لقال جَدَعَ أنفهُ أو قطعهُ أو ما أشبه هذا التعبير . وعليهِ أخطأ من نقل الألفاظ العربية الى الأعجمية،وذهب بنقل كَشْمَرَهُ الى المعنى الحقيقي ، لا المجازي ، مثل عاصم افندي : صاحب الأوقيانوس، وغوليوس ، وفريتغ ، وقزميرسكي ، ومن نحا نحوهم ، ونقل من كتُبهم .

وجاءَ في لسان العرب في مادة (ج د ل) : « قال شمر : ما رأيت تصحيفًا أشبه بالصواب ممَّا قرَأَ مالك بن سليمَن عن مجاهد في تفسير قولهِ تعالى : « قُلْ كلٌّ يَعمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ » فصحَّف ، فقال : « على حَدٍّ يليهِ » وانما هو « على جَدِيلَتِهِ » أي على ناحيتِهِ .

وأمثال ذلك لا تُحْصَى.

١٨ً. اجتماع التصحيف والتحريف والقلب والابدال معا فى الكلمة الواحدة

يظهر ذلك من الفصول المتقدمة ، اذا ما أَمْعَنَ فيها النظرَ من يحب استقراءَ هذا البحث . ونزيد ما يأتي على ما تقدَّم :

قال السيد مرتضى في تاجهِ في مادة (م ع ش) :« أَمْغِيشَا . . . وكانت البس عينًا مالحة » — والصواب : « وكانت أُلَيْس (وزان قُبَيْط) مِنْ مَسَالِحِهَا . فقرأ : « أُلَيْس » : « البسَّ » و « مِنْ » : « عَيْن » ثم أعمل الفكرة في ما عسى أن تكون « عين » هنَا ، ولا سيما لأنها وقعت موقع مفعول بهِ ، فاستحسن أن يقرأها منصوبة ليستقيم لها معنى، فقرأها عينًا ثم قال في نفسهِ :إن العَيْن تكون إمَّا عَذْبة ، وإمَّا مالحة . ولا بُدَّ أن تكون هنا مَالِحَة ، لأن صورة الكلمة لا تُجيز لي أن أقرأها « عذبة » ، والفرق بينهما عظيم فقال : إنها « مالحة » وقد صُحِّفت على الناسخ .

فأصبحت : « وكانت البسّ عيناً مالحة . ولذلك معنًى مأنوس ، لكن أين هذا المعنى من المقصود التعبير عنهُ في الجملة المصحفة المحرَّفة المقلوبة المبدَّلة .

وورد في القاموس في مادة (ب ر ق ش) : « ابو بَرَاقش : طائر صغير برّي كالقنفذ » فلا جرم أن في قولهِ « كالقنفذ » خطأ ظاهراً . والصواب : « كالقُنْبُرِ » لأن القنفـذ ليس طائراً حتى يشبّه طائر بهِ . (وراجع مقالة طويلة في أبي براقش في المقتطف ٣٩ : ٤٨٨) .

وهـذا الفَصْل حافل بالعجَائب والغرائب والمعايب والشوائب . وكنا نودّ أن يتسع لنا الوقت والمَقام ، لنذكر ما جاءَ منها في هذا الصدد .

فمن هذهِ المُدهشات ما جاءَ في القاموس في مادة (ع س د) . قال : « عَسَدَ يَعْسِدُ : سَارَ » فانتقدهُ السيد الزبيدي بقولهِ : « هكذا في سائر النُسَخ . وهو تصحيف قبيح ، وقع فيهِ . وذلك أن ابن دُرَيْد قال في الجمهرة : والعَسْد أيضاً : البَبْر فصحَّفَهُ المصنف بالسَيْر . ثم اشتق منهُ فعلاً ، فقال : عَسَدَ يَعْسِدُ : اذا سار ولم أرَ لأَحَدٍ من أئمة اللغة ذكر العَسْد بمعنى السَيْر ، وانما هو البَبْر » اه .

قُلْنا : من عادة الشارح أن يجد أغلاطاً في القاموس ويجهد في هـذا السبيل ما استطاع . والذي عندنا أن عَسَدَ بمعنى سَار وأسْرَع لغة في عَسَلَ باللام في الآخِر . قال . في اللسان : « عَسَلَ الدليل بالمفازة : أسْرَع » : قلنا : وكل من الدليل والمفازة من باب التمثيل لا من باب التقييد والتخصيص . والدليل أنهم قالوا من هذه المادة : عَسَلَ الذئب والثعلب يعسِل عَسَـلاً وعَسَلاناً : مَضَى مُسرِعًا واضطرب في عدوهِ وهزَّ رأسَهُ . قال :

والله لولا وَجَـعٌ في العُرْقُوب ، لـكُنْت أبقَى عَسَلاً مِنَ الذِيبْ

استعاره للانسان . وقال لبيد :

عَسَلانَ الذئبِ أمْسَى قارِبًا ، بَرَدَ الليْلُ عليهِ فنَسلْ ...

وقول سَاعِدَةَ بن جُؤَيَّةَ :

لَدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يَعسِلُ مَتْنَهُ ، فيهِ ، كما عَسَلَ الطريقَ الثَعْلَبُ

أراد عَسَلَ في الطريقِ ، فحَذَف وأَوْصَلَ : كقولهم : « دخلتُ البيتَ » اه وقالوا أيضاً من هـذه المادة : رَجُل عَسِلٌ ، شديد الضرب « سريع » رَجْع اليـدِ بالضرب . وقالوا : العَسَلُ والعَسَـلاَنُ الخبب . وفي حديث عُمرَ : انه قال لعمْرو بْنِ مَعْدِ يـكرِبَ : كَذَبَ عليك العَسَلَ ، أي عليك بسُرْعَةِ المَشْي ، هو من العَسَـلان : مشي الذئب . الى آخر ما جآء في تلك المادة . وتبادل اللام والدال معروف في لغتنا ومنهُ المعكود والمعكول (أي المحبوس) ومعدهُ ومعلهُ (أي اختلسهُ) وتأبَّدَ وتأبَّلَ (أي قلَّ أربهُ في النسآءِ) والوغْدُ والوغْلُ (أي النذل) والعَدَسُ والعلس .

والذي أخذهُ صاحب التاج على صاحب القاموس ، يؤخذ عليهِ ، فقـد كتب في تركيب (ه ر ف) ما هذا نصُّهُ : « يَهْرِفُ ، كيَضْرِبُ: اسم سبع سُمِّي بهِ لكثرة صوْتهِ » اه . -أفتدري من أين أتى بهذا السَبُع وكيف خلقهُ وأخرجَهُ الى أبناءِ الناطقين بالضاد ؟ - انهُ قرأ في المخصَّص لابن سِيده ما إليك نصابهُ : « يقال لِبَعض السباع هو يهرِفُ بصَوْتهِ أي يتزيَّد فيهِ » اه . فالظاهر ان السيد الزبيدي وصل الى قراءة العبارة الى حدِّ قولِهِ: هو يَهْرِف، ووقف ولم يمض في وجههِ فكتب ما كتب، ولو أتمَّ العبارة على ما جاءَت لما سـقط في هذه الهاوية السحيقة القعْر. فكأنَّ النسـخة التي كانت بيدهِ انقطعت عند الكلمة التي دونها ؟ - والعلم عند الله .

ومما جاءَ في هذا الباب ما نقلهُ ابن منظور في ديوانهِ في مادة (ع ر ا) ، قال :

وفي حديث عُرْوَةَ بن مسعود قال : واللهِ ما كلمتُ مَسْعُود بْنَ عمرو منـذ عَشر سِنين ، والليلةَ أُكلّمُهُ . فخرَجَ فناداهُ ، فقالَ مَنْ هذا ؟ - قال : عُرْوَة .فأَقْبلَ مَسْعُود وهو يقول :

أَطَرَقَتْ عَرَاهِيَهْ ، أَمْطَرَقَتْ بِداهِيَهْ

حكى ابن الأثير عن الخطابي ، قال : هذا حَرْفٌ مُشْكِلٌ .- وقد كَتَبْتُ فيهِ الى الازهريّ ؛ وكانَ من جَوَابِهِ انهُ لم يجِدْهُ في كلام العرب . والصَوَاب عِنْدَهُ « عَتَاهِيَهْ » وهي الغَفْلَةُ والدَهَش. أي أَطْرَقَتْ غَفْلَةً بلا رَوِيَّةٍ أو دَهَشًا .- قال

الخطابيُّ : وقد لاح لي في هذا شيءٌ ، وهو : أنْ تكون الكلمةُ مركَّبَةً مِن اسمَيْنِ ظَاهِرٍ وَمَكْنِيّ . وَأَبْدَلَ فيهما حَرْفًا وأَصْلُهَا : إمَّا من « العَرَاءِ » ، وهو وَجْهُ الارض. وإمَّا من « العرَا » ، مقصورٌ وهو الناحيــة . كأنهُ قال : أَطَرَقْتَ عَرَائي أي فِنَائي زائرًا وضَيْفًا ، أَمْ أَصَابَتْكَ داهِيَةٌ ، فَجئْتَ مُسْتَغِيثًا . فالهاءُ الأولى من « عَرَاهِيَهْ » مُبْدَلَةٌ من الهمزةِ . والثانيةُ هاءُ السَكْتِ ، زِيدت لِبَيَانِ الحركة . وقال الزمخشريُّ : يحتمل أن يكون بالزاي ، مصـدرٌ من عَزِهَ يَعْزَهُ فهو عَزِهٌ : اذا لم يكن لهُ أَرَبٌ في الطَرَبِ . فيكون معناهُ : أَطَرَقْتَ بلا أَرَبٍ وحاجةٍ ، أم أصابتك داهيةٌ ، أَحوجتْك الى الاستغاثة » اه نقل ابن منظور .

قال الأب أَنَسْتَاسُ مَارِيّ الكَرْمِليُّ : والذي عندنا أن أحسن هــذهِ التفاكير الثلاثة ما جاءَ بهِ الازهري ، وهو أعظم حُجَّةٍ في اللغة العربيــة ولا يدانيهِ أحدٌ مِمَّن سَبَقَهُ ، ولا ممَّن عاصرهُ ، ولا ممَّن جاءَ بعدهُ ؛ إلا أننا نقول : ان (عراهية) صحيحة بمعنى (عَتَاهية) وبمعنى الغفْلَة والدهَش على لغة من لُغَى العرب . فقد جاءَ عندهم من هذا القبيل : السُبْرُور والسُبْرُوت ، للأرض القفر التي لا نبات فيها ، وعود مِتّيخ وَمِرِّيخ أي طويل لَيِّن ، وَحُتِّش (على المجهول) وحُرِّش أي هُيِّج بالنشاط . واحْتَتَش واحْتَرَش . إلى آخر ما جاءَ من هذا القبيل من كلامهم .

١٩ . المعرَّب او الدخيل في العربية

ممَّا لا يحتمل شكاً ولا ريباً وجود الدخيل أو الأعجمي في لسان عدنان . قال ابن فارس في كتابهِ (الصاحبي) ما هذا نصُّهُ بحروفهِ :

« زعم أهل العربية أن القرآن ليس فيهِ من كلام العرب شيء ، وأنهُ كلهُ عربي ، يتأوَّلون قولهُ ، جلَّ ثناؤه : إنَّا جعلناهُ قرآنًا مبينًا » ، وقولهُ « بلسانٍ مبـين » . — قال أبو عُبَيْد : والصواب من ذلك عنـدي — واللهُ أعلم — مذهبٌ فيهِ تَصْدِيق

القَوْلين جميعًا . وذلك أن هذه الحروف ، وأصولها عجمية ، كما قال الفقهاء ؛ إلاَّ أنها سقطت الى العرَب ، فأعربتها بألسنتها ، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها ، فصارت عربية ؛ ثم نزل القرآن . وقد اختلطت هذهِ الحروف بكلام العرب ؛ فمن قال إنها عربية ، فهو صادق ، ومن قال ، عَجَمِيَّة ، فهوصادق » اه .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن جرير عن أبي ميسرة عمرو بن شُرَحْبيل ، قال :«نزل القرآن بكل لسان . وأخرج ابن أبي شيبة عن الضحَّاك قال : نزل القرآن بكل لسان . وأخرج ابن المنذر في تفسيرهِ عن وهْب بن مُنَبِّهٍ ، قال : ما من اللغة شيء إلا منها في القرآن شيء . قيل وما فيهِ من الرومية ؟ – قال : (فَصُرهُنَّ) يقول : قَطِّعهُنَّ » اه المقصود من إيرادهِ .

على أن معرفة هذا المعرب وردهُ إلى أصلهِ قد يصعب أحيانًا . ولا سيما إذا كانت اللفظة ثلاثية أو رباعية ، وأصولها تشبه أصول العربية . ووزنها يشبه الوزن العربي . أما إذا كان الوزن بعيداً عن المقاييس المُبينة ، ومعناها لا يتّصِل بمعنى الأُصول المحكمة . فان الرائز لها قد يهتدي الى غرابتها . ولكنْ هناك بعض الاحيان رجال يُصِرُّون على عربيتها .

مثال ذلك : ١ً (الأَطْرَبُون) فهذهِ الكلمة من اللاتينية TRIBUNUS وهو عند الرومان حاكم كان عندهم و بيدهِ أمر القَلَيرَة CELERES وهم ثلثمائة فارس رتَّبَ أمرهم روملس ليكونوا حرسًا لهُ ؛ ثم انتقل إلى معنى الحاكم الذي يدافع عن حقوق الأُمَّة ويدرأ عنها كل ما يضرُّ بمنافعها ، ثم . . . ثم . . . ثم . . .

والكلمة لم يذكرها صاحب القاموس ، ولا كل من اغترف من مَعينهِ لكني وجدتها في التهذيب في مادة (ج ذ م ر) قال الازهري : « ما بقي من يدِ الاقطع عند رأس الزَنْدَيْنِ : جُذْمُورٌ . يقال ضَرَبَهُ بجُذْمُورِهِ أي بِقَطَعَتِهِ . قال عبد الله بن سَبْرَةَ يَرْثي يدَهُ :

فإِنْ يكُنْ أَطْرَبُونُ الرُومِ قَطَّعها   فإِنَّ فيها بحمدِ اللهِ مُنْتَفَعا
بَنَانتانِ وجُذْمُورٌ أُقيمُ بها   صَدْرَ القَنَاةِ إذا ما صارخٌ فَزِعَا

قال : ويُرْوَى : « اذا ما آنسوا فزَعا . » انتهى

ووجدتها في لسان العرب في ترجمة (ا ط ر ب ن) . قال : « الاطربون ، من الروم ، الرئيس منهم . وقيل : المقدَّم في الحرْب . قال عبد الله بن سَبْرَةَ الحَرَشِيّ : « فان يكن . . . (البيت) قال ابن جِنّي : هي خماسية ، كعَضْرُفوط » اه .

وكنتُ قد قرأت في أحد كتب الادب – والآن لا أتذكر اسم الكتاب ولا الموطن الذي ورد فيهِ – أن الأَطْرَبُون : رئيس الروم . وسمي كذلك لأن رؤساءهم كثيرو الطرب . ومن الغريب أن ينطق أديب بهذا التعليل : فهل كان الرومان يحسنون العربية حتى يشتقوا هذا الاسم من العدنانية ؟ ، أم هل العرب هم الذين وضعوا هذا الاسم على كبير جند الروم ، وهؤلاء اقتبسوه منهم ؟ أم هناك تعليل آخر لم نقف على سِرّهِ ؟ ذلك ما كنت قد قرأتهُ وأنا شاب ولم أُقيّد اسم الاديب ولا اسم كتابهِ . وعلى كلٍّ فان قول ابن جِنّي ان اللفظ خماسي وانهُ كعَضْرفوط ، يُشْعِر بأنهُ يقول بعربيّتهِ ، وهو بعيد لا يُصَدَّق .

ومهما يكن من أمرٍ ، فان هذهِ الكلمة وردت في كتب الاخبار والتواريخ العربية ، لكن مصحَّفة بصورة (أرْطَبُون) بتقديم الرآء على الطآء ، وقالوا انهُ علم رجُلٍ ، كان يدافع عن (أَجْنَادِين) في أيام فتح عمرِو بن العاص لها. فتأمل (وراجع المقتطف ٩٢ : ١٩٥ وما يليها) فالوهم ظاهر والتصحيف بادٍ ، لكل حاضرٍ وبادٍ .

وقد ذهب بعضهم الى إرجاع بعض الكلم الدخيلة الى العربية إرجاعاً يكاد يصرعك ضحكاً للتعليل الذي يأتونك بهِ . قال المجْد في معجمهِ في مادة (ل و ب)، ما هذا قوامهُ تفسيراً (للأسطرلاب) وهي الكلمة الثانية في هذا البحثِ .

« واللاب : . . . رجل سَطَرَ أسْطراً ، وبنى عليها حساباً ، فقيل أَسْطُرُلاَب ؛ ثم مُزِجَا ، ونُزِعَت الاضافة ، فقيل : الأَسْطُرْلاَبُ مُعَرَّفَةً ، والأَصْطُرْلاَبُ ، لتقدُّم السين على الطآءِ » انتهى .

وهذا الكلام لم يقنع الزبيديَّ. فنقل هذهِ العبارة ببعض زيادة ثم قال: «هكذا نقلهُ الصاغاني . قال شيخنا : ثم ظاهِرهُ أنهُ من الالفاظ العربية ، وصرَّح في نهاية

الأرب ، بأن جميع الآلات التي يُعرَف بها الوقت سوَاء كانت حسابية ، أو مائيـة ، كلها ألفاظها غير عربية ؛ انما تكلم بها الناس ، فولَّدُوها على كلام العرب ، والعربُ لا تعرفها برُمَّتها . وانما جرى على ما اختاروهُ من أنها رُكِّبَت ، فصارت كلمة واحدةً عندهم . فكان الأَوْلى ذكرها في الهمزة ، أو في السـين ، أو في الصاد ؛ ولا يكاد يهتدي أحدٌ الى ذكرها في هذا الفصل ، كما هو ظاهر . وأكثر من ذكرها ممَّن تعرَّض لها في لغات المولَّدِين ، أوجعلها من المعرَّب ، ذكرها في الهمزة ». انتهى كلامهُ.

قلنا : أسطرلاب كلمة يونانية اللغة والتركيب من (استرون ASTRON) أي نجم ولمبانين LAMBANEIN أي أخذ وهي آلة يقاس بهـا موقع النجوم وارتفاعها فوق الأفق . واسمها بالفرنسية ASTROLABE كما في العربية .

وادعاء بعض اللغويين بعربية بعض الألفاظ الأعجمية هو في منتهى الغرابة . وقد جمعنا من هذا القبيل شيئاً كثيراً حاول فيهِ اللغويون ، على اختلاف طبقاتهم، تأويل الكلمة الدخيلة بما يوجّهها توجيهاً حسناً في العربية الفُصْحى . ونحن نذكر ثلاث كلمات أخر ليقف القارىء على تحذلق بعضهم في اشتقاق تلك الألفاظ من الاصول العربية . من ذلك :

٣ً (الإِسْفَنْط) . قال المجد : الإِسْفِنْط بالكسر ، وتفتح الفاء : المطيب من عصير العِنَب ، أو ضربٌ من الأشربة ، أو أعلى الخمر . سُمِّيَت ، لأن الدِنَانَ تَسَفَّطَتْهَا ، أي تشرَّبت أكثرها ، أو من السفيط ، للطيِّب النفس . - قال الزبيدي : وهو يلمح لقول أبي عبيدة ، أو من السفيط للطيب النفس ، لأنهم يقولون : ما أسفط نفسهُ عنك ، أي ما أطيبها . وهذا قول ابن الاعرابي . فهو عنـدهُ عربي والقول : ما قالهُ الاصمعي من أنهُ رومِيٌّ . والكلمة إذا لم تكن عربية ،جعلت حروفها كلها أصلاً . . . »

قلنا : ولا جرم أن الكلمه روميـة وهي من ABSINTHIUM أي الخمرة المطيبة بالعَبْد وهو ضرب من الشِّيح ، وقد وردت في بعض كتابات الملك دِيُوقْلِطِيَانُس . وصحفت الكلمة بصُوَر مختلفة منها : الإِصْفَنْط (بالصاد) ، والإِصْفَعِنْد، والإِصْفِعيد والإِصْفَد، والإِصْفَعْد الى غيرها .

٤ً (الخَنْدَرِيس) :« الخمر . مشتق من الخدرسة ، ولم تفسَّر، أو رومية مُعَربة .
« حنطة خندريس قديمة . » (القاموس) وذكرها بَعْدَ خبس أي في خدرس . —
قال الشارح : «ونقل شيخنا عن ابن حيَّان ان أصلهُ فنعليس ، فأصولهُ اذاً « خدر».
فالصواب ذكرهُ في الراءِ ، لأن الخمر مخدِّر . وعليهِ المطرّزي . وقيل : من الخرس ،
وتعقبوهُ لأن الدال (١) لا تُزاد . والصحيح أنهُ فَعْلَليل ، كما قالهُ سيبويهِ . وعليهِ
فموضع ذِكْرِهِ قبل خنس » انتهى .

قلتُ (أي الشارح) : وأوردهُ صاحب اللسان بعد خنس وتبعهُ غير واحدٍ .
أو رومية معربة . وقال ابن دُريْد : أحسبهُ معرَّبًا . سُمِّيت بذلك لقدمها . قلتُ :
ويجوز أن تكون فارسية معرَّبة ، وأصلها : خنده ريش ، ومعناه : ضاحك الذقن .
فمن استعمله يضحك على ذقنهِ . فتأمل . اه كلام الشارح بحروفهِ

قلنا : ان الكلمة هي بالرومية واليونانية على السوآء فهي بالرومية CANTHARITES VINUM
وباليونانية Κανϑαρίτης οἶνος وهي خمرة كريمة كان يؤتى بها إلى ديار الغرب
من بلاد وراء بحر الروم ، من عِنب كان اسمهُ kanthareôs

وأما الحنطة المسماة بالخَنْدَريس فهي من اليونانية KANTHARIS وهو ضرب من
السوس الذي يقع في الحنْطة ، اذا مضى عليها زمن طويل ؛ وهو ضرب من الخنافس
صغير اسمهُ بالعربية « الجُنْدُع » فيكون معنى الخندريس للحنطة القديمة ، تلك الحنطة
التي هجم عليها الجُنْدُع أو السوس . ولا تكون كذلك إلا إذا قدم عهدها . فكلمة
KANTHAR والجُنْدُع ، شيءٌ واحد لا غير . واليونان لا يعرفون أصل الاسم لهذه
الحشرة . وأمَّا العربية فانها مُشتقة من « الجَدْع » وهو القطع ، لأنها تتعرض لقرض
القطانيّ والحنطة والكَرْمَة وغيرها ، وهي بالفرنسية charançon على ان الجَنادِع

(١) هذا راى فريق جليل من اللغويين ان الدال لاتزاد لانها ليست من احرف الزيادة العشرة . لكن البصراء من الجماعة المخالفة تذهب الى ان الدال من مخرج يقارب مخرج التاء ، ولما كان هذا الحرف من احرف الزيادة ، جاز ان تزاد الدال لهذه العلة . فقد قال ابو الهيثم : « الرِخْوَد : الرِخْوُ ، زيدت فيه دال وشدّدتْ ، مكسوعًا بها ، كما يقال . فَعْم [اي ممتلىء ، للساعد والاناء] وفَعْمل . (راجع (رخد) في لسان العرب والتاج فى (ددد) والقاموس في (فعم)

في العربيَّة جاءت بمعانٍ أُخر ، وهي كل ما أَشْبَهَ تلك الجنادب بظاهرها . وهو من باب التوسع وأمثاله كثيرة وهي مِمَّا يدفع المحقّق إلى أن لا يحصر معاني الكلمة الواحدة بمعنى واحدٍ كما يَفْعَلُهُ بعضهم .

٥ً ومن الألفاظ الاعجمية التي اشتق لها العرب أصلاً عربياً أو أصلاً أعجمياً وهمياً (المنجنيق) قال الفيروزابادي في (ج ن ق) : والمَنْجَنِيق ، ويكسر الميم ، آلة تُرمي بها الحجارة كالمنجنوق . معربة . وقد تذكر . فارسيتها : « مَنْ چَهْ نِيكْ » أي : أنا ما أجْوَدَني ! وجمعها مَنْجَنيقات ومَجانِق ومَجانيق » – وزاد التاج بعد مَجانِق : وقال سيبويهِ : هي فَنْعَليل . الميم من نفس الكلمة ، لقولهم : في الجمع مجانيق، وفي التصغير مُجَيْنِيق ، ولأنها لو كانت زائدة لاجتمعت زائدتان في أول الاسم ، وهذا لا يكون في الاسماء ولا الصفاتِ التي ليست على الافعال المزيدة ؛ ولو جُعلت النون من نفس الحَرْف ، صار الاسم رباعياً ، والزيادات لا تلحق بنات الأربعة أولاً ، إلا الأسماء الجارية على أفعالها ، نحو مُدَحْرِج . وقد جَنَقُوا تجنيقاً : اذا رموا بأحجار المنجنيق . وقال الليث : مَجْنَقُوا مَنْجَنيقاً ، عند من جعل الميم أصلية . قال : وقد يجوز أن تكون زائدة ، لأن العرب ربما تركوا هذه الميم في كلمة سوى ذلك ، كقولهم للمِسْكين : قد تمسكن . وانما المِسْكين على قَدْر مِفْعِيل ، كالمِنْطِيق والمِحْضِير ، ونحو ذلك . قال شيخُنا : وقد اختلفوا في وزن هذا اللفظ على أقوال للفرَّاء والمازني وابي عبيد والتَّوَّزيّ ، وهل الميم هي الاصلية ، أو النون ، أو غير ذلك ، واستدلُّوا بجَنَّقُونَا وبعدم زيادة الميم في مثلهِ ، وفي غير ذلك ، ممَّا لا طائل تحتهُ . والصوَاب عندي (أي عند الشارح) أنَّ حروفهُ كلَّها أصلية ، لانهُ عَجَمِيّ ، لا سبيل فيهِ إلى دَعْوى الاشتقاق ، ولا مُرَجّح ادَّعاء زيادة بعض الحروف دون بعضٍ ، ولا داعي لذلك . فالصواب إذن أن يذكر في فصل الميم ، كما هو ظاهر . والله أعلم » انتهى بما فيهِ . وراجع لسان العرب أيضاً في مادة (جنق) ولا سيما (مجنق) فان الشارح نقل أغلب كلامهِ من المصدر المذكور .

ورأينا في المنجنيق انهُ معرب ، لكن من اليونانية لا من الفارسية كما قال بعضهم، فأحْرُفُهُ كلها أصول ، كما هو معروف عند جمهور أرباب اللغة . والكلمة اليونانية التي أخذت منهـا العربية هي MAGGANOU وهي كلمة في حالة الإضافة للكلمة المرفوعة MAGGANON وانما قلنا إنها من الأولى لأنهم قالوا فيهِ أيضاً (مَنْجَنُوق) وما المنجنيق إلا لغة في الأولى .وفيهِ لغات أُخَرُ منها : مَنْجَليق . وبالفرنسية MANGANNEAUوقد ذكر هذه الآلة عند اليونان استراطون اللمْسَاكِيّ STRATON DE LAMPSAQUE وكان من علماءِ اليونان وتُوُفي في سنة ٢٦٩ قبل الميلاد .

ولا نريد أن نجري في هذا البحث أكثر من هذا ، فان الموضوع واسع المَدَى لا تَحْصرهُ صفحات بل مئات مِن الصفحات ، لمن أراد الامعـان فيهِ ، فاجتزأْنا بما ذكرنا .

٢٠ . تصحيفات وتحريفات وتشويهات المعربات

اجتمعت عدة علل على تصحيف الكلمة العجمية ومسخها مسخًا شنيعًا وتشويهها تشويهًا غريبًا ، عند نقلها الى لغة الضاد المبينة ، ودونك بعض هذه العلل :

﴿ الاولى ﴾ : وجود أحرف غَرْبِيَّة، يافثية غير مألوفة في كلام ابنـاء يعرب . وقلت غير مألوفة ولم أقل غير معروفة ، لأني أذهب إلى أن تلك الاحرف الأعجمية كانت معروفة عند العرب في سابق العهد عند اختلاط الأمم والقبائل بعضها ببعض في أول نشوءها ، وبامتزاج العناصر بعضها ببعض ، وبدليل ان سيبويهِ ذكر هذه الاحرف في كتابهِ . على اننـا نقول ان اغلب تلك الاحرف زالت واضمحلّت من الاستعمال ، استغناءً بالسهل الممتنع منها عن الصعب القبيح على السمع ، فلم يبق منها إلا القَليل عند بعض القبائِل وفي طائفة من المدن .

﴿ الثانية ﴾ : لما قلَّ استعمال تلك الاحرف ، بل لما ماتت في كلام كثيرين من أهل الفصاحة ، لم يتمكن جمهور من ابناء الفُصْحى من أن ينطقوا بها عند اختلاطهم اختلاطاً جديداً بأهل الحضارة الغربيــة من الأعاجم ، ولا سيَّما بعد اعتزالهم في الشرق مدةً طويلة ، فنشأت في لغاتهم أحرف جديدة ، فلم يتمكن السلف من التلفظ بكثير من تلك الكلم ، فصحفوها تصحيفاً ، يختلف باختلاف سامعيها ، ولذا لم يُجْرَ فيها على سَنَنٍ واحدٍ لاحب ، ولا على وجهٍ قياسيّ مطرد .

﴿ الثالثة ﴾ : ان كثيراً من تلك الكلم ، لما صُوِّرت بحروف عربيــة ، اختلطت قراءتها على الجاهلين بِنُطْقها وحقيقتها ومعناها وصحة التلفظ بها ، فاضطروا الى أن يتوهموا فيهــا ما أرادوا وعلى ما يوحي اليهم وهمهم أو خاطرهم أو علمهم ، فجاءت بعيدة عن أصولها الأول ، ووضعوا لها تفاسير غريبة ظاهرة التكلف كل الظهور .

﴿ الرابعة ﴾ : ان رسم الحروف العربية زاد الطين بلة ، إذ كثيراً ما تتشــابه بينها ، ولا سيما ان هناك من يهمل اعجامها أو تنقيطها ، إما جهلاً للفظة أو غرابة صيغتها واما لانهُ لم يجدها بصورة قد الفها أو أَنِس إليها ، في حين ان تنقيطهــا أمر ضروري لا غنى عنهُ . فكان ثَمَّ القضاء المبرم على صحة لفظ تلك الكلمة ، وحاقّ التصحيف الماسخ لها . فنشأ عندنا كَلِمٌ لا هي عربية ، ولا هي غربيَّة ، بل هي من لغة لا يعرفها الانس ولا الجنّ ، ولم يتمكن أحد من علماء الضاد وغير الضــاد من معرفة الأصول التي نُقلت عنها ، و بقيت من الالفاظ المطلسمة ، وسوف تبقى كذلك إلى ما شاء الله .

﴿ الخامسة ﴾ : ان كثيراً من الالفاظ العربية الغريبة المدونة مات ناقلوها ولم يشرحوها فبقيت مجهولة ، لا يعرف من معناها أو من معانيها شيء البتة .

هذا ولا يسعنا هنا أن نوفي هذا البحث حقَّهُ ، في مثل هذه الرسالة الوضيعــة ، إذ يتطلَّب وضع مجلَّدٍ ضخم للقيام بهِ ، إن حاولْنَا التبسُّط فيهِ تبسُّطاً يشفي الغليل . فلذا نكتفي بهذه الإشارة العامَّة و ببعض الامثــلة للوفاء ببعض ما توخَّيْنَاهُ في هذا الموضوع . فمن ذلك :

١٠ ﴿ اقليدس ﴾ : قال صاحب نثار الازهار (وهو الشيخ الامام ابو الفضل جمال الدين صاحب لسان العرب في ص ١٠٢ من طبعة الجوائب في الاستانة : « واقليدس وهو اسمها (أي الشمس) باليونانية وقد تكلموا بهِ (أي العرب) »

قلنا : ان المعروف والمشهور على الألسنة ان إقْلِيدِس (أو أُوْقْلِيدِس على ما يكتبها و يضبطها المجد في قاموسهِ إذ يقول) ، بالضمّ وزيادةِ واوٍ : اسم رجُل وَضَعَ كتاباً في هـذا العِلم المعروف . وقول ابن عَبَّادٍ : إقْلِيدِسُ : اسم كتاب غَلَطٌ » اه .

قلنا : ولم يعين الفيروزابادي العلم الذي يشير اليهِ ، انما الشارح قال : أي الهيئة والهندسة والحساب » اه

فكم من غلطٍ في كلمة واحدة أو قل في كلمتين اثنتين لا غير ! – وأول كل شيء ان الكلمة اليونانية الأولى التي يقول عليهـا ابن مكرم إنها تعني الشمس هي غير معروفة في لغة بني يونان . فمن أين أتى بها ؟ – إننا ما كنّا لنهتدي اليها ، لو لم يصرّح لنا بمعناها أي الشمس . فالشمس بلغة الهلنيين : (إيلِيُوس أو هِلْيُوس أي Ἥλιος HELIOS) فأين هذهِ من تلك ؟ ان الفرق لعظيم ! . وهل يتمكن اليونانيون أن يفهموا معنى (اقليدس) وانهُ النيّر الاعظم ؟ فهذا من حاقّ التصحيف الذي يتيهُ لدى تحقيقهِ طالب الصِّحَّة وناشدها ، مع ان الناطق بهِ من أعْظم اللغويين قدْراً ومنزلةً ! زد على ذلك انهُ لم يذكر اللفظة في معجمهِ الضخم ولا غيرهُ من أرباب المعاجم . فأين يطلبها الباحث ، والإمام يقول : « وقد تكلموا بهِ » ؟

لِنَأْتِ الآن الى أُوْقْلِيدِس أو إقْلِيدِس الثانية . وأول كل شيء ان اقليدس اسم مُهَنْدِسٍ يوناني طوى أيامهُ بين سنة ٣٠٦ و ٢٨٣ قبل المسيح وكان يعلم في الاسكندرية في عهد بطليموس الأول وهو الذي وضع كتابهُ في الهندسة وسمَّاهُ (الاصول) فقول الشارح انهُ في الهيئة والهندسة والحساب صحيح من بعض الأوجه

لا من جميعها أي انهُ صحيح إذا أدخلنا في الهيئة بعض أصول الهندسة لقياس أبعاد الكواكب أو ما أشبه هذا الامر ، وإلا فالكتاب في الهندسة لَيس إلاَّ ،

٢ً . ﴿ النِطاسِيّ ﴾ : قال في لسان العرب في ترجمة (نطس) ما هذا نصُّهُ بحروفهِ : « رجل نَطْس ونِطُسٌ ونَطِيس و نِطاسِيّ : عالم بالامور حاذق بالطبّ وغيرهِ . وهو بالرومية النِسْطَاس يُقَال : ما انطَسَهُ ! » اه وذكر تتمة هذه المادة في سبعة عشر سطراً من سطور لسان العرب ، ونحن لا نريد أن نسردها كلها وفيها من الشعر القديم والحديث النبوي ما يَحْسُنُ أن يطلع عليهِ بحذافيرهِ . وجميع ما في هذه المادة منقول عن التهذيب لأبي منصور وابن منظور لم يُشر اليهِ بكلمة . فاذا كان ابو منصور – وهو أوقف الناس على صميم كلام العرب – يقول ان الكلمة رومية ومنها تشتق مشتقات عديدة فيجب أن يكون كذلك ، وهو لا ينطق عن جهل ولا عن هَوًى ، ولا سيما لا عن حُبّ لِلغة الروم فما عسى أن تكون الكلمة الاصلية ؟

قلنا : إنها نُطُس الرومية أي NOTUS ، فاختلاف القرآء في النطق بها لأن هناك من يجعل الحرف O الغربي الفاً ، ومنهم ضمًّا ، ومنهم كسراً ، وهم يَجْرُون على هذا الاختلاف إلى عهدنا هذا . فانك تجد من يقرأ BUFFON و BOSSUET : بوفون ، ومنهم بيفون ، ومنهم بافون ؛ وكذلك في الثاني ، فانك ترى من يَرْويها : بوسويه وبيسوِيه وباسيوُه .

ومعنى (نُطُس) الروميَّة : العالِم ، والعارف ، والواقف على حقائق الامور ، والمطلع عليها ، الى معانٍ أُخَر تَراها مدوَّنة في أسفارهم اللغوية .

٣ً . ﴿ المَامُوسَة ﴾ : وجاء في ديوان ابن مكرم في مادة (م م س) :مَامُوسَة: من أسماء النار . قال ابن أحْمَرَ :

تَطَايَحَ الطَلُّ عَنْ أرْدَانِها صُعُداً ، كما تَطَايَحَ عَن مَامُوسَةَ الشَرَرُ

قيل : أراد بماموسة : النار . وقيل : هي النار بالرومية . وجعلها معرفةً غير

منصرفةٍ . ورواهُ بعضهم : « عن مانوسة الشَرَرُ » . وقال ابن الاعرابي : المانوسة : النار » اه

وهذه المـادة من أول كلمةٍ فيها إلى آخر ما فيها ، مأخوذة حرفاً بحرف من التهذيب لأبي منصور . وهل رأيت فيها كلمة يصرح بها انها منقولة عن التهذيب ؟— كلا . لكنك اذا أخذت التهـذيب بيدٍ واحدة واللسان بيدٍ ثانيـة وقابلتَ بين النصَّين ، اتضح لك صدق كلامنا .

اذن يقول لنا الازهريّ : ان (ماموسة) أو (مانوسة) بمعنى النار مأخوذة من الرومية فما عَسَى أن تكون الرومية المباركة التي تمنُّ علينا دائماً بفكّ الطلاسم وحلّ الالغـاز . ؟ فلنستشر الفيروزاباديّ قبل أن نلتمس لها روميتهـا . قال المجد في (م م س) : الماموسة : الحمقآء الخرقآء ، والنار ، وموضعها ، كالماموس فيهما . »

وقال في (ا ن س) الانيسـة بهاءٍ : النار كالمانوسـة » اه فاجتمع عندنا ثلاثة الفاظ بمعنى واحدٍ وهي : الانيسة ، والمانوسة ، والماموسة ، فأيّ منهن الأصل ؟ — قلنا : تلكم التي تتصف بأقل الاحرف أي : انيسة ، فتكون روميتها IGNIS التي اذا نطقنا بها على الطريقة الرومية نقول : « إِنِيس » ، ثم كسعت بالهآءِ لكي لا تختلط بالانيس ، فعيل من الانس ، فقيل « انيسة » ولما كانت انيسة هنا بمعنى يؤنس اليهـا أي بمعنى مفعولة قالوا « مانوسـة » ثم قيل : « ماموسة » على لغة من يجعـل الميم نوناً بعض الاحيان . فقيل : ماموسة .

وأمثال هذا الابدال لا تحصى كقولهم : الغَيْم والغين للسحاب ، وطانه الله على الخير وطامه ، والخَنْجرير والخَمْجرير للمآء المرّ الثقيل ، وقيل : هو المِلح جداً . وقالوا : القَمَمُ والقَمَنُ . قال الأزهري : والعرب تعاقب الميم والنون في حروف كثيرةٍ لقُرْب مخرَجَيْهما » (راجع التهذيب واللسان وتاج العروس في مادة قمم وقمن)

إذن : أصاب الازهريّ في قولهِ : ان الماموسة ، والمأنوسة ، والانيسة من الروميَّة .

بقي هناك ان الماموسة تعني الحمقاء الخَرْقاء فهذا المعنى مأخوذ من المجاز ، من معنى تلك النار التي تضطرم بسرعة ، ثم تخبُو فجأةً ، كنار الزَحفَتَين التي يسمّيها الفرنسيون FEU DE PAILLE أي نار التّبن لما ذكرناه . وقد استعمل الرومان النار في المرأة للدلالة على سرعة حمقها وغضبها وتأجُّجهِ . فقد قال ڤرجيل : CAECO CARPITUR IGNI كانت النار تأكلها أكلاً باطشةً بها .

٤ً . ﴿ نسطاس ﴾ : قال في القاموس في (ن س ط س) : نِسْطَاس ، بالكسر ، عَلَم . وبالروميَّة : العالِم بالطِبّ . وعُبَيْد بن نِسْطاس البكّائي مُحَدِّث » اه

وفي لسان العرب : « في حديث قس : كَحَذْوِ النِسْطَاس . قيل : إنهُ ريش السهْم . ولا تُعْرف حقيقتهُ . وفي روايةٍ : كحَدِّ النِسْطَاس . » اه . – وفي النهاية لابن الاثير في نسختنا الخطية ، وهي نسخة مجوَّدة ، قديمة ، ثمينة ، صحيحة الرواية : كحَدْوِ النِسْطَاس » بدال مهملة . فأين المعنى الصحيح ، وأين الرواية المعتمدة ؟

قلنا : ان الفيروزابادي ، حين قال : « عَلَم » فهو يريد عَلَمًا فاشيًا بين النصارى وبين بعض مَنْ أسلم منهم في النأْنأة ، أي أَنَسْطَاس ، أو كما نقول نحن عنّا «أنستاس» وهو من اليونانية Ἀναστάσιος (أي البعيث) ، وأما بمعنى العالم بالطب فانهُ تصحيف نطاس أو نطاسيّ وقد قلنا انها من الرومية NOTUS وينعت بها الطبيب العارف لطبهِ أو العالم . – وأما ماجاء في حديث قُسّ ، فان الرواية التي ذكرها ابن الاثير بالدال المهملة هي الرواية الفصيحة الصحيحة وان كانت النهاية المطبوعة تذكر : « كحذو النِسْطَاس » بالذال المعجمة . وما اختلاف العلماء في تفسير اللفظة إلا لعُجمتها ، إذ هي من اليونانية أُسْطاس (ôsteos) ὠστέος أي حَادٍ بمعنى سائق . فيكون معنى الحديث كحَدْوِ الحادي ، فتميزت الرواية الصحيحة من الروايه المغلوط

فيها ، وانجلى المعنى ، بعد أن كان مُشكلاً غامضاً ، وعُرِفَ أنَّ هناك تصحيفاً وقع في الكلمة أي ان الهمزة جُعلت نوناً على لُغَة بعضهم ، لغة ، اولئك الذين يقلبون الهمزة نوناً او بالعكس وذلك في أي موقع وقعت ، في الصدر ، أم القلب ، أم العجز . فقد قالوا : أَبَّهَهُ ونَبَّهَهُ ، والزِنْجيل والزِنجيل ، والظَرِباء والظَرِبَانَ ، الى غيرها . وقد اجتزأنا بما ذكرنا ، وإلا فثَمَّ متَّسع لا يخفى على اللغوي .

ومعرفة الاصل الاعجميّ الذي نُقِلت عنهُ كلمتنا المعربة فوائد لا تقدر ولا سيما في أوضاع العلوم . وقد تكون تلك الكلمة منقولة عن عدة مفردات غريبة ، وهي في العربية كلمة واحدة ونحن نضرب لك مثلاً واحداً من هذا القبيل ، وهناك أمثال منها لا تعَدُّ ولا تحدّ .

٥ً . ﴿ الفَاق ﴾ : في القاموس في (ف و ق) : « الفاق : الجَفْنَة المملوءَة طعامًا ، والزَيْت المَطْبوخ ، والصَحْراء ، وارض ، والطويل المضطرب الخَلْق كالفُوْق والفُوْقَة بضمهما والفِيْق ، بالكسر ، والفُوَاق والفُيَاق بضمهما ، وطائر مائيّ طويل العُنُق » .

وفي ديوان ابي الفضل جمال الدين الخَزْرَجيّ في نحو آخر مادة (ف و ق) ما هذا نقلهُ : « الفاق : البان ، وقيل : الزيت المَطْبوخ . قال الشماخ يصف شَعَرَ امرأةٍ :

قامتْ تُرِيكَ أثيث النَبْتِ مُنْسدلاً ، مِثْل الأسَاوِدِ قَدْ مُسِّحْن بالفاقِ

وقال بعضهم : أراد « الانفاق » وهو الغضّ من الزيت (كذا) ورواهُ ابو عمرو : « قَدْ شُدِّخْنَ بالفاقِ » : وقال : الفاق : الصَحْرآء . وقال : هي الارض الواسعة . والفاق أيضًا : المُشْط ، عن ثعلب . و بيت الشماخ محتمل لذلك . التهذيب: الفاقُ : الجفنة المملوءَة طعامًا . وأنشد : ترى الأضْيَافَ يَنْتَجِعُون فاقي » انتهى .

قلنا : الفاق التي بمعنى الجفنة المملوءَة تنظر الى اللاتينية FASCIS ومعناها : ما ضم من الأشياء بعضها الى بعض . والجفنة المملوءَة تكون على هذه الصفة ؛ او تنظر الى اليونانية (πακτὸς) PAKTOS أي المرصوصُ رصاً من كلّ ما مليء أو نُضِّد .

والفاق بمعنى الزيت المطبوخ هو غير صحيح كل الصحة ، وانما الصحيح ما جاء في كلام الخزرجي انهُ الانفاق ؛ لحذف الهجآء الاول للضرورة الشعرية ومعناه الغض من الزيتون (لا من الزيتِ كما جاء في الطبع خطأ) والمراد من قولهِ الغضّ من الزيتون ، هو الزيتون الفَجّ أي غير الناضج وهو ينظر الى اليونانيـة ὀμφάκιον أي الزيتون الغضّ مبنى ومعنىً بعد حذف الكاسعة .

والفاق بمعنى الصحرآء الى اليونانيـة ἡ πακτύη, ης PAKTUÈ وهي اسم أرضٍ أهمل أهلها زراعتها ، فأمحلت ، فقفرت ، وكانت في خرسونيسة ثراقية ، فاطلق ذلك الاسم على كل صحراء من باب تنكير العلم ، وبقي العلم على الارض نفسها .

والفاق بمعنى الطويل، وكذلك الفُوق ، والفُوقة ، والفِيق ، والفُوَاق ، والفيـاق ، أصلها كلهـا الفِيق ، بقافين تتوسطهما ياء مثنَّاة تحتيَّة وهي تنظر الى اليونانيـة قِيق GIG,GIGANTOS (ὁ) Γίγας, αντος بالمعنى الذي ذكره أهل اللغـة ولعلَّ يُعترض ان الكلمة باليونانية تكتب γ والعربية بقافٍ . قلنا : وما اكثر ما جاء هذان الحَرْفان متعاقبين في العربيـة نفسها فقد قالوا : جذف وقذف ، جدّ وقدّ ، سَجَع وسقع . جضم وقضم . رتج ورتق الى ما لا نهـاية لهُ وقالوا في السجِلاَّط : السِقِلاَّط والكريج : الكربق . والفالوذج : الفالوذق . وقالوا القبطي وهم يريدون اليونانية Αἰγύπτιος, α, ον او اللاتينية AEGYPTOUS الى عشرات بل مئات مثلها .

وأما الفاق بمعنى طائر مائي فهو لغةٌ في القاق أو القوق وهو ينظر الى اليونانيـة : κύκνος وبالروميـة CYCNUS وابن مكرم لم يذكرهُ في (ف و ق) بل في (ق و ق) قال : « القاق : طائر مائي طويل العنق . والقُوق : طائر من طـير المآء طويل العنق قليل نَحْض الجسم . وأنشد : كأنك من بنات المآء قُوقُ . والقوق : طائر لم يُحَلَّ . أبو عُبَيْدَة : فرس قُوق والانثى قُوقة للطويل القوائم . وان شئتَ ، قلت قاق وقاقة » اه . فانظر كيف ان اللفظة الواحدة تتنقَّل بصور مختلفة لتقارب صوَر الاحرف والأَصل واحد .

وأما قول ابن منظور: إن الفاق هو البان فهو مبنيّ على ان المراد بالبان : دهن البان وهو شبيه بدهن الزيتون الغضّ ، أي شبيه بالفاق الذي هو الانفاق فَسَمَّى الواحد بالآخر من باب المشابهة وهو كثير في لغتنا .

وذكر ابن مكرم للفاق معنى لم يذكرهُ من اللغويين إلا أبو منصور في تهذيبهِ . فقد قال : والفاق أيضاً المُشْط من خشب ، فحذف ابن مكرم « من خشب » وأبقى « المشط » فقط . ولم يحسن عملاً ، لأن الفاق للمشط من الخشب مقطوعة من قول اليونان « فاق [سنس] كتيس (PUXINOS KTEIS) πύξινος Κτείς أي مُشْط من خشب البَقْس . والأمشاط كثيراً ما تتخذ من هـذا الخشب الصُلْب المنيع الى يومنا في الديار التي تستعمل فيها أمشاط الخشب ، كالعراق، وايران ، وجزيرة العرب .

فهل رأيت كيف أن الكلمة الواحدة العربية تنظر الى عدة مفردات في لغات الاجانب ، وكيف ان هذه اللُغَى تُوضح لنا معناها ، على ما وضعت عليهـا في أول خَلْقها ، وكيف أن معارضة العربيَّة بسائر اللغات ، تفيدنا فائدة لا يُسْتَغْنَى عنها ؛ فهي تُعيننا لا محالة على الاهتـداء الى مُؤَدَّيَاتها بلا عناء ولا كُلْفة ، بل تحتاج الى سعيٍ مُتَوَاصل لكي لا يفوتنا شيء البتَّة . وهذا الذي نريدهُ من لغويّينا في هـذا العصر ، لأن بغير هذهِ المعارضة والمقابلة ، نَبْقى مقيّدِي الأيدي والأرْجُل بلا أدنى تقدم في سبيل هذهِ اللغة المنيفة الشريفـة ، ولا ننتفع مِمَّا يُعنى بهِ فقهاء الافرنج في لسانهم ، إذ نراهم يعارضون مفرداتهم بجميع الألسنة التي تشبهها عن بعد أو عن قُرْب .

فالسلف اتصلوا بأُممٍ مختلفة وبألسنة شتَّى وأهم هذه اللغات العبرية والأرمية والفارسية واليونانية واللاتينيَّة (أو الرومية) فلا بد للغوي العربي أن يُلمَّ بهذهِ اللُغَى إلماماً مجملاً ليتمكن من الجري في سبيل تحقيق أمنيتهِ ؛ وإلا فلا علم ، ولا تقدّم ، ولا ولا ولا .

وقد أظفرتنا هذه المعارضة الثمينة بمعرفة معاني الفاظٍ كثيرة كانت مشكلة ومبهمة، وبعدها أصبحت لنا أوضح من الشمس في رائعة النهـار وزال عن الفكر كل شُبْهة

ومعضـلة ، فعرفنا بها حقيقة كثير من الحيوان ، والنبات ، والمعـدن ، بل كثير من شؤون هذهِ الحياة وما يتصـل بحاجها من الأدوات والماعون . وقد امتدَّ النفَس في هـذا البحث الجليل لمنزلتهِ في اللغة ، ولاهمال أهل البحث لهُ مع ما هو عليهِ من الخُطُورَة والرفعة والبال .

٢١ً . تناظر العربية واليونانية

أجمع البُصَرَآء والحُذَّاق في اللُغى المختلفة ، وعلى رأسهم المستشرقون أن لا صلة البتة بين الألسنة السامية والألسنة اليافثية ، ولا سيما لغة قحطان ، فأنها أبعـد اللغى عن الهِندية الفصحى (أي السنسكريتية) عن كل لغة غربية .

أما نحن فنخالف الجميع على الاطلاق ، وقد وجدنا المشابهات بين العربية واللغتين المؤتمتين (أي اليونانية واللاتينية) عظيمة جدًّا . وبلغ بنا الاستقرآء الى هذه القاعدة وهي : كل لفظة يونانية أو لاتينية ذات هجاءٍ واحد أو هجاءين ، فلا بد من أن يكون لهـا مقابل في المُضَرِيَّة . وقد تتفق معاني اللفظتين كل الاتفاق ، وقد تبتعد قليلاً ، وهذا لا بدَّ منهُ ، بعد نزوح الدار ، واختـلاف العادات والأخلاق ، وتغيُّر الأهوآء والأهوية والمياه ، الى غير هذهِ الأمور التي تؤثر في المرءِ تأثيراً لا يمكن إنكارهُ . فاذا كانت هـذهِ العوامل أدَّت إلى نتائج عظيمة في اللغات الساميات نفسهـا ، تلك الساميات الاخوات ، فكيف لا تصدم اللغات المتبايِنَة في عناصرها وأفواههـا صدمة أعظم ، بل صـدمة عنيفة مزعزعة للاصول والفروع معًا ، بل صدمة تشبهُ ما تفعـلهُ القارعة في يوم الدين ! .

وقد تتبعنا أصول الكلم في اللغتين المؤتمتين ، فوجدنا لكل كلمـة ذات هجاءين فيهمامفردة مقابلة لها ولم نهتدِ إلا لبضعة ألفاظ ، وربما نهتدي اليها مع الزمن. والذي لم نظفر بمقابلاتهاتكون على نسبة اثنين الى العشرة لا غير ، وإلا فاننا وفقنا لما بقي منها .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على أصح المصادر في هذا العلم وأوثقها حجة . ونحن نذكر هنا بعض الالفاظ من باب الاستشهاد، والاَّ فالبحث الوافي يقع في مجلد ضخم،

لكلٍّ من اللغتَيْن. فنذكر هنا ما يتعلق باليونانية . وفي الفصل الآتي نذكر ما يقابل اللغة اللاتينية . فنقول :

١ً (αἴγλη ,aiglè) الضياء أو البَرْقة éclat de lumière قال بوازاق – وهو من مشاهير اللغويين الأثبات – : هذه اللفظة تحوي الدرجة الأولى من الأصل AIG الذي معناهُ : « هَزٌّ وقذف » ثم حاول أن يُدْنيها من لفظة في الهندية الفصحى وختم قولهُ بهذهِ الكلمة : « إن معنى اللفظة الأول هو الحركة الفجائية والتموُّج والتَرَهْرُهُ .

فالعلاَّمة الحاذق أقرَّ أن الأصل هجاء واحد AIG وعليهِ يقابلهُ في لغتنا «عَقَّ» قال في القاموس : « العَقَّة : البرقة المستطيلة في السماءِ . . . وعَقَّ السهم : رمى بهِ نحو السماءِ وذلك السهم عقيقة » اه . فان كان بين القرآءِ من ينكر هذهِ المقابلة فليفعلْ . وان كان هناك من يجد كلمة قريبة من اللغة اليونانية كقرب العربية منها ، فليذكرها لنا . ولا سيما اذا تقارب اللفظان والمعنيان معاً . وهؤلاءِ لغويو الغرب مع اختلاف قوميَّاتهم والهلَّنيون مع جماعات فقهآئهم لم يجدوا لفظة واحدة مثل هذهِ الكلمة المُضَرِيَّة التي ذكرناها .

٢ً (Βάλανος BALANOS) البلُّوطة . قال لغويو الغرب أقرب كلمة الى هذهِ اليونانية اللفظة اللاتينية glans ثم ذكروا لها مقابلات في سائر اللغى فمنها ماتبتدىء بحرف Z ومنها بحرف G ، وأخرى بحرف D ولم يعرفوا أن الكلمة التي تجانِس الهلَّنية هي العربية (البَنَان) ومعناها الأصابع أو أطرافها . والمشابهة بين البلوط والبنَان لا ينكرها بشر ؛ إلا أن أصلها العربي هو (بَلاَن) بلام بعدها الباءَ الموحدة التحتية ، لأنها ترى بهذا الحرف في جميع الألسنة كالصقلبية القديمة واللاتّية والرومية واللتوانية والبروسية القديمة والارمنية على ما عدَّد مفرداتها العلامة بوازاق . ولو كان عندنا نص عربي يذكر عربيتنا بألف سنة قبل المسيح لسمعناهم يقولون (بلان) .

وقلب اللام نونًا والنون لامًا عند السلف شيءٌ مشهور ، وفي كل سِفر لغة مذكور . وهل ينسى أحد منا الكلم الآتية : هتنت السماء وهتلت . والسُدُون

السدول (ما جال الهودج) ، والرَهْدنة والرَهْدلة ، وهو (طويئر) ، ولقيتهُ أُصَيْلاَنًا وأُصَيْلاَلاً . والشواهد أكثر من أن تحصى . فليراجع الباحث المزهر للسيوطي (١ : ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٦٩ من طبعة بولاق) فيَرَ فيهِ ما يجزأهُ .

وفي اللسان في مادة (ب ل) : « الفرآء : قولهم « بَلْ » بمعنى الاستدراك . تقول : بَلْ واللهِ لا آتيك : وبَنْ واللهِ . يجعلون اللام فيها نوناً . قال : وهي لغة بني سَعْد ولغة كلب . قال : وسمعتُ الباهليين يقولون : « لاَ بَنْ » بمعنى « لا بَلْ » قال: ومن خفيف هذا الباب : بَنْ ولاَ بَنْ لغة في بَلْ ولا بَلْ . وقيل هو على البدل » اه . ونقل هذا الكلام صاحب التاج ولم ينسبهُ الى صاحبهِ ، على حدّ ما فعل ابن مكرم إذ نقل هذهِ العبارة بطولها وحروفها عن التهذيب ولم يَعْزُهَا إلى مدوّنها .

ثم إن السَلَف قصَروا « البَنَان » بصورة (بَان) وخصُّوها بهذا الشجر المعروف بقوامهِ السَبْط اللّين و بزهرهِ الناعم كالأذناب والمُنْفَرِشة ، ويخلف قروناً كقرون اللوبياء ، و بداخلها حبّ أكبر من الحِمّص ، ولهذا الحبّ دهن طيب الرائحة يعرف بدهن البان والواحدة من هذا الشجر بانة . وسمّي كذلك لأن الثمرة تشبهُ البنانة . وسماها اليونان βάλανος أي بنفس الكلمة التي سمُّوا بها البلوط . وأما الفرنسيون فسمّوهَا BEN كما في العربية ، والعلماء يسمونها MORINGA APTERA .

ومن العربية (بنان) أخذ الاسبانيون كلمتهم BANANA بمعنى المَوْز، من باب المشابهة نقلاً عن العرب أنفسهم ، ومنهم أخذها الفرنسيون فقالوا BANANE والانكليز فقالوا BANANA . وكنت قد قرأت بَيْتَ شعر لأحد عرب الأندلس يشبه بهِ الموز بالبنان واليوم لا أتذكرهُ فهذهِ الفاظ ثلاثة أخذت عن العرب إحداهن بمعنى البلوطة ، والثانية بمعنى ثمرة البان ، والثالثة بمعنى الموزة .

فهذا فضل العربية لا ينكر ، ومع ذلك ترى من أبناء هذهِ اللغة من يعقّونها فيشهدون على أنفسهم أنهم من الأدنياء الذين عاشوا بين الشُعُوبية ، فاقتبسوا منهم آراءهم فغدوا مكروهين من أبناء الغَرْبِ ، لأنهم ليسوا من عِدَادِهِم ، وممقوتين من العرب ، لأنهم يرونهم من الشُعُوبيَّة ، التي لعنها الناطقون بالضاد ، ولا يزالون يلعنونها ما اختلف المَلَوَان .

٣ . قال بوازاق : γέφυρα GÉPHURA وهذه بالبيوتية (من لغات اليونانية) ، و BÉPHURA باللاَّقونية ، و dìphura بالغُرْطونيَّة و DÉPHURA عند غيرهم . قال ومعناها : المُسَنَّاة والجِسْر، ثم سَرَدَ أرآءَ بعضِ الحُذَّاق من أهل اللغة ، وانتهى بهِ التحقيق الى القَوْل : « أصلها غير معروف » ، لانهُ لم يتمكن من أن يهتدي إلى لفظة ثنائية الهجآء تُجيزُ لهُ توجيه الكلمة وتأييد معناها المسنَّاة والجِسْر.

أما نحن فنقول لهُ ولكلّ من ينكر فضلَ العربيَّة على جميع اللُغى قاطبةً ، إنها من (الضَفيرة) وهي المسنَّاة ، ومسألة نقل الضاد الخاصَّة بأبناء اسماعيل ، مشكلة من المشاكل منذ أقدم الزمان الى عهدنا هذا . فقد اختلفوا في تحويلها إلى ألسنتهم ، كل الاختلاف ، وأعظم دليل على هذا التشتّت في الرأي هذه الكلمة ، وان كان هناك مفردات جمة العدد ، نصرِّح بها كلما احتجنا اليها . فالاختلاف الواقع هنا ظاهر بين قبائل اليونان أنفسهم بين البيوتيين واللاقونيين والغُرْطونيين ، فأنت ترى أن البيوتيين نطقوا بها بالجيم ، واللاقونيين بالبآء ، والغرطونيين بالدال ، وسواهم بالدال أيضاً . فأقرب كلمة من لغاتهم هي ما كانت بالدال المهملة أو الذال المعجمة ، لان اليونان اختلفوا أيضاً في النطق بدالهم .

ومن أغرب الغرائب ان مثل هذا الاختلاف وقع لقبائل العرب أنفسهم في لفظ هذه الضاد التي يرمقها جميع الحُسَّاد بعيُون تدل على ما في سرائرهم من الغيرة والغَمْط .

أما ان ابناء عدنان اختلفوا في النطق بها على حدّ ما اختلفت فِرَق اليونان فظاهر من وقوع أمثال ذلكم الابدال في لهجاتهم . فقالوا في ابدالها جيماً : وضح الطريق ووجح كما في المحكم لابن سِيْدَه ، وأوضَفَهُ وأوجفهُ أي حملهُ على الاسراع في المشي ، وضرح الشهادة وجرحها ، الى غيرها وهي جمَّة العدد .

وامثال ابدالها بآءً : ضَوُل وبَوُل بمعنى واحد . وكذلك الضَئيل والبَئيل ، والبَوْنَة : البنت الصغيرة ومثلها الضَوْنَة ، والضوْضوُ كالبوْبوُ بمعنى الاصل الى نظائرها وهي لا تحصى .

وأما قلبهـا دالاً مهملة فقد قالوا في نَهَضَ : نهـد . وفي ناهض : ناهد ، وفي الضرس : الدِرْس والحُضُضُ والحُضُـد . والنعْض والنعْدُ ، شجر ، واحدته نُعْدَة ، ونُعْضَة ، (عن اللسان) الى آخر ما عندهم .

وجَعلُها ذالاً معجمة معروف أيضًا فقد قالوا : الحُضُض والحُضُـذ . وغَضَضْتُ منهُ وغذذتُ ، أي نَقَصْتُهُ . ونبض العِرْق ونبذ ، والعِضيوط والعِذْيَوط . ويقـال للاحمق أضْوَط وأذْوَط . وضَعَطَهُ وذعَطَهُ أي ذبَحَهُ . وهَضَّ الشيءَ يَهضُّـهُ هَضًّا، كسرهُ ودَقَّهُ ، وهَذَّهُ يَهُذُّهُ هذًّا : قطعهُ سريعًا ، أو هو قطع كل شيءٍ. إلى آخر ما ضارع هذه المفردات الكثيرة .

بقي علينا أن نذكر أصل معنى الضفيرة التي قلنا إنها تعني المُسَنَّاة . فواضح ان اشتقاقها من ضفر البِنَاءَ أي بناهُ . قال ابن الاعرابي : الضفيرة ، مِثل المُسَنَّاة المستطيلة في الأرْض فيها خَشَبٌ وحِجَارة . وضَفْرها : عَمَلُهَا ، من الضَفْر وهو النَسْجُ . ومنهُ ضَفْر الشَعَرِ وإدخالُ بَعْضِهِ في بَعْضٍ . ومنهُ حديث عليّ : أَن طلحةَ بن عُبَيْد الله نازعهُ في ضفـيرةٍ كان عَليٌّ ضَفَرَهَا في وادٍ كانت إحدى عِدْوَتَي الوادي لهُ ، والأخرى لِطَلْحَةَ . فقـال طَلْحَةُ : حَمَلَ عليّ السيول واضرَّ بي . ومنـهُ الحديث الآخر : فقام على ضفيرةِ السُدَّة . والحديث الآخر : وأشار بيده وراءَ الضفيرة . قال ابو منصور ، : أخذت الضفيرة من الضَفْر وإدخال بعضهِ في بعضٍ معترضًا » اه .

والضفيرة اذن قديمة في العربية ، ولو كان عندنا نصوص مكتوبة أقدم من هذه لذكرناها ، ويظهر من اختلاف لغات اليونانيين في نقل الضاد الى لغتهم ، انهُ لا يبعد عن اختلاف لغات العرب فيها ، ولعلَّ كل فخذٍ من أفخاذ قبائل الهلنيين أخذ لُغَتَهُ من الفخذ العَربيّ الذي كان ينطق بذاك الابدال . وهو أمر غير بعيد ، إذ المشابهات بيّنة كل البيان ولا يمكن أن تخفى على أي مُتدبّر لها .

٤ً . δέρω, δείρω, derô, deirô : من أغرب ما أصبناهُ في معارضة لغتنا

باللغتين المؤتمتين ، اننا وجدنا المشابهة في الاسماء كما وجدناها في الأفعـال والحروف . وهذا لم نسمع بهِ البتة ، بل هو من أغرب الغرائب . ونحن نذكر هنا مثـالاً من عشرات الأمثلة لكي لا نحرج الصدور .

الفعل اليوناني الذي صدَّرنا بهِ هذه المادة يَعني سَلَخ، ولا سيما سَلَخ الشاة ، ثم قال بوازاق: و δοϱὸς doros الزِق" . والأتيكيون يسمونهُ dérris-eôs δέϱϱις, εως

قلنا : الفعل العربي" هو هو اليوناني بعينه، فقد قال اللغويون : درع الشاة كَمنَعَ : سَلَخَها من قِبَل عُنقِهـا ودرع رَقَبَتَهُ : فَسَخهـا من المَفصِل من غير كسر، ودَرَّعهُ تَدْريعاً : خنقهُ خَنْقاً . ولم نجد في هذهِ المـادة كلمة تدل على الزِق" . لكنَّا ظَفِرنا في مادة (ذرع) بالذال المعجمـة ما يفي بالمراد . ولما سبقنا فقلنا أن الدال اليونانية أي Δ يلفظها بعضهم كالدال المهملة العربية ، و بعضهم كالذال المعجمة ، جاز لنا أن ننظر في ترجمة (ذرع) بالمعجمة ما ننشدهُ ، فاذا فيها : « ذرَعَ فلاناً : خنقهُ من ورائهِ بالذِراع كذرَّعهُ والذِراع ككتاب : الزِق" الصغير يُسْلخ من قِبل الذِراع » اه . فهذهِ تفاصيل دقيقة في منتهى الفائدة .

واولى هذه الفوائد : أننا لو أردنا أن نكتب « دَرَع أو ذَرَع » بأحرف هلَّنية فلا نجد رسماً آخر غير الذي رسم لتصويرها .

والثانية : ان الكلمة اليونانية التي تدل على سلخ الشاة ، انما تدل على السلخ من عنقها ، أو من ذراعها . ولما كان هذان العضوان متفاوتين في الشاة ، فكأن المراد من هذا السلخ ، انهُ يكون من قبل أعلاها لا من قبل أسفلها (أي رجليها) .

والثالثة : ان قدم لفظ الدال اليونانية مرة كالمهمـلة ، وأخرى كالمعجمة ، معهود عند العرب وعند اليونانيين ايضاً .

والرابعة : ان في معارضة اللغة العربية باليونانية ايضاحاتٍ و بياناتٍ لا تقدر .

والخامسة: نستدل بهذه المقابلة أن هناك الفاظاً لم يدونها العرب ، إما نسياناً و إمَّا إهمالاً ففي معارضة مادة (درع) بتركيب (ذرع) نجد مشابهاتٍ رائعة متفقـة كل

الاتفاق ، لكننا نرى ان (الدِراع) بالمهملة لم ترِد بمعنى الزِق ّ ، بخلاف الذراع بالذال المعجمة . الى غير هذهِ العوائد التي تبدو لمن يتدبَّر المادتين العربيتين والمادة الهلّنية .

وقد قلنا انا وجدنا مثل هذه المماثلات والمتناظرات في الاسماء والأفعال والحروف أيضاً . وهي كثيرة الامثلة في الاسامي ، وهذا واضح من أن المرء يضطر إلى اتخاذ الاشياء اكثر من استعمال الافعال . وأما الحروف فهي أقلّ الكل .

٥ً . نَعَمْ

ونحن نذكر لك هنا شاهداً للحروف وهو (نَعَمْ) وتستعمل اداةً للتصديق والإيجاب . وفيها لغات . قال النحاة : نَعَمْ بالتحريك ، ونَعِم بفتح فكسر ، ونِعِمْ بكسرتين ، ونَعَام بالتحريك و بألف قبل الأخير ، ونَحَمْ ، بحاء في مكان العين . وهي في اليونانية ναὶ (NAI) وفيها لغات منها : ναί δή (NAI DÈ) و ναὶ μὴν (NAI MÈN) و ναὶ μαν (NAI MAN) و ναὶ μὴν (NAI MEN) و ναὶ μέντοι (NAI MENTOI) الى غيرها وقد اجتزأنا بما سردنا . وأقرب كلمة هَلَّنِيَّة الى كلمتنا الضادية هي NAI MAN ولما كانت تلفظ سريعاً تظهر على اللسان كأن المتكلم ينطق بكلمة واحدة هي « نَيْمَنْ » . وكلنا يعلم ان العين وكل حرف حلقي يسقط من لُغَات الغربيين ، فلا عجب بعد هذا اذا كانت (نَعَمْ) تشبهُ « نَيْمَن » أو « نَعْمَن » بزيادة النون في الآخر .

وقد زاد السلف النون في الآخر في كثير من الكلم في النثر كقولهم : قَطْعَنَ في قَطَعَ ، وما عليهِ قِرْطَعْنَة أي قطعة ، فزيدت الراء في الوسط والنون في الآخر . وقالوا العُرَيْقُصَانة في العُرَيْقِصَاء لنوعٍ من النبات . وامَّا مثل الشِيْسَنِ والضَيْفَنِ بمعنى الشِيْسَع والضَيْف فأشهر وأعمّ . وكذلك مثل القُطُنّ والقُطُنُنّ في الشعر من قبيل الضرائر ، فهو أيضاً كثير غير مجهول .

٢٢ً . تناظر اللاتينية (الرومية) والعربية .

ان الهَلِّنيَّات المشابهة للعربيَّات شيء لا يُقدَّر . وأكاد أقول مثل هذا القول ، في المشابهات والمماثلات بين اللاتينية ولغتنا الضادية ، لكن لما كانت اليونانية أوسع بحراً من اللاتينية ، كانت النظائر بَيْنَ هذه اللسان وبين لساننا أقلّ . وهذا العدد ، وان كان أقلّ ، يُحْسب بالمئـــات أيضاً ، لا بالآحاد أو العشرات ، كما يسبق الوهم الى تصوُّرهِ .

ونحن نذكر بعض هذهِ الأمثلة استيفاء للبحث ، واثباتاً لرأينا الذي لا بُد من أن يستغربهُ كل من يزاول علم معارضة اللغات بعضها ببعض :

١ً (زَرَع)

هذا فِعل ، ويقابلهُ في الرومية فِعل أيضاً - وقد نبّهنا على مثل ذلك في اليونانية . والفعْل المعروف في اللغة العَجَمية المذكورة هو SERERE ، فاذا حذفنا من آخرهِ علامة الفعل عندهم ، يبقى SERE ، وقد علمنا سابقاً أن أحرف الحلق تسقط كلها من كلام أبناء الغرب ، وقد ينوب عنها أحد أحرف العــلة من أحرفهم . وقد ناب هنا الحرف E. فصارت (سَرَى) بالسين في الاولى . وهذا ما نراهُ في كثير من الالفاظ عندهم ، انهم يجعلون الزاي سيناً ، إذ الزاي تلفظ عندهم وتصــور سيناً كما هو معهود عند عارفي لغات الغَرْب ، إذن تحولت (زرع) بصورة (سَرَى) وهذا ظاهر ولا يحتاج المرء إلى إمعان في الفكر .

والذي نلاحظهُ أن كلمتنا وأصولها تبقى على حالتها ، وان اختلفت مشتقاتها من زارع ومزروع وزَرْع (اسماً ومصــدراً) ومَزْرَعة إلى آخر ما عندنا . وأما الرومان فقد قالوا في أزْرع (أنا) : سيرو SERO وفي زرعتُ سَيْڤِي SEVI ومزروع : سَـاتُم SATUM ، والزَرْع ، مصدراً : سَيْرَرَى ، أو سَارَارَا ، بإمالة الألف أي SERERE.

والزَرْع ، اسماً : سَمَنْ SEMEN ، والمَزرَعة : سَمِينَاريوم SEMINARIUM . فأي اختلافات وقعت في « أصل الكلمة » العَجَمِيَّة ، وابتعاد مشتقاتها عنـهُ ، وتشتُّت أحرف ذلك الاصل ! بينما نرى أَحْرُف أصل (زرع) الاولية باقية في جميع فُرُوعها. ولهذا كانت لغتنا أقرب الى الاصل من سواها .

٢ً (السَارِية)

في لغتنا السارية هي الاسطوانة ، ويراد بها كل ما يُسْنَد بهِ من حائط،أو سَقْف، أو بابٍ ، او مِزلاج ، أو نحو ذلك ، ويراد بالسارية أيضاً المترس ، لأن الاسطوانة أو الاصطوانة من « أُسْتُون » الفارسية وهذهِ يقع طائر معناها على جميع الشعب المذكورة وغيرها ، او من اليونانية (STOA,AS) στόα, ᾶς

وعند اللاتين SERA معناها المَتْرَس والرِتاج والمِزْلاج والمِغْلاَق . واذا سألتَ فقهاءَ لغتهم عن أصل كلمتهم ، قالوا لك انها مشتقة من SERO ويتصرف هذا الفعل هكذا : SERO,SERUI, SERTUM ومعناها أقْفَلَ وأدخل الازرار في عُرَاها ، وضم الاشياءَ بعضها الى بعض ، وخلطها بعضاً ببعضٍ ، الى ما جرى في وادي هذه المعاني .

أما نحن فنخالفهم ونقول : ان السارية العربية مشتقـة من السراة وهي الظهر ، فيكون معناها « ذَاتَ الظهر » من باب النسب كتَامِرٍ ولابن ، لأن السارية تسند ما تتخذ لهُ . واما SERERE التي قال الرومان إن منها اشتق سلفهم SERA ، فلا نوافقهم عليهِ ، بل نقول إنّ كلمتهم هذه توافق عنـدنا (شَرَجَ) . قال لغويونا : شَرَجَ الخريطة : دَاخَلَ بين أشرَاجها وشدَّها . وشَرَجَ اللَبِنَ: نضَّدَهُ وضمَّ بعضهُ الى بَعْضٍ . وانما قالوا SERERE لأن الشِين المعجمـة غير موجودة في صميم كلامهم . ولأن جيمنا تُقْلَبُ ياء عند كثيرٍ من العرب وهي لغة فاشية الى اليوم عنـد أعراب المنتفق في العراق يقولون في جرح ، ورجح ، وحرج : يرح، ورَيَح ، وحَرَى . ففعلهم هذا وفعلنا من نَبْعٍ واحد ، أو مَصْدرٍ واحدٍ . ولهذا كانت السارِية العربيَّة مُضَرِيَّةً مَحْضَةً .

٣ً . (نَضَاهُ)

يقال : نَضاهُ من ثوبهِ أي جَرَّدهُ فهو نَضِيّ ومنهُ النَّضِيّ للسَهْم بلا نَصْلٍ ولا ريشٍ (اللغويون) ، وهو كقولك : سهم عريّ من النصل والريش . والنَّضِيّ أيضاً والنِضْو : المهزول من جميع الدوابّ (اللغويون ولا سيما اللسان) كأنهُ جُرِّد من لحمِهِ ، وعَرِيَ منهُ ، والانثى نِضْوَة ، وجمع المذكر والمؤنث أنْضاء .

فأنتَ ترى من هذا ، ان النَضِيّ أو النِضْوَ ينظر الى اللاتينية NUDUS والمؤنث NUDA لا فرق في اللفظ والمعنى ، إذا نزعتَ من اللفظة الحرف S ، الذي هو من علامات الإعراب عندهم ، واذا سألتهم من أين لكم لفظكم ؛ خَرِسُوا ، أوْ لاَ أقلّ من انهم يَتَلَعْثَمون في أجوبتهم ويتمحَّلون لك ألفاظاً ، تكاد تخرّ من السَقْف عند سماعك اياها . أفليس الأجدر بهم أن يقولوا : إنهم اقتبسوها من العَرَب ؟ وفي كلامنا يُرَى الفعل ، ولهُ مشتقَّات عديدة ، تُرَى في جميع المعَاجم . دع عنك ما هناك من المفردات المأخوذة مجازاً من الاصل المذكور . فالمادة عندنا غنية وأما مادتهم فالعَوَزُ ، والفاقة ، والذلَّة ظاهرات عليها . فنحن نُبِيح لهم أن يغترفوا من غَمْر لغتنا إذ نحن العرب معروفون بالكَرَم ، والضيافة ، والجُود الذي دونهُ كل جود .

٤ً . (عَرَاهُ وعَرَّهُ)

من غريب اختلاف الآرآء عند لغويي الغرب ، تفرق نظرهم في أصل الكلمة ORARE التي معناها صَلَّى ، أو طلب من الله ما يحتاج اليهِ . ففريق اشتقّ هذا الفعل من OS,ORIS الذي معناهُ الفم ، لأن المرءَ ، إذا طلب شيئاً ، لا بُدَّ من أن ينطق بفمهِ ليفوز بمطلوبهِ . ومنهم من رأى انها من اليونانية الهومرية (arè) ἀρή وهي بالاتيكيَّة (ARA) ἀρά ومعناها الصلاة والدعآء . ولما كان الدعآء يُسْتعمل للخير وللشّرّ ، فكذلك الكلمة اليونانية تَرِد بالمعنَيَيْن المذكورَيْن . واذا سألنا الهلنيين من أي سمآء هبط عليكم هذا الحرف ؟ – قالوا إنه من الهنديَّة ARYATI أي ثَنَى ثناءً طيباً

و بالارمنية ALACEM ومعناها : تذلَّل ، واستنجد ، واستغاث ، وابتهل ، إلى نظائر هذا المعنَى .

والذي عندنا ان الكلمتين الهلنية واللاتينية تَنْظُرَانِ إلى المُضَرِيَّة (عَرَا يعرو) قال في القــاموس « عَرَاهُ يعروهُ : غشِيَهُ طالبًا مَعْروفهُ كاعْتَرَاهُ » . وفي عري : « وعرَيْتُهُ : غَشِيتُهُ كَعَروْتُهُ . » اه . وقال في (ع ر ر) : « المُعْتَرّ : الفقــير ، والمُعْتَرِضُ للمعروف من غيرِ أَن يَسْأَل : عَرَّهُ عَرًّا ، واعترَّهُ ، و بِهِ » ا ه . وقال في صدرِ تلك المادَّة أو يكاد . « وعَرَّهُ : ساءَهُ ، و بشرّ : لَطخهُ بِهِ » فالظاهر من هذا الكلام ان عَرَّهُ المضاعف سبق عَراهُ الناقص وفرَّق العرب بين المعنيين ، تبعًا لصيغتي الفِعْلَيْنِ ، إلا ان المعنى واحدٌ في الاصل ومُتَّفِقٌ مع اليوناني .

فنجيب عن اشتقاق اللاتين لكلمتهم من OS,ORIS أي الفم ، : ان المرءَ قد يُصَلّي الى الله ، من غير أن يتخذ فمهُ ذريعة لذلك ، بل ارادتهُ ؛ كما انهُ قد يتخذ الفم لغير الصلاة والعبادة . فادِّعاؤهم ان ORARE مأخوذة من هذه اللفظة ، ادعاءٌ باطل لا يقوم على سند رصين .

اما ان اللاتينية مستعارة من اليونانية بمعنى الدعآء ، خيراً كان أم شرًّا ، الى آخر ما ذهبوا اليهِ ، فهــذا الرأي أوجهُ من ذاك ، وان لم يكن صحيحًا في نظرنا . والذي عندنا ان كلمتنا (عَرَاهُ يعروهُ عَرْواً) أقرب الى ما يريدونهُ من سواها . لأنك ترى في معنى (العَرْوِ) : « الصلاة » سواء أُخرِجت من الشفاه ، أم من الارادة . وفي (العَرْو) ترى معنىً دقيقًا للصــلاة ، لأن المصلّي يَغْشى باب الله ، طالبًا معروفهُ و بركتهُ وخيراتهِ ؛ وهذا الطلب هو المقصود من الصلاة والدعاءِ . ولهذا أجمع علماء الكلام على ان غاية الصــلاة هي هذا الطلب . وهو صريح في مصنفاتهم من عرب وعجم .

فاما انها صريحة في كتب السلف ، فواضحة من انهم عرَّفوها انهــا « الدعآء والرحمة والاستغفار » (القاموس) وأما في كتب العجم فأشهر من أن تذكر . ونحن نذكر هنا شهادة لاروس الصغير لانهُ في أيدي الجميع وفي متناول الكبير والصغــير

فانهُ يقول : « الصلاة طلب الى الله » وقد جآء الاعترار في لغتنا كالاعترآء ؛ فلقد رأينا أن « المُعْتَرَّ » هو الفقير المعترض للمعروف من غير أن يسأل . وكل منَّا فقير بين يدي الله ، معترضًا لمعروفهِ ، ولو لم يَسأل بلسانهِ .

واما ان الكلمة اليونانية ARA تعني الدعآء بالخير أو بالشرّ ، فحَرْفُنا « العرُّ » المضاعف ، يُفيد أيضًا هذين المعنيين ، على ما بسطنا ذلك . فترى من هذا صِحَّة كلامنا : ان لفظة الصلاة عندهم ، أي ORARE هي أقربُ الى لغتنا من أي لغةٍ سواها.

بقي ان هناك ملاحظة لا بُدَّ لنا من ابدائها وهي : ان لغويي الغَرْب ، ولا سيَّما الالمان منهم ، البُصَراء بلسان أهل يُونان ، ذهبوا الى ان ἀρὰ أصلها عندهم في القديم ἀρΓᾶ ، وذهب آخرون الى انهُ ἀραΓᾶ أي انهُ كان في العهد العهيد بين الراء والالف الأخيرة حرف مزدوج يسمُّونهُ دِيجَمَّا DIGAMMA و ينوب عندهم دائمًا عن حَرْف محذوف ، و يكون في أغلب الاحيان حرفَ حلقٍ ، لكنهُ قد يكون حرفًا آخر ، وقد تصرفوا في هذا الحذف تخفيفًا للفظ على اللسان . وهذا مما يسلم بهِ جمهور حُذَّاقهم في الهلنية بلا شاذٍّ واحدٍ ، أيًا كان عنصرهم أو قوميتهم . ولا جرم اننا تابعون لهم في هذا الرأي الصحيح القويم الذي ليس عليهِ أدنى غبار . والمحذوف هنا « الفآء » . فاذا أعدناها الى اللفظ الجاري عليهِ الكلام،أي (عرا) الحرف المحذوف عندهم نُرانا بين يدَيْ (عَرَفة) أو عرَفات) ، التي اختلف في تأو يلها المفسّرون ، على نحو اثني عشر رأيًا ، على ما في كتب التفسير المطولة كالطبريّ والآلوسيّ . و بين تلك التفاسير ، رأي من يقول ان (عرفات) او (عرفة) سميت بذلك لأنها مقدسة معظمة ، لا لأنها عُرِفَتْ أي طُيِّبت ، أخذاً من العَرْف وهو الطيب ، بل لأن المصلين يجْتَمِعون ثمَّ للدعآء ، والابتهال ، والصلاة ، والاستغفار ، والتقديس ، والثنآء على عزته تعالى ثناءً « مَعْرُوفًا » أي طَيِّبًا .

فَنِعْم التسمية ونِعْمَ المُسَمَّى ! وهذا من فَضْل هذا البَحْث الجزيل الفائدة ، والجليل النفع .

٥ً ثُمَّ :

من الحروف التي تتشابه لاتينيتها بعربيتنا (ثُمَّ) فان الرومان يقولون : TUM ، فالمشابهة تامّة ، لا سيما عند الوقف ، بمعنى العطف ، لا بمعنى الظرف ، لأن اللفظة اللاتينية تأتي أيضاً ظرفاً ومعناها : « حينئذٍ » والكلام هنا على TUM العطفية وهم لا يعرفون من أين أتتهم .

ونحن نظن أن أداة العطف العربية « ثُمَّ » قَصر الإِرَمِيَّة « ثُوبْ » ومعناها العطف و « أيضاً » و « بَعْدُ » و « ما عدا ذلك » وهي مشتقة من (ثب) أي رجع ، وآض ، وتاب ، وعاد ، وثاب ، كما أن « أيضاً » مَصْدر آض يئيض ، أي رجع يرجع . ويصحُّ أن تكون ثُمَّ » أصلها « ثَوْبًا » أي عَوْدًا ، ورجوعاً الى الكلام الذي يجري بيننا . ثم قلبوا باءَ (ثَوْبًا) « ميماً » لقرب مَخْرَج اللَّفْظَيْنِ فقالوا: « ثَوْمًا » وبينها وبين « ثُمَّ » فرق زهيد .

فأداتنا العطفية تُؤَوَّل وقد عرفنا أصلها واشتقاقها وصحة استعمالها. أما هم فلا يعرفون من أدَاتِهم شيئاً . فاذا قلنا أنهم أخذوها من لغتنا فاننا لا نظلمهم حقهم .

ونقف عند هذا الحدّ من هذا الفَصْل ، وإلاَّ فان الموضوع واسع لا يتمُّ إلاَّ في نحو مِئَاتٍ من الصفحات من مثل هذا الكتاب ، لكثرة مافيهِ من عجائب وغرائب !

٢٣ً . تناظر الفارسيَّة واللغات المندثرة القديمة للعربيَّة

لما كانت جزيرة العرب متصلةً بالعراق ، منذ أقدم الأزمنة في التاريخ ، دخل كثير من كلام العرب في كلام أهل فارس ، كما أن كلاماً كثيراً من لُغَة الفرس دخل في لسان العرب . وقد يصعب على الباحث في بعض الأحيان نسبة الكلمة الى اللغة التي ترجع اليها من عربية أو أعجمية .

وقد قيل في بني العَبَّاب (كَكتَّان) من العرب أنهم سُمُّوا كذلك لأنهم خالطوا فارس حَتَّى عَبَّتْ خَيْلُهُمْ في الفُرَات (راجع القاموس في عبب) .

ولهذا وجب علينا أن نطيل الكلام على هذه المسألة بوضع مقدّمة تقفنا على الأمور ودخائلها .

لا نشك أبداً في أن ألفاظاً جمة ، من إغريقية ولاتينية ، تشابه كل المشابهة حروفاً سامية عديدة . ولا سيما تضارع حروفاً عربية ؛ لأنهُ إذا كان ثمَّ عشر كلمات من اللغتين المُؤْتَمَّتَيْن تناظر كلمات عبرية أو إرميَّة . فهناك مئات من الألفاظ الضادية تنظر الى اللغتين المذكورتين .

فهذهِ المجانسة البيِّنة لكل ذي عينين لم تأت عفواً،ولا من باب المصادفة والاتفاق، ولا هي وليدة توارد الخواطر ؛ لانهُ لو وقع شيء من هذا القبيل ، لكان في بضعة أَحْرُفٍ ، وليس في عشراتٍ أو مئاتٍ . إذن هناك أصل هو أبو الجميع ، ومن هذا الأب نشَأَت سَائِر الفُرُوع . وأقرب لغة تُجَاور ذلك الأب الأكبر هي العربية .

وكان السلف قد اختلط بالامم القديمة أصحاب اللغات التي كانت مبثوثة فيسقي بحر الروم ، أي بالأمم الهندية الأوربية و بسواها .

والهنود الأوربيون في مختلف لغاتهم ، غير متصلين بعضهم ببعض ، على طراز الساميين ، اذ هؤلاء تستحكم بينهم عرا النسب ، وتَشِجُ وشجاً وثيقاً ، ولا يمكن أن ينكر ما عند القبيلين من المنازل التي تدلّ على أصلهم منذ القدم . ومن هذين القبيلين نشأ العمران الأكبر ، عمران العالم الحديث ، وأَصْلُ هذين القبيلين البشريين وتطورهما ، أو تكاملهما ، هما المسألتان الرئيستان ، اللتان تُهِمَّانِ التاريخ .

على أن بعض الغربيين وشعوبيتهم يحاولون أن ينكروا كل ممالأة جاءت من قبل الساميين ، وينسبون كل تبحُّر في الحضارة ، الى العنصر غير السامي ؛ بيد أن مكشوفات العراق ، وسورية ، وفلسطين ، وديار مصر ، والهند ، هبت من قبورها ودفائنها لتفنّدِ هذا الزعم الفائل، وتكذب أولئك المتقوّلين المغرضين .

وكل ما نرغب فيهِ اليوم ، ويفيد المؤرخين الباحثين ، أن يتقصَّى الحَفيُّ في الآثار ، ليطلع على أقدم الطوارىء الآرية ، التي هبطت على آسية المتقدمة ، ويحاكم أحْدَاث تلك الأجيال محاكمة مجرَّدةً من كل غرض .

إننا نعلم أن الفريجيين ، والأرمن ، و بعض أقوام آسية الصغرى الواغلة في القدم ، كانوا ينتمون الى العشيرة الهندية الاوربية . والآن جاءت الانباء تروي لنا أن هناك

آريين أسبقين بَدَوْا لنا اليوم ليلحقوا بالعشيرة المذكورة . فانبثاق هذا الفجر الجديد يطلعنا على أمورٍ كان علماء الغرْب أنكروها قبل نحو بضعة قرون ، وهي الآن تزداد جلاءً ووضوحاً ؛ إذ يبدو لنا الآريُّون ، بل قل الآريون الأسبقون بمظهر العائشين في الشرق المتقدم عيشة تدل على أنهم كانوا يخالطون الساميين منذ الأزمان الضاربة بعرقٍ في القـدم . فالى ذلك العهد تنسب الألفاظ اليونانية والرومانية التي تشـبه في تركيبها و بنيتها و بساطتها الألفاظ السامية أو قل الأوضاع العربية .

ويرى في اللغتين المؤتمتين : اليونانية واللاتينية ، ألفاظ لا ترجع أصولها الى مواد معروفة فيهما . والذي ينعم النظر في أحدث المعاجم التي أُلِّفَت في هذه الاعوام الأخيرة كمعجم والدي في اللاتينية وأصولها -

DR ALOIS WALDE. — Lateinisches Etymologisches Worterbuch.

ومعجم بوازاق

EMILE BOISACQ. — Dic. Etymologique de la Langue Grecque.

في أصول اليونانية وغيرها ، يجد أنهم يقولون : إننا نجهل أصل هـذهِ الكلمة . فاذا قالوا مثل هذا وقابلتهُ بما ورد في لغتنا المبينة ، فهي وحدها مفتاح اللغـة ، على ما بيناهُ في طائفة من الجرائد والمجلات كالهلال والمقتطف ولغة العرب ومجلة مجمع اللغة العربيّة الملكي وغيرها مما لا يخفى على أحدٍ .

٢٤ً. جواب على اعتراض بخصوص العربية الأولى والمتأخِّرة

ورب معترض يقول : ان العربية العصرية ، أو العربية التي استحكمت أصولها قُبيل الاسلام ، غير العربية القديمة ، التي كانت في تلك العصور الضاربة في القدم . فعربية هذا العهد حديثة بالنظر الى اللغتين المؤتمتين ، ولا سيما مدوناتهما ، فانها - ولا شك في ذلك - أقدم عهداً من مدوّنات عدنانيتنا بعدة قرون . فكيف يسوغ القول بما ذهبت اليهِ ؟

قلنا : إننا لا ننكر من هـذهِ الحقائق إلا بعضاً منها . نعم ، ان الصيغ والتراكيب والمباني في لساننا قد تختلف عما كانت عليهِ في الازمان البعيدة العهد ، إلا ان « مادتها الاصلية واحدة » وهذا هو المهم والمعوّل عليهِ في مُعارضة اللُغى بعضها بِبعْضٍ للحكم على أسبقيتها .

وا كثر هـذهِ الموادّ تعرف عروبتها من تركيبها الأُحاديّ الهجاء ، الثنائيّ الحرف ، أي انها في أبسط حالة يمكن أن تكون عليها الكلمة ، في أول وضعها ونشوءها . وقد مرَّ الكلام على ان المضاعف الثلاثي عندنا هو في الحقيقـة احاديّ الهجاء (راجع الفصل السادس) وكيف تفرعت سائر الصيغ .

ومما لا ينكرهُ إلا المعاندون الحمقى ، ان اناساً من الحِثّيين ، كانوا في عداد التروادِيين ، وكانت صِلاتُهم باليونانيين الاقدمين الابطال ، من أوثق الصِلات وأقواها . وقد أثبتت الاخبار : ان ا كابر الحِثّيين كانوا يصاهرون اماثِل اليونانيين . ووجد اليوم من الانبـاء القديمة ان الدولة الأَخائِيَّة الكبرى ، — تلكم التي ترتقي الى النصف الثاني من الألف الثاني قبل المسيح — كانت تراسل عظماء الديار التي نسمّيها اليوم بالاناضول القَبَّاذُقِيَّة ، وتواصلهم وِصالاً مُهماًّ خطيراً ، يدل على ارتباط القلوب ، بعضها ببعض .

زد على ما تقدَّم ، أن اخبار التوراة تفيـدنا ان أبناء (حِثّ) ، كانوا ينزلون ربوع كنعان ، من شماليها الى جنوبيها . وكان من الحِثّيين فرع ثالث يقيم في قِيلِيقية ، وكانوا مرتبطين بالحثّيين الكنعانيين — شماليين كانوا أم جنوبيين — ارتباطاً وثيقاً ، وعَزَّزَتْ هذه الحقيقة مكشوفات فجر هذا العصر .

ومن الأَدِلَّة المثبتة لهذه الاسانيد ، المكاتبة التي عثر عليهـا أهل البحث في (تلّ العمارنة) ، فان أغلب ما فيها ، يدور محورهُ على شؤون كنعان . ولغـة تلك المكاتبة الرسمية المألوفة هي الساميـة ، وفيها أمثلة من رسائل أخرى : عبارتهـا

مِيتَنِيَّةٌ [١] وحِثِّيَّة . وهذا ما يدل دلالة صريحة،على ان ارتباط الساميين بالأَسيانيّين [٢] كان ارتباطاً وثيقاً محكم الإِبرام والشرج ، فهو إذن دليـل تاريخي منيع لا يتيسر نقضُهُ .

على ان في لغتنا من الاوضاع الدخيلة ما لا يمكن انكارهُ . وقد أقرَّ بهذه الحقيقة ائمة اللغة انفسهم . واقتباسهم لتلك الالفاظ لا يدل على ان لغتهم خلت منهـا ، بل كان ذلك من الاكثار من المترادف ، أو للتفاهم مع أقوام لا يفهمون إلاَّ المهم من كلامهم ، أو لأن في بعض الحروف الدخيلة خفة ورشاقة وذلاقة لا ترى في لسانهم ، أو للمباهاة ببعض الفاظ الاغراب والأجناب الى اسباب أخر قد تخفى علينا اليوم .

وفي كتابنا هذا فصل وسمناهُ « بالحرب بين الكلم العربية والغريبـة » يدلّ على انهُ كان للسلف الفاظ تغنيهم عن اتخـاذ الدخيل ، ومع ذلك اتخذوهُ ، فقتل الدخيل الاصيل ، حتى انهُ ليصعب على السامع فهم الكلام الصميم العربي بعد أن اعتاد سماع الاجنبيّ الاعجمي ، والفهُ كل الالفة .

والالفاظ الفارسية في العربية كثيرة ، لاختلاط السلف بالفرس ،منذ أقدم الازمنة، على ما تقدمت الاشارة اليهِ في صدر هذا الفصل . ولعلها اللغة التي أبقت أثراً في لساننا أكثر من سائر الالسنة . ونحن لا نُريد ان نسترسل في هذا الموضوع ، وقد سبقنا اليهِ أحد مطارنة الشرق ، وهو السيّد أدَّي شير ، من أخلص أصدقائنا ، رحمهُ الله ، واسم كتابهِ : « الالفاظ الفارسية في اللغة العربية » – على انهُ فاتتهُ الفاظ كثيرة ، كما اننا لا نسلّم له بكل ما نسبهُ الى لغة الفرس .

والكتاب ليس بين يدينا ، ونحن نكتب هذه الكلمة بعيدين عن خزائننا ، إلا

---

(١) مِيتَنيّة نسبةٌ الى مِيتَنّة . ومِيتَنَّةُ (بميم مكسورة يليها ياء مثناة تحتية ساكنة بعدها تاء مثناة فوقية مفتوحة ، فنون مشدّدة مفتوحة فهاء) بلاد في شمالي العراق وسورية . وكان لسان اهلها يشبه الحِثّي .

(٢) الأسْيَانيون . لفظة حديثة الوضع،أُمَم كانوا في ماندسمّيهِ آسية الصغرى او آسية المتقدمة ، او برّ الاناضول . وهم غير الامم اليونانية المعهودة . ويسمى لسانهم الأسْيانيّ وهي نسبة الى آسية نسبة شاذة . للدلالة على اولئك الاقوام غير اليونانية .

أننا نتذكر اننا قرأنا في كتاب السيد أدَّي شير ان السَرَاب من أصـل فارسي ، من (شور آب) أي مآء مالح ، مع اننا نعتقد أنهُ من (سَرَام) الهندية الفصحى أي الماء. واللغويون من السلف يقولون بأنهُ عربيّ صميم ، وقد يكون ، وقالوا انهُ من سَرَب المآء اذا جرى ، أو من سَرَب الرجل في الارض : اذا ذهب على وجههِ فيها ومضى. على أنَّ التأويل الذي يقرب من الطبيعة أصح وأولى وأوجهُ من سواهُ .

وقلب ميم (سرام) باءً أشهر من أن يذكر ولا ينكرهُ أحد ، وعندنا مئات من المُثُلِ والشواهد ، ولو نعرف أن هناك من ينكرهُ ، لامطرناهُ شواهد. فنكتفي بالاشارة اليهِ خَوْفاً من ملء الكتاب أموراً هي من قبيل تحصيل الحاصل لا غير .

وبقولنا: انهُ مأخوذ من الهندية الفصحى (أي السنسكريتية) لا نريد ان نقول إن العرب أخذوهُ من الهنود مباشرة ، بل عن يد آخرين وهم الفرس ، لأن لسانهم من الالسنة الهندية الاوربية ؛ إذ في اتخاذ الالفاظ من أُمَّةٍ دون امة ، شروط لا بد من مراعاتها . وإلا تعـدَّدت المزالق بين يدي الباحث ، ولذا دَحَضَتْ أرْجُل رِجالٍ لا يحصى عديدهم ، وبينهم طائفـة غير يسيرة من كبار العلمآء ، من أبناء الشرق والغَرْب .

٢٥ . تناظر اللغات السامية والعربية

كثيراً ما يقول العبريون . ان اللفظة العربيـة الفلانية هي من العِبْرية . وكذلك يزعم من كان عارفاً باللغة الارميَّة (التي يسميهـا بعضهم خطأً سريانيَّةً أو كلدانية) ويدعوها بعض أبناء الضاد « اللغة النبطيَّة » وهي أصحُّ من قولهم سريانية أو كلدانية ، لأن النبطية هي المندائية أي انها اللغة الارميـة ببعض مزايا وخصائص وبخلوها من أحرف الحلق الضخمة كالحآء والخآء والعين .

قلنا : ان اللُغَات السامية كلها تتشابه بعضها مع بعض ، ولا تكون الكلمة العربيَّة من العبرية أو من الارمية ، إلا اذا كانت تلك الكلمة خاصة بشؤون بني إرم أو بني إسرائيل . أما الالفاظ العامَّة المشتركة بين الساميين جميعاً فليس ثَمَّ فضل لغـةٍ على لغةٍ ، ولا اسبقيةَ وضعٍ لهذا القوم دونَ القوم الآخر .

قال ابن حَزْم في هذا البحث : « ان الذي وقفنا عليهِ ، وعلمناهُ يقيناً ، أن السُرْيانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مُضر وربيعة - لا لغة حمير - واحدة ، تبدَّلت بتبدُّل مساكن أهلها ؛ فحدث فيها جَرْس كالذي يحدث من الاندلسيّ اذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني ، اذا رام لغة الاندلس ، ومن الخراساني ، اذا رام نَغْمتها . ونحن نجد من سمع لغة أهل (فَحْصِ البَلُّوط) وهي على ليلة واحدة من قُرْطُبَة ، كاد يقول : انها لغة أخرى غير لغة أهل قُرْطُبة . وهكذا في كثير من البلاد ، فانهُ بمجاورة أهل البلدة بأُمَّةٍ أُخرى ، تتبدَّل لغتها تَبدُّلاً لا يخفى على من تأمَّلَهُ .

« ونحن نجد العامة قد بدَّلت الالفاظ في اللغة العربية تبديلاً ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغةٍ أُخرى ، ولا فرق ، فتجدهم يقولون في « العنَب » : « العِينَب » وفي السَوْط » · « أسطَوْط » ، وفي « ثلاثة دنانير » : « ثَلَثَّدَا » [1] . واذا تعرَّب البربري ، فأراد أن يقول : « الشَجَرة » قال : « السَحَرة » . واذا تَعرَّب الجِلّيقِيُّ ، ابدل من العين والحاءَ : هاءً ، فيقول : « مُهَمَّد » ، اذا أراد أن يقول : « مُحَمَّد » ومثل هذا كثير .

« فمن تدبَّر العربية والعبرانية والسريانية ، أيقَنَ ان اختلافها من نحو ما ذكرناه ، من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم . وانها لغة واحدة في الاصل » اه كلام ابن حزم

فمثال الكلم العبرية الاصل « التوراة » فانها من « تورا » ومعناها شريعة وسُنَّة . ومنها أيضاً : اسرائيل ، وجبرائيل ، وميكائيل ، واسماعيل ، وجهنم ، وصدوقي ،

---

(١) قال صاحب هذا الكتاب : وعوام بغداد يقولون مثلاً في اثنى عشر وثلاثة عشر واربعة عشر وخمسة عشر وستة عشر وسبعة عشر وثمانية عشر وتسعة عشر : اِطْنَعَشْ وطْلَطَّعَشْ وأرْبَطَعَش وخَمَسْطَعَش و سِطَّعَشْ وسْبَاطَعَش وثمِنْطَعَشْ وطِسَاطَعَش

وفر يسي ، وعنصرة ، ولاويّ الى غيرها . فكل ما هنا خاصّ باليهود والعرب أخذوا عنهم هذه الكلم .

وأخذوا من الارمية : بُرْشان ، وبَرْنَسَاء (وقالوا فيها بَرْنَاسَاء وبَرْنَشَاء) وبَاعُوث . وقالوا فيها ايضاً : بَاغُوث ، أي انهم اذا نطقوا بها بالعين المهملة جعلوا الثآء الاخيرة مثلثة ، واذا نطقوا بها بالغَيْن المعجمة جعلوا الثآء الاخيرة مثناة . ذكر ذلك صاحب القاموس وهذا غلط والدِنح (وأكثر كُتَّاب الاخبار والتاريخ صحفوها « الذِبْح » أي بذال معجمة وباء موحدة تحتية) والإِسْكيم ، والسِلّيح ، والسُلاَّق ، والسِملاّج ، والإِشْبِين ، أو الشَبين ، والشمَّاس ، والمعمودية ، والثالوث ، والجَبَروت ، والكَهَنوت ، والملكوت ، والطَيْبُوت ، (وكتبها كثيرون : الطَيْبُوث بثآء مثلثة في الآخر) والبِيْعَة ، والكنيْسَة ، والكِرْح ، والقِلاَّية ، والقِلّيَّة ، والمسيح ، الى غيرها .

فهذهِ الكلم أغلبها نصرانيــة دِينية وقد سبق الارميون النصــارى : العرب المسيحيين فأخذ هؤلآءِ كل ما يتعلَّق بالديانة النصرانية عن اولئك ولا يقــال إنها عربيَّة ، وان كانــ لهــا وَجْه تأويلٍ في هذهِ اللغة المُضَريَّة ، لأن اول الواضعين لها لم يكونوا عرباً ، بل من ابنآءِ إِرَم .

ولا نريد أن نطيل النفَس في هذا الفصل ، لأن من عادتنا أن نطلق العنــان لليراعة في الميادين التي لم يَجْرِ فيها فُرْسَان العرفان ، ونُمسك عن الجري في المواطن التي كثر فيها البحث . ولهذا نقف عند هذا الحدّ من البيان .

٢٦ . تناظر اللغات السكسونية والعربية

ما أظن ان فكرة هذا التناحر خطر على بال أحدٍ ، ولا تعرَّض لهُ باحث من أرباب اللغة ، فانهُ كالسحابة الرقيقــة في افق السمآء ، تلك السحابة بل اللطخة التي لا تكاد تراها العين لرقتها وخفّتها . ومع ذلك نودّ أن نتعرض لهــذا البحث ليظهر

لكل ذي عينين انهُ كان العرب قد اتصلوا بقومٍ يمتّون الى السكسون بسبب من الاسباب هُوَ هذا :

السكسون قبيل من الجرمان وكان هذا الجيل متّصلاً أشدَّ الانصال بالآريين، وكانت منازل الآريين ديار ايران - وما ايران إلا مقلوب أريان - فاتصل بهم الناطقون بالضاد على صعيد العراق ، والعراق رقعة قديمة من رقاع جزيرة العرب ، وكان الاختلاف اليها مَعروفاً منذ أقدم الأزمنة ، فاتصل اذن آباء الجرْمان بآباء العرب . فوقع الى سلفنا من الالفاظ ما اتفق بعضهُ مع بعْض كلامهم . وعلى ذلك نرى إلى اليوم آثاراً من ذيالك الاختلاط الضارب في القدم . ونحن نذكر بعض ما يحضرنا من هذا القبيل :

١ً . ذن

ذكر صاحب القاموس في مادة (اذن) : « إذَنْ : جواب وجزاء ، تأويلها ان كان الأمر كما ذكرت . ويحذفون الهمزة فيقولون : « ذَنْ » واذا وقفت على « إذَنْ » أبْدلت مِن نونهِ الفاً » اه . قلنا « ذَنْ » هي أقدم صورة للكلمة وأُتي بالهمزة لتكون الكلمة على ثلاثة أحْرُفٍ . و (ذَنْ) تنظر الى الانكليزية مبنًى ومعنًى أي THEN وقد تكلمنا عليها كلاماً طويلاً في ص ١٣ فارجع اليها .

٢ً . بَيْد

في القاموس : طعام بَيْد أي رديء وهو بالانكليزية BAD وقد قال وبستر شاكاً في هذا الاصل - : لعلها من الانكليزية السكسونية BAEDEL أي الخنثى وقابلها بالكلمة BAEDLING أي المخنَّث. وأما في لغتنا فكأنما الرديء سمّي بهِ لانهُ أهل لأن يبيد أي يهلك ، أو عرضة للتلف والهلاك . ثم لاحظ كيف ان الانكليز لم يهتدوا الى معرفة أصل كلمتهم معرفة تامة .

٣ً . بَيْد

قال ابن مكرم : بَيْد بمعنى « غير » . يقال : رجل كثير المال ، بَيْد انهُ بخيل .

معناهُ : غير انهُ بخيـل . حكاهُ ابن السِكّيت . وقيل : هي بمعنى « على » حكاهُ ابو عبيد . قال ابن سيده : والاول أعلى . وأنشد الأُموي لرجل يخاطِب امرأةً :

عَمْداً فعلْتُ ذاكِ « بَيْدَ أنّي » إخالُ إنْ هَلَكْتُ لم تَرَنّي

يقول : على أني أخاف ذلك . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليهِ وسلم ، أنهُ قال : « أنا أَفْصَحُ العرب ، بَيْدَ أَنّي من قُرَيْشٍ ، ونشأتُ في بني سَعْدٍ » . « بَيْدَ » بمعنى « غير » . — وفي حديث آخر : « نحن الآخِرون ، السـابقون يَوْمَ القيامة ، بَيْدَ أنهم أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِنَا ، وأُوتيناهُ من بَعْدِهم . » — قال الكسائي : قولهُ « بَيْدَ » معناهُ « غَيْرَ » — وقيل معناهُ : « على أنهم » . اه كلام اللسان .

فَبَيْدَ بمعنى « غير » تنظر الى الانكليزية BUT وقد تكلم عليها وبستر كلاماً طويلاً ، وحاول محاولات عدة ليقنع القارئ بتأويلهِ وشروحهِ . فنحوّل الباحث عليهِ ، إلا أننا نجلب نظرهُ إلى أن الصـلة بين اللفظين العربي والانكليزي واضحة كل الوضوح .

٥ً . (الذَّيْل)

الذَيل : الذَنَب وآخر كل شيء وهو ينظر الى الانكليزية TAIL قال وبستر : هو بالانكليزية السكسونية TÆGEL,TAEGL ويتصل بالجرمانية ZAGEL والاسلنـدية TAGL والأُسوجية TAGEL والقوطية TAGL ومعناها الشَعَر . وأصل العربية أقرب إلى العقل ، لان معناهُ : آخر كل شيء . فقد يكون الذنب آخرما في الحيوان أوالسمك أو الحشرة وليس هناك شعر . فليحكم الباحث بعد هذا الى صحة ما في لغتنا وما فيهـا من الحكمة وإيضاح الحقائق .

٤ً . (المِلْح)

قال ابن الاعرابي : « المِلْح [بالكسر] : اللبن . — ابن سِـيدَه : ملح : رَضَعَ » اه . (راجع اللسان في ملح وكذلك القاموس والتاج) فالمِلْح ينظر الانكليزية

MILK ومعلوم أن ليس لليافثيين حرف حلق ، فيجعلون في مكانهِ أحرُفاً مختلفة ولا يتبعون في إبدالهم هذا قاعدة مطردةً ، فمرة يضعون الهاء H وتارة C أو K ، وأخرى CH وحيناً KH ، وكثيراً مايسقطونها بتاتاً في كلامهم ، إلى ما يتخذونهُ من الاسباب بلوغاً إلى أمنيتهم ، أو تحقيقاً للفظ الساميّ قال وَبْسْتَر في معجمهِ [وفيهِ ترى تنقل الحاء الى أحرفٍ مختلفة] فيMILK هو بالانكليزية السكسونية: ,MEOLUC, MEOLOC, MEOLC MILC قال : وهو يتصل بالأصل الفريْسـياني القديم أي OLD FRIESIC الذي هو MELOC وبالهولندية MELK وبالجرمانية MILCH ، وبالألمانية العالية القديمة MILUH وبالأسلندية MJOLK وبالدنيمركية MELK وبالقوطية MILUKS وبالجرمنيةMELKEN أي حَلبَ وهو بالجرمنيَّة العالية القديمة MELCHAN ، وباللّثْوَانيَّة MILSZTI ، وباللاتينية MULGERE ، وباليونانية ἀμέλγειν ('AMELGEIN) .

وقد نقلنا كل ذلك بحروفهِ عن وبستر وهومن أعظم اللغويين الأميركيين معرفةً للانكليزية ، لغرضين : الأول : لتقارب اللغات السكسونية بعضها من بعضٍ وكيفية انتقال الحرف الواحد الى صور مختلفة باختلاف الأقوام . والثاني لتوجيهِ نظر الباحث الى أن بعض المفردات العربيـة والسكسونية تتشابه مشابهة أو تتناسب مناسبة لا بد من القول بوجودها ،ولا ينفع النكير فتيلاً بعد هذا الدليل الجليل .

٦ . (باع)

باع : يفيد في لغتنا معنيين . معنى أعطى رجلاً ما يملكه بدل ثمن يقبضهُ ، ومعنى اشترى شيئاً من رجل . فباع بالمعنى الثاني هـذا يقابلهُ بالانكليزية TO BUY وهي تلفظ كالعربية ما خلا العين ، فانها ليست في لغتهم لأنها من أحرف الحلق وإلافانها تلفظ (بَاي) والمعنى واحد .

قال وَبْسْـتر في BUY هو بالانكليزية القديمة BUGGEN, BIGGEN, BIEN وبالانكليزية السكسونية BYCGAN وهو يتصـل بالسكسونية القـديمة BUGGEAN

و بالقوطية BUGIAN وهنا أيضاً تقلبت العين تقلُّباتٍ شتى بحسب القوم الذي نطق بها. وهذا دليل آخر على أن الحرف الحلقي لا يبقى على حالةٍ واحدة حين انتقالهِ الى لغات اليافثيين على ما يتوقع منهم .

على أن العرب أنفسهم تصرَّفوا في لفظ العين على حدّ ما تصرَّف فيها الاجانب، وعندنا أدلة لا تحصى ليس هنا محل إيرادها لكثرتها وخروجها عن الموضوع. بيد أننا نقول أنهم ذكروا للفعل : (باع) يبيع كالمعنيين المذكورين : (بَاكَ) يَبُوكُ وهو غريب .

٧ . (حَسَّ)

المراد بِحَسَّ هنا أحد معانيهِ قال في اللسان ما هذا بَعْضُهُ : حَسَّ البردُ الكلأَ يحُسُّهُ حَسًّا : أحرقهُ . فالحِسُّ : بَرْدٌ يُحْرِقُ الكلأَ ، وهو اسم : وقد ذكر أبو حنيفة الدينوري أنَّ الصاد لغة فيهِ . وفي كلتا المادتين في اللسان كلام طويل .

قلنا: وهو يقابل الانكليزية TO ICE أي جَمَّدَ تجميدًا أوأجمد إجماداً قال وَبْسْتر : ICE بالانكليزية القديمة IS, IIS و بالانكليزية السكسونية IS وهي تتصل بالأصل الهولندي IJS و بالجرمنية EIS و بالجرمنية العالية القديمة IS و بالأسلندية ISS و بالأسوجية IS و بالدنيمركية IIS ولعلها تتصل بالانكليزية IRON التي معناها الحديد، كأن الجَمَدَ غَدَا صُلْباً كالحديد .

وفي هذهِ الألفاظ سقطت الحاء وهي من الأحرف الحلقية . ورأينا السين نُقلت الى بعض اللغات بالحرف الغربي S ونقلت الصاد بحرفين غربيين أي SS كما في الأسلندية .

وقد اجتزأنا هنا بمعارضة حرفين عربيين ، واسمين عربيين ، وفعلين عربيين ، بأمثالها من اللغة السكسونية ، وعندنا غيرها . إلا أن هذهِ الشواهد تدل على أن هناك أمثالاً عديدة تؤيد هذهِ الفكرة وهي أن أجداد الناطقين بالضاد اتصلوا بآباء

السكسون من قديم الزمان ولا يعــرف ذلك الوقت ، إلا أن الآثار اللغوية لا تبقي شكاً في هذا الموضوع .

٢٧ً . منافع معارضة العربية بغيرها من اللغات

ان منافع معارضة اللغة الضادية بغيرها من اللغات لا تقــدر . ولا يمكننا أن نأتي على ذكرها كلها ، إلا أننا نذكر بعضها ، اذ مالا يدرَكُ كُلُّه ، لا يترك جُلُّهُ .

فأول هــذهِ الفوائدِ أنها تطلعنا على معاني بعض الكلم التي لم يشرحها لغويونا الأقدمون شرحاً كافياً ، لنقف على حقيقــة المشروح وقوفاً يُصَوِّرُهُ لنا تصــويراً لا نرتاب فيهِ . فهناك ألفاظ قالوا فيها (معروف) ولا بدَّ أنهُ كان معروفاً عندهم حينئذٍ ، وأما اليوم فان طائرَ الريب والشك ، يحوم حولهُ . وهناك الفاظ لم يذكر منها إلا بعض الشيء الذي لا يكفي لتعريفهِ . كقول القاموس : « الدُهْنة ، بالضمّ ، الطائفة مِنَ الدُهْن والجمع أدْهَان ودِهان . وقد ادَّهَنَ بهِ ، على افتعل . والمُدْهُن بالضم آلتهُ وقارورتهُ ، شاذّ » اه . هذا كل ما ذكرهُ في هذا المعنى فما هو الدُهْن ؟ فلنسأل ابن منظور ، فلعلهُ يوضح لنا معناهُ .

قال في مادة (دهن) : « الدُهْن : معروف . دَهَنَ رأسهُ وغيرهُ ، يدْهُنُهُ دَهْناً : بَلَّهُ . والاسم : الدُهْن والجمع أدْهان ودِهَان . » الى آخر ما سرَدَهُ من الكلام ، والأبيات ، والأحاديث ؛ لكن لم يتبيَّن من كل ذلك معناهُ الواضح .

وقد كتب أحد الأدباء مقالاتٍ في المقتطف في جزء أبريل (نيسان) ويونيو (حزيران) من سنة ١٩٣٦ وفي جزء ابريل من ســنة ١٩٣٨ محاولاً أن يقنع أدباء العرب أن المراد بالدهن ، الزيت الذي يتخذ من عصر بعض الأنبتة ، مخالفاً بكلامه هذا ما هو شائع عند جميع أبناء الناطقين بالضاد وهذا الشائع هو أن الدهن يراد بهِ كل جوهر دسم من مَعْدِنيّ ونباتيّ وحيوانيّ على ما ورد في كلام كبار لغوييهم وكتَّابهم . وأظن أن من يطالع هذهِ السطور يتهمني بأني أنسب اليهِ مالم يَقُلْ ، فأنقل آخر عبارة وردت في كلامهِ (أي في مقتطف ابريل ١٩٣٨) ودونكها بنصها :

...«فنجد أن[1] الأَب أنستاس واهم في ما قالهُ فالدهن لا تفرزهُ رؤوس الناس[2] لا نساءً ولا رجالاً بل هو الدهن أو الزيت[3] كما جاء في القرآن الكريم فالاب جعلهُ شحماً رغبةً منهُ في جعل الدهن كذلك ، وهو مخالف للآية التي ورد فيها الدهن . ومن العجب[4] أن ذلك يجوز على الجوهري والفيروزابادي والزبيدي ولاين[5] الأعجمي . ولو تبصر الاب أنستاس في عبارة التاج لما حصل لهُ هذا الوهم[6]. فالدهن

(١) نحن لا نمس النصّ بشيء . لكن نشير هنا في الحاشية الى ما في كلامه وفكره من الضعف . — فقولهُ : « فنجد ان الأب » غير صحيح والصواب : فنجد الأب . قال في اللسان « وجد مطلوبهُ والشيء يجدهُ وجوداً . » ولم يقل : وجد ان مطلوبهُ .

(٢) قوله : « لاتفرزهُ رؤوس الناس لانساءً » . خطأ ظاهر . والصواب : لا تفرزهُ رؤوس الناس نساءً ولا رجالاً . لان النفي الذي يتقدم النساء موجود في قوله: لاتفرزهُ ومنه الآية : « وقالوا لا تَـذَرُنَّ آلهتكم ولاتَـذَرُنَّ وُدا ولا سـواعاً » ولم يقل : لا تذرُنَّ لا آلهتكم .

وقولهُ : « لاتفرزهُ رؤوس الناس » ، قول مدهش لانه امر لا يجهله أصغر طلبة المدارس فان الذين يعرفون الفرنسية مثلا يقرأون في معجم لاروس الصغير الذي بأيدي الطلبة ما هـذا معناه : « الدهن جوهر دسم يسهل ذوبانه ويكون في الانسان والحيوان . ودهن الحيوان صرفاً كان ام غير صرف ، يتخذ لطبخ الاطعمة ودهن ادوات الآلات . الى نحو ذلك . وقد يكون الدهن في النبات (ويسمى زيتاً الخ) وقد يكون في المعدن (ومنه النفط الخ) » اه كلام المعجم الصغير المطبوع في سنة ١٩٣٨ ومن يشك يطالعه في GRAISSE .

(٣) كلام لامعنى له . والصواب « لان الدهن هو الزيت » والزيت لا تفرزه الرؤوس .

(٤) قولهُ : « ومن العجب » كلام لا يتسق بسابقه ولا يلاحقه . وكان عليه ان يقول « فمن العجب » والفاء هنا سببية . فيكون معناها : « فلهذا السبب ، من العجب ان يجوز »

(٥) لا ارى سبب كتابة LANE هكذا : (لاين) فان الانجليز يلفظونها (اين) بفتحة ممال بها الى الكسر كما يلفظ العوام (بيت) حينما يقولون مثلا : (بيت لحم) . ولهذا يكتبها الافرنج BETHLEHEM وكما ان العرب يكتبونها (بيت لحم) لا (بايت لحم) كذلك يحسن ان تكتب LANE (لين) لا (لاين) لان هذا العلم ينطق به لو كتبناه باحرف فرنسية هكذا LENE . فاما ان يكتبها (لان) وتقرأ (لين) كما يكتبون (سام) وهي (سيم) اي SEM واما (لين) .

(٦) قوله : « لما حصل له هذا الوهم » قول غريب يكاد يكون هندياً او صينياً او يابانيا او بلغة لاتصل اليه افهامنا أو لم نسمع بها . أفلو قال : « لما وهم هذا الوهم » او « لما وقع في خلده هذا الوهم » او « لما سها هذا السهو » او « لما وقع في صدره هـذا الوهم » الى ماضاهى هذه التعابير وهي اكثر من ان تحصى او تحصر . أما كان احسن ؟

كما ذكرت في المقالة الاولى ولا يمكن غيرهُ (١) وكما ذكرت في مقتطفي ابريل ويونيو (٢) سنة ١٩٣٦ التي قبل السنة الماضية (٣).

فاذا أراد الواحد أن يقول الدهن فليقل أنها عامية أو مولدة (٤) امنًا للعثار فلا

---

(١) قولهُ : « ولايمكن غيره » كلام يدل على ان صاحبه متشبع من نفسه . فبأيّ سلطة يحكم هذا الحكم المطلق . والائمة اللغويون الاقدمون لم ينطقوا البتة بمثل هذا الكلام الجازم ؟ فاذا كان الدهن لم يرد بمعنى الدسم الذي يكون في الحيوان والانسان . فكيف يفسر لنا ما ورد في اللسان في مادة (ودك) : « وفي حديث الاضاحي . ويحملون منها الودك هو دسم اللحم « ودهنه » الذي يستخرج منه » ؟ انتبع حضرته ام نتبع مؤول الحديث ومن سبقه وجميع سكان البلاد العربيه اللسان ؟

(٢) قولهُ . « في مقتطفي ابريل ويونيو » قول مخالف للحقيقة ، لاننا نعلم ويعلم كل قارىء ان المقتطف يصدر مرة في الشهر لا مرتين : فكان يجب عليه ان يقول : « في مقتطف ابريل ويونيو » فيكون معنى المعطوف : ومقتطف يونيو . اما لو كانت المجلة تصدر مرتين في الشهر ، فكان القول صحيحاً . والا كيف يكون قوله لو كان المقتطف يصدر مرتين في الشهر ؟ وهناك وجه آخر للقول وهو : في مقتطف ابريل ومقتطف يونيو . على ان كلامه كما ذكره يجوز لكن على ضعف ، وهو من تعبير المولدين لا الفصحاء الصميم .

(٣) لم نفهم هذه العبارة . فحضرة المعترض يكتب في ابريل من سنة ١٩٣٨ ، ولاجرم ان يونيو سنة ١٩٣٦ هو قبل السنة الماضية اى ١٩٣٧ ، افتكون سنة ١٩٣٦ في غير وقت ، حتى يقول : « التى قبل السنة الماضية ؟ » هذا كلام مطلسم ، لانصل الى كنهه ولا نفهم وجه هذا التأكيد الغريب في بابه ولا التعبير عنه بهذه الصورة .

(٤) لانرى ولا يرى احد ان « الدهن بهذا اللفظ وهذا المعنى عامية ولا انها مولّدة ، اذ اننا وجدناها في عهد سابق للمسيح حين معارضتنا اياها باليونانية démos δημὸς فالحرف اليونانى H كثيراً مايقابل حرفاً محذوفاً ولاسيما حرفاً حلقيا وهو هنا يقابل الهاء واما الميم في آخر اليونانية ، فيقابله نون في لساننا او ميم ايضاً . ويقابله هنا نون . وهذا ليس عجيباً فان هذه المعاقبة ترى في العربية نفسها فيقال المدى والندى (الغاية) والبنام والبنان . وقال الازهرى في القعن والقعم : العرب تعاقب الميم والنون في حروف كثيرة لقرب مَخْرَجَيهما مثل الايْم والأيْن للحيّة والغَيْم والغَيْن للسحاب ولا أنكر انْ يكون القَعَنُ والقَعَمُ منها (اللسان في قعن) ونقَلهُ صاحب التاج ولم يَعْزُهُ إلى صاحبه ومن هذا التعاقب الرسّاطون واصلهُ ROSATUM والماطرون واصلهُ MARTYRIUM وقالوا بالعكس فام وهى بالرومية PANIS وقال اليونان (mairè) μαῖρα و MAIRA μαῖρα ومعناها عندهم الكوكب الاكبر والشعرى اليمانية من كواكب السماء ، وهى تنظر الى « النيّرَة » واذا خففتها قلت : « النَّيْرَة » . فتكون كاليونانية بقلب الميم نوناً

يصطدم الدهن بكتب اللغة[1] والآية الكريمة . أما الدهن والشحم فكما ذكرت في صدر هذهِ المقالة والتي قبلها . ثم ان الدهن والشحم لم يردا في القرآن الكريم إلا في آيتين فقط وقد ذكرتهما . عرفت ذلك من فهرست فلوجل اشتراهُ[2] لي وأنا في بغداد الاب أنستاس . » اه كلام الكاتب

وكان أول اهتدائنا الى معنى الدهن الحقيقي والاصلي بمعارضتنا إياها باليونانية التي ذكرناها في الحاشية هنا فكتبنا في مقتطف يوليوسنة ١٩٣٨ (أي المجلد ٩٣: ١٠٥): « هذا المعنى [الاصلي] سبق معناهُ الآخر الفرعي أي الزيت بمعنى ما يستخرج من الأنبتة ، إذ ورد بالمعنى الاول في الالياذة في ٢٣ : ١٠٥ و٢٣ : ٧٥٠ الى غيرهما من المواطن . والعدد الاول يشير الى رقم القصيدة بموجب ترتيبها ، والرقم الثاني الى رقم البيت بحسب ترتيبهِ . وجاءَ أيضاً في الاوذسَّة في ١٤ : ٤٢٨ إلى مواطن عدة أخر . وكذلك في هسيودس الاسكريّ المتوفى بين ٩٠٠ و ٨٠٠ ق م ، في قصيدتهِ الموسومة بثوغونية في البيت ٨٣٨ ، الى غير هؤلاء الشعرآء ، والكتبة ، والمؤرخين اليونانيين ، بما يضيق المقام عن ايراد شواهدهم . وذلك « قبل الميلاد » .

وأما الدهن بمعنى الزيت، فكان في أوائل النصرانية ، وقبيل الاسلام ، فحصر العرب معنى الدهن بما ماع من الشحم،أو بما يستخرج عصراً من بعض الأنبتة الدهنية أو الدَسِمة ؛ وعليهِ : كان العود الى الدهن بمعنى الشحم أحمد ، وهو الوجه الأوجه والأشبه. والأصل أحق أن يتبع، لأَنهُ إذا جاز لنا أن نتخذ الفرع حجة لنا ، فبِحُجَّة أولى أن نتبع الأصل. ويزيدنا إثباتًا لذلك وأخذاً بهِ : استعمال جميع الناطقين بالضاد

---

(١) هذا تعبير عاميّ ركيك . والصواب : لايصطدم الدهن وكتب اللغة قال في اللسان التصادُمُ : التزاحم . والرجلان يَعْدُوَانِ فيتصادمان اي يُصَادِم هذا ذاك وذاك هذا والجيشانِ يتصادمانِ . قال الازهري : واصطدام السفينتين : اذا ضربت كل واحدة صاحبتها ، اذا مرّتا فوق الماءِ بحمولتهما . والسفينتان في البحر تتصادمان وتصطدمانِ : اذا ضرب بعضهما بعضاً . والفارسانِ يتصادمان ايضاً » اه

(٢) لم نفهم سر ذكر مشتراه لفهرس فلوجل في مقالة يتكلم فيها على الدهن . ولمثل هذهِ الاستطرادات مايدفع القارىء الى الحَيْرة في مايفكر بامرهِ .

في الربوع العربية اللسان ، بلا شاذٍّ ، ومن أقدم العهـد . ولا يُهِمُّنا إنكار المكابرين لهذا الشيوع والتعميم » ثم قلنا :

« قد قلنا سابقًا : ان [الدهن] العربية تنظر الى اليونانية (المقتطف ٩٢ : ٦٤) ومعنى ذلك أنها تشبهها ، وليس معناهُ : أن اليونانية هي من العربية ، ولا ان العربية هي من اليونانية ، كما يتوهمهُ بعضهم . ولما لم يكن عندنا كلام مدوَّن يرتقي عهدهُ إلى ما قبل الميلاد ، بخلاف ما عند الاغريق ، نضطر الى النظر في هذهِ اللغة اليونانية في الالفاظ المشابهة لألفاظنا ، في ما ورد في مدوناتهم لمعرفة قدمها عندنا ؛ وعند استشارة كتبهم وَجَدنا أنَّ اول معنى للدهن هو الشحم الجامد .

« وهكذا كان في لغتنا ، ولو كان عندنا من المدوَّنات القديمة ، كما نرى منها عند الهَلَنِّيين ، لوجدنا أول معنى كان للدهن هو الشحم الجـامد ، ثم انتقلوا بهِ الى المعنى الثاني ، أي الى الدُهْن السائل والإِهالة ، وبالحالة التي يكون عليها ، وهو في الجِسْم » أ ه المطلوب من ايرادهِ هنا .

وقد اهتدينا الى مَعاني مئاتٍ من الالفاظ غير البينة في المعاجم ، باتخـاذنا هذا الاسلوب اللغوي ، أي بمعارضة الفاظنا بألفاظهم ، فكانت النتيجة من أعظم ما يحلم بهِ فقهآء هذهِ اللغة المُبِينَة .

فعرفنا ان (القُنْسَطِيط) هِيَ خمرة معروفة عنـد الأقدمين ، لا (شجرة) كما وردت في جميع كتب اللغة (راجع مقالتنا في جريدة الاهرام الصادرة في٣/٩/٣٧) وأصلها في اليونانية (Konyzitès oinos) Κονυζίτης (οἶνος)

وقد حار علمآء الطير في عصرنا هذا من معرفة اسم الطائر المسمى عند الفرنسيين CYGNE والانكليزية SWAN فنهم من نقلهُ الى بجع وهم الاكثرون . وهذا خطأ لأن البجع هو pélican بالفرنسية و PELICAN بالانكليزية . ومنهم من نقـله الى

(أرْدَف) وأول من ذكرها مطبوعة في كتاب هو بقطر صاحب المعجم الفرنسي العربي وهي غير موجودة في العربية ، انما هي تصحيف :(اوردق) أو (اوردك) بالتركية ومعناها البطة و يطلقها بعضهم على البجع سهواً . فنقلها عن بقطر أصحاب المعاجم الفرنسية إلى العربية . - ومنهم من قال انهُ (الفون) وهذا غير معروف في لغة الضاد ، وأظن ان الاصل الحقيقي هو (القُوق) أو (القيق) بقافين بينهما واو او ياء فصُحّف وهو ينظر الى اليونانيــة κύκνος KYKNOS و يظن علماؤهم ان اليونانية مشتقة من الاصل KAN ومعنــاه : رَنّ وصَقَع وصَلَع . ونحن لا نرى هذا الرأي بل نظن انهُ مقلوب (يقق) أي أبيض . وهذا الطائر معروف بلونهِ الابيض الناصع ، و يقال فيهِ (قوق) ، و (قيق) ، و (يقق) . (راجع لغة العرب ٨ : ٣٥٩) وهذا الكتاب ص ٤٨

ولا نريد أن نتبسط في البحث هذا لاتســاعهِ فهو كالبحر الخضمّ فاجتزأنا بالاشارة اليهِ فقط .

٢٨ً . شروط الأخذ من لغة

أول شروط الأخذ :

اتصال الأمة الواحدة بالأمة الثانية ، أي ان الأمة الاخذة كلمتها من الامة الثانية المقتبسة منها الكلمة ان تتصل بها ، وقد يكون هذا الاتصال بالجِوار ، أو المتــاجرة ، أو المعاملة ، أو المصادقة ، أو المكاتبة ، أو المطالعة ، وهتان الصلتــان من مزايا هذا العصر . فان لم يكن ثَمَّ اتصال ، فلا أخذ . ونحن نذكر لك بعض الشواهد العصرية. فالفوتغرافية والتلغراف والتلفون وما أشبه هذه الكلم العصرية هي يونانية الاصل ، لكن لا نستطيع أن نقول اننا اقتبسناها من اليونان ، بل من أبناء الغَرْب كالفرنسيين، والانكليز ، والايطاليين ، والالمان مثلاً . وهؤلاء وضعوا الكلمة نحتًا من اليونانية ، أو من اللاتينية ، فهم اقتبسوها من كتب الهلّنيين لا منهم مباشرة . وهــذهِ مسألة لا بد من الاحتفاظ بهــا ، لكي لا ينخدع الكاتب بمــا ينقلهُ عن الغير أو يدعي بأنهُ مقتبس من الامة الفلانية : إذ يكون خاطئًا في مدّعاهُ .

الشرط الثاني :

لا يشترط في الأخذ أن تأتي الكلمة في العربية مطابقةً « كل المطابقة » للكلمة الواردة في اللغة المأخوذة منها ؛ بل قد يجوز أن يكون أُخِذ منها بعض معناها ؛ أو أن العرب تصرفت في معناها بعد نقلهم إياها إلى لغتهم ، وربما صحفتها أيضاً . فالقرطاس مثلاً يونانية من (ὁ) χάρτης, ου (khartès,ou) ومعناها الورقة من الكاغِد، فالسلف ثلَّثوها ، مع انهـا في الاصل مفتوحة ثم نقلوها الى قَرْطَس كجعفر وقِرْطَس كدِرهم ، وقالوا من معانيها : « الجمل الآدم أو الجارية البيضاء المديدة القـامة ، والصحيفة من أي شيءٍ كانت ، وكل أديم يُنْصب للنضال ، والناقة الفتيَّة ، وبُرد[1] مِصْرِيّ . ودابة قِرْطَاسِية لا يخالط بياضها شِيَةٌ . ورمي فقرطس : اصـاب القِرطاس . وتَقَرْطَس : هَلَك . » (القاموس)

فأنت ترى من هذا ان المعاني تعدّدت وكلها مبنية على التوسع في البياض ، لأن

---

(١) كذا ورد في القاموس ولسان العرب . ولعل سبب هذهِ التسمية بياض ذلك البُرد كالقباطيّ مثلا ، وقد اشتهرت ببياضها النّاصع ورقتها وكانت من كتان . لكن يحتمل ايضاً ان تكون الكلمة تَصْحيف «البَرْدِي المصريّ» وبردى مصر مشهور بحسنه وهو يكاد يكون أبيضَ ، اى انهُ آدم اللَوْن كالجمل المذكور آنفاً . وقد كتب ابن النديم في فهرسته (ص ٢١ من طبعة الافرنج) : كتب اهل مصر فى القرطاس المصري . ويعمل من قصب البردى . وقيل: اول من عملهُ يوسف النبي عليه السلام » اه فالقرطاس هنا بمعنى البابيرس او الفافيرس PAPYRUS ومنه اشتق الافرنج كلمتهم PAPIER والقرطاس يسمى باللاتينية CHARTA ويراد بهِ البَرْدىّ المِصْرِيّ ومنهُ قولهم : CHARTAM TEXERE اى نسج البرديّ او نضّدهُ ويراد من ذلك : صنع ورقاً . وقيل ذلك لان الاقدمين كانوا يتخذون ورقهم او كاغِدهم او قرطاسهم من تنضيد قشر البرْدىِ المصرى دون غيره . ولهـذا وجدنا الصواب هنا البردى المصري ، لا البُرْد . اللهم الا ان يقال ان البُرْد هنا جمع بَرْدى كما قالوا في جمع تركى وكردي وروى ترك وكرد وروم وضموا الباء إشفاقاً من اللبس . لاننا لو فتحنا باء البُرْد جاءنا البَرْد وهو غير مرغوب فيه في هذا الموطن.

زد على ذلك ان CHARTA اللاتينية معناها البَرْدىّ نفسه اى النبات الذى يتخذ منه القرطاس . فرأينا في ردّ المعنى الى اصله لا غبار عليه .

اللون الغالب على الكاغِد هو البياض . وكان الأولون ينْصِبون للنضال قطعة قرطاس ، لتظهر ظهوراً بيّناً للرامي ، فسُمّي الغرض قرطاساً . واذا أُصيب الغرض مُزّق ، فانتقل المعنى الى من يصيبهُ سَهْم القدر أو الموت فيقتلهُ . وعلى هذا الوجه تُرى مِئاتٌ من الكلم المعربة جاريةً هذا المجرى .

الشرط الثالث :

ليس من الضروريّ أن تعرب الكلمة لحاجة الناس اليها أو الى معناها . كما ذهب كثير من اللغويين ، إذ يظنون : ان الكلمة الفلانية غير معربة لأن الناطقين بالضاد لم يحتاجوا اليها ، إذ مَعْنِيُّها موجود في بلادهم ، أو لأن في لغتهم ما يُغْنِيهم عنها ، أو لعدم احتياجهم اليها . إلى ما ضاهى هذهِ الاسباب . لكن السلف نطقوا بألفاظ دخيلةٍ كانوا في غنى عنها ، وانما تكلموا بها لأنهم ، أرادوا ذلك ، أو حاولوا أن يكلموا من يفهم تلك الكلمة ولا يفهم غيرها ، أو أرادوا أن يطلعوا السامع انهم يعرفون معاني بعض الكلم العَجَمِيَّة ، أو لأنَّ اللفظة الدخيلة طبعت في النفس طابعاً لا تؤدي اليهِ مفردتنا ، إذ إن حروفهم غير حروفنا ، ونبرتهم غير نبرتنا ، والاشتقاق من اصولهم غير الاشتقاق من اصولنا ، وشعورنا بتلك الدخيلات غير شعورنا بألفاظنا الضادية ، الى غير هذهِ الأمور المتعددة .

فقد جاء في لسان العرب في مادة (س و ر) : « وفي حديث جابر بن عبد الله الانصاريّ : ان النبي ، صلى الله عليهِ وسلم ، قال لاصحابهِ : قوموا ، فقد صنع جابر « سُوْراً » . – قال ابو العباس : وانما يراد من هذا أن النبي ، صلى الله عليهِ وسلم ، تكلم بالفارسية ، صَنَعَ سُوراً أي طعاماً ، دعا الناس اليهِ » اه .

فقدكان يستطيع الرسول أن يقول : صنع طعاماً ، او صنع ضيافة ، او وليمة . او أدب مأدبةً ، الى غيرها من المفردات التي تعدّ بالعشرات ، لكنهُ عدل عنها كلها ، لأن (سُوراً) الفارسية ، طبعت في النفس طابعاً لا يُشْعَر بهِ أو لا يُحَسّ بهِ ، اذا قيل غيرها .

ومثل ذلك ما نقلهُ المذكور من كلام امير المؤمنين فقد ذكر في تركيب (ق ل ن) ما هذا نقلهُ : « الازهري : رُويَ عن عليٍّ ، عليهِ السلام ، أنهُ سأل شُرَيْحًا عن امرأة طلقت ، فذكرت انها حاضت ثلاث حيض في شهر واحدٍ . فقال شُرَيْحٌ : ان شهد ثلاث نسوةٍ من بطانة أهلها ، أنها كانت تحيض قبل أن طُلِّقت في كل شهر كذلك ، فالقول قولها . فقال عليّ : « قالون » . قال غير واحدٍ من أهل العلم : قالون بالرومية معناها : أَصبت . . . » وذكر هناك مثل هذهِ الكلمة ونسبها الى عبد الله بن عمر وفسرها برجل صالح . »

قلنا : وقالون كلمة يونانية (kalos,è,on) καλός, ἡ, ον ومعناها : حسن وصالح وجيد الى آخر ما ضاهى هذهِ الالفاظ ، وتقال على الناس وعلى غير الناس .

الشرط الرابع :

يعرف الدخيل في لغتنا بكثرة أحرفهِ ، وبأنهُ لا يمتّ الى أصل عربي بما يوجّهُ وضعهُ ، واشتقاقهُ ، وصيغتهُ ، ولهذا تكثر فيهِ اللغات ، أي اختلافات الكلمة الواحدة بأوجهٍ شتّى . هذا من باب الأغلبية ، إذ قد تكون الكلمة دخيلة وهي ثلاثية ، أو قد تؤوَّل الدخيلة بما يوجّه اشتقاقها ، وإن لم يرد فيها لغات ، لكن كلامنا يقع على غالب ما جاءَ في هذا الباب . وإلا فقد ورد ما يخالفهُ والحكم على الغالب .

فقد عُرِّبت (kètos) τὸ κῆτος εος-ους بأوجهٍ شتى فقالوا ما هذا بعضهُ: القَاطُوس ، والعَاطُوس ، والقِيطُس ، والغاطوس ، والفاغوس ، والقَطَّا ، وحُوت الحَيْض. ولا نريد أن نثبت محل ورودها لئلا يسوقنا الكلام إلى أبْعَدِ ما نَوَيْنَاهُ من طِيَّتِنا . مع انَّ السلف كانوا في غنًى عن هذهِ الكلمات ، لأن عندهم « الحوت » وهو ينظر إلى الكلمة اليونانية نفسها لأن K تقابل الحاءَ في لغتنا في أغلب الاحيان فتدبَّر .

وعرّبوا (BALAENA) φάλαινα بما يأتي : البال ، والوال ، والفال ، والأوال ، والأَفال ، والشال ، والآل ، والوالي ، والاول ، والاوك ، والواك ، وأكيال ، والبالام .

وقد ذكرنا في كتابنا (أغلاط اللغويين الاقدمين) مواطن ورود هـذهِ الكلم ، فلتُراجع من ص ٢٦٨ الى آخر ص ٢٧٤ . وكان العرب تسمّيها « جمـل البحر » . فهذه اللغات الثلاث عشرة لا تتصل بأصل عربيّ ، يوجّه هذهِ التسمية ؛ وهذا الباب أوسع ممَّا أن تُعيَّن حُدودهُ فالوقوف عند هذا الأفق أوفق وآمن .

الشرط الخامس :

ان العرب عند تعريبهم الكلمة قد يتحكمون في تعيين معانيها على ما يهوون ، من غير أن يحق للاعاجم أو لبعض المتنطعين ان يردوهم عن قصدهم ويقولوا لهم : أخطأتم في المعنى ، لأن هذا المعنى ليس في الأصـل ، أو أن يقولوا لهم : أخطأتم في افراغ الكلمة الدخيلة بهـذا القالَب، الذي يُنكرهُ الاجانب على الناطقين بالضـاد . فكل ذلك مماحكات لا معنى لها .

مثـال ذلك : الأُوقيانوس ، وهو باليونانيَّة (ôkeanos) ὁ ωκεανός οῦ فان أبناء يعرب لما أرادوا معنى « البحر المحيط » عَرَّبوهُ بصورة « الأوقِيـانُوس » ، أو « الأُوقيانُس » ، أو « الأقْيَانَس » أو « الأقْيانُوس » ، وقصروهُ بصـورة « القاموس » . - ثم صَحَّفوهُ قليـلاً فقالوا : « الإفْرِيدُوس » . وقد وردت في كُتُب أوْصَاف البلدان . قال فريتغ إنها تَصْحيف « الاقيانوس » ، وهو عِنـدهم بحر محيط بالأرض ؛ إلا أنَّ السُفُنَ لا تجري فيـهِ ، لأنَّ حواشيَ الأرض هناك ، مكفوفةٌ كفَّ الثياب » اه .

وقصروهُ قَصراً آخر بصورة « قَيْنَس » وزان زَيْنَب وأرادوا بهِ البحر الثالث من أبحرِ الارض السبعة[1] . ذكرهُ صاحب قصص الانبياء محمد بن عبد الله الكسائي (طبع ليدَن في ص ٩)

---

(١) اشهر البحار عندهم سبعة وهي : الاول بَيْشطَش واكثرهم يسمونه نيطش وهو البحر الذي يسمى اليوم الاسود . — والثـاني : الاصمّ وهو بحر الروم او البحر المتوسط . وهو

وصحَّفوهُ بصورة « عِقْيَوْن » وزان كِدْيَوْن » وقالوا عليهِ : بحر من الريح تحت العرش ، فيهِ ملائكة من ريح ، معهم رِماح من ريح ، ناظرين الى العرش تسبيحهم : سُبْحَان ربِّنا الأعلى » راجع محيط المحيط في (ع ق ي و ن).

الشرط السادس :

لا حقّ لأحدٍ ان يعترض على ابنآء عدنان ، ان يتخذوا اسماً مفرداً يضعونهُ هم ، وقد استلّوه من لفظٍ مجموع دخيل . مثال ذلك : النِبْر لبَيْت التاجر الذي يُنَضّد فيهِ المتاع ، فإِنهُ مفرد أنبار ، وأَنبَار تعريب اليونانية (EMPORION) ἐμπόριον بمعناه .

والفِرْدَوْس للبُستان ، فإن جمعهُ فَرَادِيس . وفراديس تعريب اليونانية ὁ παράδεισος, ου PARADEISOS واليونانية من الزندية پَيْرِدايزا .

والقِرْميد مفرد القراميد . وهذهِ مأخوذة من اليونانية κεραμίς, ίδος (keramis, idos).

والقَرْن بمعنى الوقت من الزمان هو من قرون (KHRONOS) ὁ Χρόνος.

والكرّ بمعنى عشرة ملايين هو مفرد الكرور المعرَّب من الهندية كرور وتلفظ CROR.

والدَرْب دُرُوب واصلهُ في اليونانية (thurôm [ata,ôn]) θυρώμ [ατα,ων]

الذى يسميه بعضهم البحر «الابيض» المتوسّط . والبحر الابيض بحر آخر غير بحر الروم . - والثالث هو قَيْنَس هذا الذى ذكرناه وسمي كذلك لعظمهِ - والرابع الساكن وهو المشهور بالهادىء أو الباسيفيك أو الباسيفيكي . والياآء لزيادة في الصفة كما في دوّار ودوّاري ، وأحمر وأحمريّ . - والخامس المُغَلّب وهو بحر الهند لانه يفضي إلي هذه الديار المعروفة بغناها وأموالها - والسادس المُؤَنِّس بتشديد النون المكسورة هو الاتلنتي أو الاتلنتيكي وهو الذي سماهُ بعضهم الاطلسي وهو وهم قبيح شنيع - والسابع الباكي الذي ينتهي بباب المندب ، باب البكآء والعويل . وقد كثرت أسمآء هذا البحر واختلفت بين (بحر سوف) و (بحر إسَاف) و (بحر القُلْزُم) و (البحر الاحمر) وهو المشهور اليوم وعليهِ المعتمد في كتب المدارس والجرائد ، لكن العرب الاقدمين لم تعرفهُ ، بل عرفت بحر القلزم ، وقبل ذلك البحر الباكي وبحر سوف أو بحر إساف ، فاحفظهُ تصب ان شاء الله

وفي المائة الثامنة عشرة من الميـلاد ، دخل في كلامنا الغِرْش او القِرْش على يد الترك باختلاطنا بهم ، وهم اقتبسوهُ من الالمان ، من غروشن أي GROSCHEN وهكذا يُقَال عن الفاظٍ أُخر ، جاءتنا عن هذه السبيل ، او عن سبيل أخرى ، فجرَّد السلف من اللفظ المجموع مفرداً ، والناظر اليهِ يظنُّ الخلاف والاصل ما ذكرناهُ.

الشرط السابع :

لا اعتراض على أبناءِ مُضَرَ اذا قطعوا الكلمة قِطْعَتَيْن صدراً وعجْزاً، فيحتفظون بصدرها ويُلقون عجزها – او يحتفظون بعجزها ويلقون صدرها ، أو يحتفظون بكلٍّ من صدرها وَعَجُزها ويُعَيِّنُون لكلٍّ من هذين الجزءَيْن معنًى مستقلاً بذاتهِ .

مثال الاحتفاظ بالصَدْر . نَشَا سْتَج فانهم قطعوا الكلمة جزءَيْن فقالوا « نَشَا » أو « نَشَـاء » ورَمَوا « سْتَج » . – وقالوا في هَزَارْدَسْتَان « هزار » والقوا « دَسْتان » . وقالوا في « دِيْك پاي » « الديك » أي الاثفية وفي σαρκοφάγος الشَرْجَع .

ومثال الثاني : خَرْدَاذِي فانهم نبذوا « خَر » واحتفظوا بـ « دَاذِيّ » . – وقالوا في « اذريطوس » : « الطُوسَ » . وقالوا في « نابَهْرَهْ » : « البَهْرَج » .

ومثال الثالث : « أُدْرَه قيـلة وهي من (ἡ) ὑδροκήλης ʻhydrokèlè فقـالوا : « أُدْرَة » ، و « قِيلَة » . وكل منهما يَعني الفتق في إحدى الخصـيين (راجع القاموس) .

الشرط الثامن :

أن لا يحكم الباحث على ان اللفظة الفلانية هي تعريب الكلمة الأجنبية الفلانية لمجرد مجانسة او مشابهةٍ بين الاثنتين . فلا يحق لهُ ان يقول مثلاً ان الجليد تعريب GELIDUS اللاتينية وهي كالعربيـة مبنى ومعنًى . لأن الرومية من فعل GELARE

والضادية من « جَلَدَ » و بين الفعلين فرق بَيّن، فالمشابهة عرضية ومن باب المصادفة لا غير.

ولا يقال ان العُتُلّ وهو الغليظ الجافي من اليونانية (athèlus) ἀθῆλυς أي غير المخنَّث فان المشابهة ظاهرة لا غير. وأما الاصول فمتباعدة بعضها عن بعضٍ.

واننا نكتفي هنا بهذهِ الشروط، مذخرين كلاماً أطول في كتابنا الموسوم بِـ « المعرَّبات وفوائدها ».

٢٩ً. الحربُ بين الكلم العربيَّة والغريبَة

أ. مدخل البحث

يحــارب قوم قوماً ليذلهُ، ويجتــاح بلادهُ، مباهاةً، أو توسُّعاً في الديار التي يفتتحها. و يعارِك بيتٌ بيتاً، تشفّياً للضغائن، أو انتقاماً بينهما من اهانات وسخائم، ذلت بها جماعة، ورفعت رأسها طائفة أخرى.

و يقع القتال في أعضــاء البيت الواحد، دفاعاً عن عرضٍ، أو عن حقوق صادقة، أو كاذبة، حقيقيــة أو وهمية، لكن الخصم يعتقدها مُذِلَّة لهُ؛ فينهض استرداداً لحقوقهِ الضائعة، واستعادةً لما اخذ منهُ عنوةً.

لا بل قد يقع الخصام في المرء نفسهِ، محاولاً كبح نفسه السفلى الأمَّارة بالسوء، ليكون النصر لنفسهِ العليــا. ولذا قيل: اعدى عدوٍ لك نفسك التي بين جنبيك. ولهذا السبب عينــهِ يعدُّ الصُرَعَة (بضم ففتح) أعظم رجل في الخلق، لأنهُ يغلب نفسهُ عنــد الغضب و يقهرها، وهو أكبر نصرٍ يفوز بهِ المرء، إذا تمكَّن من البلوغ اليهِ.

فالحرب – على ما ترَى – معروفة بين الاقوام والبيوت والنفوس . وللكلم في كل لسان حرب عوان أيضاً ، فالحديثة ، الشديدة القُوى ، تصرع الهرمة ، وتقتلها، وتميتها . وفي لغتنا شيء كُثَار من الالفاظ الصَرْعى المَيْتَة ؛ أما اذا كان في الكلم القديمة قوة ، وخفة ، ورشاقة، وتدفق حياة ، وحسن أسلوب ، وعذوبة جُرْس ، فانها تقاوم كل لفظ يحاول زحزحتها عن مكانها ، ولو كانت قديمة هرمة .

ب . أي الكلم لا تموت

وفي جميع اللُغَى ، حروف قديمة لا تموت ، ولَنْ تموت ، ولو مضت أو تمضي عليها ألوف القرون ، لما فيها من ضروب المناعة والمكافحة ، على ما أشرنا اليــهِ ؛ فانك اذا راجعت مثلاً بعض الاصول اليونانية واللاتينية والعبرية والعربية والإِرَميــة ، ترى فيها الفاظاً جَمَّةً ، تُعدُّ بالالوف ، وهي حية إلى هذا اليوم ، و إلى ما يشاء الله ؛ مع انهُ قام بجانبها لغة يونانية حديثة ، وعدة فروع من اللاتينية ، كالايطالية والفرنسيــة والاسبانية . وكذلك في العبرية والعربية والنبطية ، فقد داهمتها كلم عامية ودخيلة ؛ إلا ان الفصحى منها ، والسائغة ، والعَذْبة فيها ، بقيت على ما كانت ؛ فانتقلت كلها إلى الحديث الوضع منهنّ ، باختلاف يسير الى اللغات البنات الحديثات ، هازئة بالكلم التي حاولت أن تقتلها ، فلم ترجع عنها بطائل ، للاسباب المنيعة التي مَيَّزَتْها عن سواها، وهي التي أشرنا اليها فُوَيْق هذا .

والآن يحاول « مجمع اللغة العربية الملكي » قتل بعض الكلم التي تسرَّبت إلى اللسان المبين ، متدفقةً من لُغَى الاجانب ، والدخلاء ، والعوامّ ، ساعياً الى قتلهــا ، ودفنها ، واحياء غيرها في مكانها ، اما بنشر المُمَات ، بل الهامد منها قبل مئــاتٍ من السنين ، واما بوضع الفاظٍ يشتقُّها من الاصول المبينــة ، متبعّاً فيهــا قواعد السلف ، وضوابطهم ، واحكامهم التي جَروا عليها في سابق العهد ، في مثل العلوم ، والفنون ، والصنائع التي نشأت بعد الاسلام .

ج . سقم تعليل بهذا الصدد

ويدَّعي بعض الاعضاء المحترمين ان الوضع الجديد لا يؤثّر في ابناء هذا العصر الذي نشأ على فساد اللغة ، فاستعذب الكلام الفاسد ؛ انما يظهر امرهُ في الاجيال الآتية من أبنائنا الذين في أصلاب آبائهم اليوم .

فجوابًا عن ذلك نقول : ان الالفاظ الحديثة ، ان لم تجمع في نفسها المزايا التي تخلّدها ، فانها تكون من قبيل المخلوقات المشوَّهة الشاذَّة ، النادَّة عن سنن الطبيعة ، فانها لا تولد إلا لتموت ، ولا توُضَع ، إلا لتكون أعظم دليل على اثبات هذهِ الحقيقة ، وهي : « لا يُعَمَّر ولا يُخَلَّد في الكون ، إلا مَن أُوتيَ مزايا الخلود دون غيرهم » .

وكذلك يقال عن الكلم ، فكل كلمةٍ عربيةٍ غريبةٍ في اصولها ، أو صيغتها ، أو تركيبها ، او ثقيلة الاستعمال على اللسان ، أو على السمع ، أو على الذوق ، أو شنيعة الأحرف ، فانها تُولدُ للموت ، لا للحياة ، ولا للتعمير ، فكيف للخلود ؟

ونحن نبين هذهِ الحقيقة ، بسَرْد طائفة من الكلم التي وصلت الينا من السلف ، ولم يُفِدْها ادوية اطباء اللغة ، ولا معالجتهم إياها بالمقويات ، ولا بالمعوقات ، ولا بالمصول ، ولا . . . ولا . . . ولا . . . لأنها عبرت وغبرت مع من ادبر ، ولم يبق منها إلا سوء الذكرى والعقبى !

د . مقابلة بين الألفاظ الحية الخالدة وبين المائتة البائدة

أحسن دليل على ما بيَّنَّاهُ الى الآن ، المعارضة بين الكلم الحية الخالدة ، وبين المائتة البائدة ، فانها تطبع في ذهننا حقيقةً لا يمحوها كل رأيٍ يخالف رأينا ، ولو دعموهُ بكل أُخذة ، أو رُقية ، أو طِلَسْم .

(١) هذهِ كلمة (بَاذِنجان) ، فليس في العربي لفظة أفشى انتشاراً فيهِ ، ولا أعرفَ منها . وقد جاءتنا من جيراننا الفُرْس الاقدمين ، فحاول السلف مراراً خنقها

ووَأدها ، وهي في مهدها ، فما زادوها إلا تعمياً ، وانتشاراً ، و بَثّاً بين كل ناطق بالضاد . وعوضًا من أن يقضوا عليها القَضَاءَ المبرم ، زادوها حياةً ، ونشاطًا ، وسريانًا ، وانتشاراً بين الناس . لا بل عَمَدَ بعضهم الى عَمَل في منتهى القسوة : انهم لم يثبتوها في معاجمهم ، ليلجئوا الجميع الى عدّها من حوشيّ اللفظ ، أو من العربي المستهجن . ولهذا لا تجدها في القاموس ، ولا في تاج العروس ، ولا في المصباح ، ولا في مختارهِ ، ولا في اساس البلاغة ، ولا في كثيرٍ من كُتُب مُتُون اللغة ، خوفًا من أن ينبشها أحدهم ، و يعيدها الى الوجود .

ومن الغريب انهم لم يحتاطوا لأنفسهم كل الاحتياط ، لأنهم لما ذكروا ما يقابلها في العربية المبينة ، شرحوهُ بقولهم : « الباذنجان » فجاء عملهم هذا خِداجًا مضحكاً .- والآن اذهب بنفسك الى العراق ، ومنهُ الى سورية ، ففلسطين ، فلبنان ، فديار وادي النيل ، فطرابلس ، فالسودان ، فلبوة ، فالجزائر ، فالمغرب الاقصى ، فالى جميع الربوع التي ينطق أهلها بلسان مَعَدٍّ وعَدنان ، فانك لا تسمع إلا (البَاذنجَان) ، ولا يعرفون المغد ، ولا الوغد ، ولا الحدق ، او الحذق ، ولا الحَيْصَل ولا الكَهكَب أو الكَهكَم او القهقب ، ولا الأنب ، ولا الشرجبان ، ولا الأنفحة ، ولا . . . ولا . . . ولا سواها .

(٢) المِسْك : وليس الباذِنجَان وحده هو الذي نال هذا التفوُّق على سائر اخوتهِ ، بل ثَمَّ عشرات من الألفاظ ، وربما مِئات منها ، شاع دخيلها ، ونُسي أصيلها . أو ذاع دخيلها ، ونسي سواهُ من كلام المتفصّحين . هذهِ كلمة (المِسْك) ، فانها انتقلت من الفارسية الى لغتنا ، ومنها الى ما يقارب جميع لغات العالم المتحضّر، مع ان في لغتنا الفصحى ما يقوم مقامهُ ، وهو (المشموم) . وهل يمكن أن يقوم مقامهُ حقيقةً . أفلا يصعب علينا أن نعبر عن قولنا : « مَسَّكَ » بمعنى « طيَّبهُ بالمسك » . وهذا دوآء ممسَّك ، وثياب ممسَّكة ؟ وكيف يُعَبَّر عن قولهِ : « ختامهُ مِسْك » ؟

(٣) وهل بَلَغَكَ الخبر ان (البورق) هو (الحُكَاك) وزان غُراب ؟

(٤) وعوام مِصر يعرفون (الجنائني) ، والعراقيون يعرفون (البَغْوَان) أو (البَغْوَانْجِي) او (البَاغْبَان) وكان فصحاء العهد العباسيّ يقولون في هـذا المعنى : (البُسْتَانْبَان)[1] . اما (التاحِيّ) ، بالحاء المهملة ، وهو الصحيح الفصيح ، فيجهلهُ ابرع اللغويين ، وابصر فقائهم .

(٥) وكلنا يعرف (النَرْجِسَ) ، هذهِ الزهرة التي تشبَّه بها العيون الساحرة للالباب ، وما مِنّاً من يعرف انها (القَهَة) . (راجع اللسان في قها .) والقَهْدوالعَبْهر .

(٦) ومن يعلم أن (للإسْفِيدَاج) الفارسية كأختها السابقة ، عربيةً وأن هذهِ العربية هي (الغُمْنَة) .

(٧) وعلماء الطبيعيات والكيمياء يعرفونَ معرفة دقيقة (البِلَّوْرَ) وهي يونانية، لكن لم أر أديباً منهم ذكرَهُ باسم (المَهَا) ، وهو اسمهُ الفصيح ، ولا جمعهُ(المَهَوَات) أو (المَهَيَات) ، مع أنهُ من متين اللفظ وقديمهِ .

(٨) والأطباء جميعهم ، قدماؤهم وأحداثهم ، يذكرون في تآليفهـم (الجوَارِشَ) أو (الجُوَارِشْنَ) ، ولكني لم أعثر على من ذكرهُ باسمهِ العـربي (الهَاضُوم) أو (القَمِيحَة) أو (القَمْحَة) ، بل نراها مدوّنة في معاجم اللغة فقط .

(٩) ومن غريب الاتفاق،أن (الفَخّ) الفارسي اصطاد (الطَرْق) العربي ، ثم هجم عليهِ فخنقهُ وقتلهُ ، ويكاد يُبيدهُ .

---

(١) بضم الباء الموحدة التحتية ، واسكان السين ، وفتح التاء ، يليها الف فنون ساكنة ، فباء تحتية بواحدة فألف فنون . وقد وهم طابع اللسان ، او ناشرهُ في مادة (تيح) ، إذ فسّر التاحي بقولهِ (البستانيان) اي بياءٍ مثناةٍ تحتية بعد النون الاولى . والصواب بباءٍ موحدة تحتية كما ذكرناه . والكلمة فارسية مركبة من (بستان) اي حديقة ، و (بان) اي حافظ او حارس او خادم . فيكون معناهُ خادم البستان ، كما قال المجد في مادة (تحو) وغلط اللسان بذكر التاحي في (تيح) . فهذا وهْم ثانٍ من ابن مكرم .

(١٠ً) وأظن أنك سمعتَ بِـ (اللَوْزِينَج) ، ان لم تأ كلهُ وتَستَطِبْهُ ، لكنك لم تسمع أبداً بمرادفِهِ (الفَلْذَخ (١)) ، فانها أثقل من (الشُنْذُخ) ، وقَدْ وُئِدَ حالما وُلدَ.

(١١ً) ولعلك أمرتَ خادِمك أن يشتريَ لك من الحَلْوَانِيّ شيئًا من َ (الفَالُوذ) أو (الفَالُوذَج) ؛ لكن هل فكرتَ أن يشتري لك شيئًا من (المَلُوص) أو (المُزَعْزَع) أو (المُزَعْفَر) أو (اللَمْص) أو (اللَوَاص) أو (المِرِطْرَاط) أو (السِرِطْرَاط) الى أخواتها وكلها تعني الفارسية الأولى ؟

(١٢ً) الناس يعرفون (المرْدَاسَنْج) ولا سيما العراقيون ، ولو قلت لهم : هاتوا لي قليلاً من (المِرِّيخ) لضحكوا منك ، لأن المِرِّيخ هو هذا النجم من الخُنَّس.

(١٣ً) وإخال أنَّ الجميع يعرفون (الجُوَالِق) . وأمَّا (الجَشِير) ، أو (اللَدّ) ، أو (اللبيد) ، وما ضاهاها ، فلا يعرفها إلا اللغويون .

(١٤ً) والخيَّاطات العربيات يعرفن (الدِخْرِيْصَ) وهنَّ لا يعرفنَ (البَنِيقَة) ولا (السُبْجَة) ، ولا (السعيدة) ، ولا (الاَبِنة) .

(١٥ً) وربما ذهبت مراراً الى حديقة الحيواناتِ وشاهدت فيها حيواناً كبيراً ضخماً ، قيل لك إنهُ (الفيل) ، ولم يقل لك أحدٌ انهُ (الزَنْدَبِيل) ، ولا (الكُلْثُوم).

(١٦ً) وتسمع كل يومٍ بـ (التِرْيَاق) ، ولرُبَّمَا سمعتَ بهِ مراراً في اليوم الواحد. لكن هل قيل لك إنهُ (المَسُوس) ؟

(١٧ً) ونقرأ كل يوم في الجرائد كلامًا على (القَنَاةِ) و (القَنَوَات) و (القُنِيّ) و (التُرْعَةِ) و (التُرَع) . وكلها الفاظ دخيلة . أما (الطِبْع) وهو بكسر الطآء ، وجمعها (الطُبُوع) . فليست معروفة إلا في دواوين اللغة . قال الأزهريُّ صاحب التهذيب:

---

(١) ذكر (الفلذخ) لسان العرب ولم يذكرها غيرهُ . والذي عندنا أنها (الفَلْذَج) فصحفت ونقل معناها إلى اللوزينج . اما القاموس فذكر الفلذج وقال انه الفالوذج ونظن ان هذا هو الصواب لا ما قاله ابن مكرم .

« أما الأنهـار التي شقَّها الله تعـالى في الأرض شقًّا ، مثـل دِجلة والفرات والنيل وما أشبهها ، فانها لا تُسَمَّى (طُبُوعًا) ، إنما (الطُبُوع) : الانهار التي أحدثها بنو آدم ، واحتفروها لمرافقهم » (اللسان).

(١٨ً) والاطبآءوعلمآء التشريح يعرفون (الأعور) أو (المِعَى الأَعْوَر) ؛ لكن أيعرفون فصـحاها (المِرْغَة) ، فاسألهم ، فلعلهم واقفون عليها ، ولا سيما من تَفَرَّغ منهم لِحُوشِيّ اللفظ .

(١٩ً) وشُبَّانُنا الفلـكيون يكلمونك على (النَـيْزَك) ومشتقاتهِ ، وكذلك الرياضيون من أبنائنا ؛ لكن أيعرفون عربيتها أيضًا وهي (المِزْرَاق) ؟

(٢٠ً) إلاَّ أني إخال أن علمآء النباتِ والصيادِلة والشجَّارين والأطبآء وطلبتهم لا يعرفون (البُحْدُق [١]) أبداً ، واذا قلت لهم هو (بِزْرُ قُطُونَا) ، قالوا لك حالاً : هذا هو المشهور . أما ذاك فمهجور .

(٢١ً) ولا أظنُّ كبيراً ، ولا صغيراً ، ولا غنيًا ، ولا فقيراً ، ولا رجلاً ، ولاامرأة . يجهل (العُرْبُون) ، حتى أصغر الباعة . أما (المُسْكَان) العربي الفصيح ، فلا يعرفهُ أحدٌ . ولليوناني (عُرْبُون) لغاتٌ عدّة في لساننا بخلاف (العُرْبَان) بالضم فليس فيها إلا لغة واحدة . فقيل في (العُرْبُون) : (العَرَبُون) محركة ، وتبدل العين همزة فيقال (الأُرْبُون) و (الأُرْبَان) و (الأَرَبُون) . وربما قالت العامة (الرَعْبُون) . و بعض الفصحآء يحذفون الحرف الأول فيقولون (الرَبون) . وجاءَ في الحديث أيضًا(الرَيَان) بيآءٍ مثناة بعد الرآء . فاليونانيات على اختلاف لغاتهـا عرفها الناس ؛ وأما العربية ، رهي (المُسْكَان) ، فلا يعرفها إلا القليل من الأهالي .

---

(١) البُحْدُق ، كعُصْفُر ، كما في القاموس ، وهو بدالٍ مهملة وقافٍ في الآخر . وفي محيط المحيط البُحْذُف بذال معجمة وفآءٍ في الآخر ، نقلاً عن فريتغ . وجآء بُخْدُق ، بخاءٍ معجمة ، ودالٍ مهملة ، وقافٍ ، في لسان العرب . واما الشارح والمزهر ، فذكراها كما في القاموس وهي الرواية المشهورة . وواما فريتغ فانه مصحف الالفاظ العربية .

ودونك الآن جدولاً يحوي الأعجميات الحية والعربيات المنسيات ، مالم نذكرهُ قبيل هذا :

اعجميات معروفة او مشهورة		عربيات منسية او مجهولة
١ - فِرِنْد السيف	:	سِفْسِقَة السَيْف
٢ - الفَرَزْدَق	:	المُشَنَّق أو العِجَّوْر
٣ - الساقُور أو الصَاقُور	:	المِقْرَاع
٤ - المَنْجَنيق	:	الخَطَّار
٥ - السَوْسَن	:	الرَفيف
٦ - الصُنْدُوق (يونانية)	:	الصِوان
٧ - الإِسْفَانَاخ	:	الرَحَى
٨ - المَرْزَنْجُوش أو المَرْدَقُوش	:	العَتْرَة
٩ - الجُؤْذَر	:	القَهْد
١٠ - الأُستاذ	:	المُخَرِّج
١١ - الزُرْفين	:	اللُزّ
١٢ - الإِفْسَنْتِين	:	العَبْد
١٣ - الشَاذَرْوَان	:	الجَذْر
١٤ - الأَلْمَاس	:	السَامُور
١٥ - الكَشُوثَا	:	الزُحْمُوك
١٦ - الأَنْقَلِيس (مجهول في العراق)	:	الجِرِّيّ (معروف في العراق)
١٧ - العِذْيَوْط	:	الثَّتّ والثَمُوت
١٨ - البخشيش	:	الحُلْوَان
١٩ - الكَيْمَخْت	:	الزَرْغَب

اعجميات معروفة اومشهورة	عربيات منسية او مجهولة
٢٠ – الأُسْطُوَانَة	: اللَاأَطَة أو السَارِيَة
٢١ – الزِنْجَفْر أو السِنْجَرْف	: الشَقَرَة
٢٢ – السُكُرُّجَة	: الثُقْوَة
٢٣ – البُرْنَيطَة	: الـكُمَّة (والقُبَّعَة غلط بهذا المعنى)
٢٤ – الشُرْطَة (يونانية)	: الزَاعَة والذَبِّيُّون
٢٥ – البِرْوَاز	: الإِطار
٢٦ – الفِيل (فارسية)	: الشِمْشِل
٢٧ – البَلْطَة	: القَدُوم
٢٨ – الـكَرَوْيَا	: النِقْدَة
٢٩ – البُنْدُق	: الجِلَّوْز
٣٠ – الـكُزْبُرَة	: التِقْدَة
٣١ – البِرْجَار أو البَرْكار أو البِيْكَار	: الدَوَّارَة
٣٢ – الأَنْقَدَان والإِنقِدَان	: السُلَحْفَاة
٣٣ – التِلْميذ	: الخِرِّيج
٣٤ – الهِنْدِبَاء (يونانية)	: اللُعَاعَة
٣٥ – البادِزَهْر أو الفَادزَهْر	: المَسُوس
٣٦ – الفُسْطَاط (يونانية)	: الروْق
٣٧ – الباطِيَة أو الناجُود	: الراوُوق
٣٨ – النَسْتَرَك	: البَيْهَن
٣٩ – الدَسْكَرَة	: الدَسِيعَة
٤٠ – البُرْجُد	: الهِمْل
٤١ – الفِرْدَوْس أو البُسْتَان	: الجَنَّة

اعجميات معروفة او مشهورة	عربيات منسية او مجهولة
٤٢ - القِرْش أَو الـكَوْسَج	: اللُخْم
٤٣ - الدِفْلى	: الحَبِين
٤٤ - الـكَمَافِيطُس	: العَرْصَف
٤٥ - الهَيُولَى (يونانية)	: المادَّة
٤٦ - الأُتْرُجّ	: العُرْف أو المُتْك
٤٧ - البَيْرَق	: العَلَم أوالرَايَة
٤٨ - السراي أو السَرَايَة	: الصَرْح
٤٩ - البَلَّان	: الحَمَّام

٥٠ - الطاوِلة (سورية) أو التَرَابِيزَة (مصرية) أو المَيْز (عراقية) : النَضَد. (والمَنْضَدَة خطأٌ لا وجود لها في الفصيح)

٥١ - البَاسَابُرْط	: الجَوَاز
٥٢ - البُوسْطَة	: البريد
٥٣ - البِيْرَة	: الجعة أو المِزْر
٥٤ - قناة أو ترعة	: طِبْع
٥٥ - جنزير(سورية)أوزنجيل (عراقية)	: سِلْسِلة
٥٦ - جَوْرَب	: مِسْمَاة
٥٧ - خِلْقِين	: مِرْجَل
٥٨ - دفتر	: كُرَّاسَة
٥٩ - ساده أو سَاذَج	: بسيط
٦٠ - سَرْدِين	: عَرْم
٦١ - اقليد أو مِقلاد (يونانية)	: مفتاح

اعجميات معروفة او مشهورة		عربيات منسية او مجهولة
٦٢ – سِمْسَار	:	دَلاَّل
٦٣ – شوربة	:	حُسَاء
٦٤ – قَنْدَلَفْت	:	وَاهِف أو وَافِه أو واقِف
٦٥ – شِنْجَار	:	كَحْلاَء أَو حُمَيْرَآء أو رِجل الحمامة
٦٦ – كُشْتُبَان	:	قِمْع
٦٧ – كَرُّوسَة	:	عَجَلة
٦٨ – مِلْفَان	:	معلم
٦٩ – البَقْس أو البِقْسِيس	:	الشِمْشَاذْ أو الشِمْشَار
٧٠ – الشَمْعدَان	:	المِشْمعَة

ولو أردنا أن نجريَ في هذهِ الحَلْبة، لذهبنا بعيداً، وأحرَجْنا الصدور، فنجتزىء بهـذا القَدْر، ادعاماً لرأينا، وهو: أن الحرب قد تقع بين الألفاظ، فيصرع بعضها بعضاً، وربما تغلَّب الدخيل على الصميم من كلام العرب. وما ذلك إلا لما أودع صدر الأعجميّ من الخِفَّة، والرَّشاقة، والشِبه لفصيح الكلام العرَبي، ومادَّتهِ، ووزنهِ.

٣٠. اى الدخيل الحديث يقتل وايهُ يُستَحْيَا؟

ان خِفَّة الكلمة الاعجمية، ورشاقتها، ووزنها العربي، وشبه مادتها المادة العربية، يخوّلها قوةً ومناعة، ويكسبها جمالاً ويلبسها ثياباً عربية، يجعل جميع الناطقين بالضاد، يرحّبون بها كل الترحيب، ويُحِلُّونَها أعظم مَحَلّ، ولا يتوهمون ابداً انها عَجَمِيَّة، ولهذا يحتفظون بها ويدَّخرونها لجميع حاجاتهم، فيصبح محاولة قتلها من المحال، لأن وراءها دولة اعجمية قوية، هي دولة الاستعمال كل يوم، ودولة المال والماليين، ودولة الصفات العربية التي ذكرناها.

فمن الكلم المعرَّبة حديثاً، والتي يحسن أن يُستَحيا بعضها و يقتل بعضها ، ما يأتي:
(البَنْك) لهذا المحل الذي يُتاجر فيهِ ، اي يدفع فيــهِ اموال لمن يريد الانتفاع بها ، او يقبض فيهِ اموال ، بموجب فائدة ، او ربًا مقرّر .

(التَلَفُون) بشرط وزنهِ وزناً عربيًا ، اي كَحَلَزُون ، لا (تَليفُون) الذي لا وزن لهُ في صميم لغة الضاد ، او ان يقــال (تَيلَفُون) كَحَيزَبُون . او (هاتِف) ، فانها كلمة لا بأس بها .

(البُرْصَة) وزان الغُرْفَة ، لا (بُوْرصَــة) ، بواوٍ بعد البآء ، التي لا قياس لها في لغتنا .

(الغَرَامُوفُون) أو (الجَرَامُوفُون) تقتل ، لغرابتها وقُبْح وزنها . و يقال في مكانها (الحاكي) .

و يقــال (التَرَام) كسَحاب ، لا (تراموايْ) ، لبُعْدِها عن اوزان العرب ، ومألوف ألْفَاظِهِمْ ، وقد اثبتها مجمع اللغة العربية الملكي .

و يقال (الرادّ) ، لا (الراديو) لمخالفتها الاصول العربية ، وهي تؤدي أحسن تأدية عمل هذهِ الآلة ، فانها « ترد » على مســامع الحاضرين ما ينطق بهِ المتكلم . ونبقي (المِذْيَاع) (المكروفون) ، اي للآلة التي يتكلم بين يديها الخطيب ، لتنشر صوتهُ وتبثّهُ . (فالرادّ) يردّدهُ في كل نادٍ ووادٍ .

و يقال (البَيَان) تعريبًا للپيانو ، الغريب الوزن ، فهو كالآلة التي تبيّن وتفصح عمَّا يقع في النفس من أنواع حركاتها الباطنة .

و يستقبح مثل (مِصْرُولُوجِيّة) ، لتركبها من افرنجية وعربية ، وهو أقبح ما جآء من هذا القبيل . وكذلك (أَشُّورُلُوجِيَّة) و (سُورِيُولوجِيَّة) و يقال في مكانها : علم المِصْرِيَّات ، وعلم الاشوريات ، وعلم السُورِيَّات . وقد وقع مثل ذلك التركيب القبيح

في عهد سقوط العربية ، أي في عهد المماليك ، فقالوا : الدُّويدار ، والعَلَمْدار ، والجامَدار ، ونحوها(١) .

ويُنبذ مثل فوتغراف (٢) ، وفونغراف (٣) ، وتلغراف (٤) ، وتَلْفَزَة (٥) ، وفَسْلجة (٦) ، وفيزياء (٧) لقبحها وشناعتها وفظاعتها .

خلاصة الفصل

يؤخذ مما سردناه في هذا الفصل : ان في العربية الفاظاً دخيلةً ، قاومت العصور والبلاد ، والعباد ، واهل العناد ، باقيةً على حالها ؛ مع ما هناك من المترادفات العربية ، التي كان يمكن ان تقوم مقامها ، لكن ذلك لم يقع ، لأن الاعجميَّات التي اندسَّتْ في لغتنا ، كانت شاكية السلاح ، مقاومة لأعدائها العربيات بخفة لفظها ، واحرفها ،

---

(١) اغلب هذه الالفاظ مركب من كلمة عربية او معرَّبة ، هي الصدر ، وكلمة (دار) وهي العجز . وكلها كلم لا يتعدّى عددها العشرين ، وهناك الفاظ صدرها كلمة عربية او معربة ، وعجزها (دان) مثل قَلَمْدَان ، وشَمَعْدَان ، وبُخُورْدَان ، وسُكَّرْدَان . وكلها الفاظ لم تعش إلا في ذيالك الوقت المنحط ، ولم يُدَوِّنها ارباب المعاجم الفصحى ، بل اشار اليها التاج ، او قل : اشار الى بعضها السيد مرتضى ، شارح القاموس . وقال انها مولدة او عامية . راجع مثلاً ماقالهُ في مادة (س ك ر)

(٢) الفوتغراف : التصوير بالضوء

(٣) الفونغراف : آلة تلقط الصوت وتلفُظه ، فهي (اللاقطة) . وقد عاندني احد الجهلة فقال : لافرق بين الفونغراف والفوتغراف سوى نقطة واحدة ، وهي كلا شيء . فماذا ينعتُ مثل هذا الرجل ؟

(٤) التلغراف : آلة يتصل بها الانسان بمن يُريد ، واكثر مايكون ذلك بآلة برقية ، ولهذا سُمِّيت (المُبْرِقَة) والفعل (ابرق) والخبر (بَرْقِيَّة) .

(٥) وضعها من فسد ذوقهُ العربي ناقلاً الافرنجية (تَلَفِزَيُون) اي Télévision وهي (المُبَاصَرة) في العربية . قال الجوهريُّ في صحاحِهِ : « باصرتُهُ : إذا اشرفتَ تنظر اليهِ من بعيد» اه . فيكون المصدر المباصرة وهو معنى الكلمة الافرنجية .

(٦) الفَسْلَجَة تعريب قبيح للفسيولوجية PHYSIOLOGIE . وهي علم مَظاهر الحياة او علم الخِلقة

(٧) مسخ شنيع لعلم الطبيعيَّات PHYSIQUE

ورشاقة وزنها ولطافتهِ ، ومضارعة مادتها للمادة العربية : وكفاها ذلك انقاوم ضرائره وكل معادٍ لها . ولهذا تُخَلَّد بهـذهِ الاسلحة الفاتكة ، ما دام هنالك عربي ناطق بالضاد (١) .

٣١ . موت كَلِمٍ عربيّ وزوالهُ واندراسُهُ

قال ابن فارس اللغوي الشهير : « اعلم أنَّ لغة العرب لم تَنْتَهِ الينا بكليتها ، وان الذي جاء من العرب ، « قليـل من كثير » وان كثيراً من الكلم ، ذهب بذهاب أصلهِ ، (راجع مقدمة تاج العروس ص ٧)

وقال المَجْد الفيروزابادي : في مقدمتهِ : « ولما رأيتُ إقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير انهُ فاتهُ نصف اللغة ، أو اكثر ؛ اما بإِهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبـة النادَّة » ثم قال : « قال شيخنا : وصريح هذا النقل يدلُّ على انهُ جمع اللغة كلها ، وأحاط بأسْرِها ، وهذا أمر متعذّر لا يمكن لاحدٍ من الآحاد، إلا الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام » .

وقال الشارح (ص ٢٦) : « فاذا عرفت ذلك ، ظهر لك ان ادعاء المصنف (اي المجد) حَصْر الفوات بالنصف ، أو الثُلُثَيْن في غير محلهِ ، لأن اللغة ليس يُنَال مُنْتهَاها ، فلا يُعرف لها نصف ولا ثُلُثٌ ؛ ثم ان الجوهري ما ادعى الاحاطة ، ولا سمَّى كتابهُ « البحر » ولا « القاموس » ؛ وانما التزم أن يورد فيهِ الصحيح عنـدهُ ، فلا يلزمهُ كل الصحيح ، ولا الصحيح عند غيرهِ ، ولا غير الصحيح ، وهو ظاهر » ا ه .

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان ، في مادة (يمامة) في كلامهِ على الزرقاء:

---

(١) ماحَـلَّ ويحلُّ في اللغة المبينة ، يرى مثلهُ في اللغات القديمة والحديثة من لُغَـى البشر ، فهي اذن سُنَّـة جارية في وجهها بل سنة الله في خلقـهِ ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

« ولما نزل بجديس ما نزل ، قالت لهم زرقاءُ اليمامة : كيف رأيتم قولي ؟ – وأنشأت تقول :

خذوا خذوا حَذَرَكم ، يا قوم يَنفعكم ، فليس ما قد أرى «مِلْ الأمرِ» مُحتَقر
إني أرى شجراً من خلفها بشرٌ ، لأمرٍ اجتمع الأقوام والشجر

وهي من أبيات ركيكة » اه .

وقال السيد مرتضى في تركيب (ع ي ر) : « قال الحرث بن حِلِّزَة اليشكريّ :

زعموا أنَّ كلَّ من ضرب العَيْـ ـرَ مَوَالٍ لها ، وأنَّى الوَلاءُ

هكذا انشدهُ الصاغاني . وفي اللسان : مَوَالٍ « لنا » . ويروى الوِلاءُ بالكسر . وقد اختلف في معنى « العَيْر » في هذا البيت اختلافاً كثيراً ، حتى حكى الازهري عن ابي عمرو بن العلاء أنهُ قال : « مات من كان يُحْسِنُ تفسير بيت الحرث بن حِلِّزَة . . . وها أنا أجمع لك ما تشتَّت من أقوالهم في الكُتُب ، لئلاّ يخلو هذا الكتاب [أي التهذيب] عن هذهِ الفائدة : فقيل . . . (وذكر هنا عشرة أقوال ، لا تُرَى مجموعة في سِفْرٍ واحدٍ) اه .

وقد نقل الينا بعض الرواة أبيات شعر عن مرثد بن سعد ، وقد كان في زعمهم في أيام النبي هُود (وهود عاش على ما قال ابو الفداء وابن الاثير وجمهرة من مؤرخي العرب بعد نوح ، وقبل ابراهيم الخليل . وأنت تعلم انَّ ابراهيم عاش سنة ٢٠١٦ قبل المسيح ، فيكون بلغنا شعر ، لم يبلغ الى جميع أمم الارض ما يماثلهُ قدماً ؛ ولا يرى المحققون صحة هذه الرواية ، والعرب في بدء أمرها كانوا رُحَّلاً في ذلك العهد وليس لهم من وسائل الرواية ما يضمن لنا صحتها .

وروى لنا المسعودي شعراً لِرَجُلٍ كان في عهد النبي صالح . ونُقِل لنا من كلام الحارث بن مُضاض الأصغر الجرهمي ما دوّنهُ المسعودي في مروجهِ .

وجاءنا كلام وأشعار من يعرب بن قحطان نفسهِ ، وعاد بن عُوْصٍ وثمود بن عابر ، وسائر رؤوس الامم والقبائل العربية البائدة . وقد ذكر كل ذلك المسعودي

في كتابهِ المشار اليـهِ هنا . وذكر لنا كلاماً وشعراً عربيًا ، من أيام النبي بَرَخِيًّا ، ومن يطالع المروج ، يقع على كلام وشعر ، من كل عصر من عصور العربية .

بل أغرب من هذا وذاك ، ما ورد الينا من نظم آدم أبي البشر . ولا جرم ان اهل النقد لا يلتفتون الى هذه الاقوال ، ويعدونها ملفقة من أولها الى آخرها ، إلا انهُ يؤخذ منها أن لغة الضاد قديمـة . يشهد على ذلك (سِفر أيُّوب) فان كثيرين من العلماء يذهبون الى ان صاحبهُ وضعهُ بلغتهِ العربية ، إذ فيهِ عبـارات ، وتشبيهات ، ومجازات ، واستعارات ، لا تُعرف إلا في العربية . فلا شك انهُ نُقِل من اللغة العربية الى العبرية وبقيت في النقل اصول اللغة ، ومبانيها ، وصيغها على أصلها ، او يكاد .

ولا يزال مثل هذا الكلام الغريب ، الذي لا يعرف معناهُ اليوم أحد ، مجهولاً لا يهتدي اليهِ أوسع اللغويين وقوفًا على العربية . ويسمى مثل هذا الكلام (العقميّ) أو (العقبيّ) . قال ابن مكرم في (ع ق م) : « كلام عُقْمِيّ : قديم ، قد دَرَسَ . عن ثعلب . — والعِقْمِيُّ من الكلام : غريبُ الغريبِ . والعِقْمِيُّ كلام عَقِيمٌ لا يُشْتَقُّ مِنهُ فعلٌ . ويقـال : إنهُ كعالِم بعِقْمِيّ الكلامِ ، وعُقْبِيّ الكلام ، وهو غامض الكلام الذي لا يعرفهُ الناسُ . وهو مثـل النوادر . وقال ابو عمرو : سألتُ رجلاً من هُذَيْل عن حَرْفٍ غريبٍ . فقال : هذا كلام عُقْمِيّ ، يعني انهُ من كلام الجاهلية ، لا يُعرف اليومَ . وقيل : عُقْمِيُّ الكلام ، اي قديم الكلام . وكلام عُقْمِيّ وعِقْمِيّ [اي بضمّ الاول وكسرهِ] اي غامِض » اه .

فعُقْمِيّ الكلام ، ناشئ من قراع الكلم بعضها لبعضٍ ، ولولا هذا القِراع لمـا مات بعضها وعاش البعض الآخر ، وهو هذا الواصل الينا . أما المنقرض فلا يعلمهُ إلا الله ، ولعلهُ اكثر مما وصل الينا منهُ .

٣٢ً . امثلة من الألفاظ المماتة او البائدة

بَيَّنَّا ان الفاظاً جمَّة، لا يعرف عددها إلا الله، ماتت من هذهِ اللغة لعدم تدوينها، او لموت المتكلمين بها، او لأنها لم تناسب البيئة التي تغيَّرت بتغيُّر الاحوال والمعيشة، على ان هناك شيئاً يدل على بعض تلك المنقرضات. ونحن نذكر هنا ما نظنُّهُ زال واضْمَحَلَّ، وأبقى لهُ اثراً ضئيلاً. مثال ذلك:

١ً . فدِعَ. قال في القاموس: الفَدَعُ، محركةً: اعوجاجُ الرُسْغ من اليدِ او الرِجْل، حتَّى يَنْقَلِبَ الكفُّ اوالقَدَمُ الى إنْسِيِّها، او هو المَشْيُ على ظَهْرِ القَدَم، او ارتفاعُ اخْمَصِ القَدَم، حتَّى لو وطِئَ الأفْدَعُ عُصفوراً ما آذاهُ. أو هو عِوَجٌ في المفاصِلِ، كأنها قَدْ زَالَتْ عن مواضعِها، وا كثرُ ما يكونُ في الارساغ خِلْقَةً، أو زَيْغٌ بين القَدَم و بين عَظْم الساق. ومنهُ حديث ابن عُمَر: «أنَّ يهود خَيْبَرَ دفعوهُ من بيت، ففَدِعت قَدَمُهُ. — وفي البعير أن تَراهُ يَطأُ على أُمِّ قِرْدانِهِ، فيَشْخَصُ صَدْرُ خُفِّهِ. جملٌ أفدَعُ، وناقة فَدْعاء. والتفديع: أن تجعلهُ أفْدَع.» اه

والمعهود في الافعال الدالة على عيب أو مرض أن تجيء على صيغة المجهول، أو على وزن فَرِح وتُشتَق من اسماء الاعضاء نفسها. كقُلِبَ البعير — على المجهول — أصابهُ القُلاب فهو مَقْلوب. والقُلاب: داء للبعير يشتكي منهُ قلبهُ، يُمِيتهُ من يومهِ.

وكُبِدَ فلان — على المجهول — شكا كبدهُ فهو مكبود.

وفُئِد فُلان على المجهول — فأداً، وَفَئِدَ كفرِح — فأداً بالتحريك: شكا فؤادهُ او وَجِع فؤادُهُ وأشباه ذلك كثيرة لا تخفى على الباحث.

وعليهِ يكونُ اشتقاقُ (فَدِع) من كلمة تدلُّ على الرِجْل، او القَدَم، وهي (الفُدْع) بضمّ الفاء أو كسرها. وهي موجودة في لغاتٍ كثيرة، باسقاط حرف الحلق منها. فهي باللاتينيَّة PES, PEDIS و باليونانية πούς ποδός و بالهندية

الفصحى pâda-s أو pad,pâd ، وبالقوطـيَّة fôtu-s ، وبالانكليزية FOOT وبالالمانية FUSS.

ودونك كلمة ثانية هي (الفُقْع) ففي هذهِ المادة معانٍ مختلفة ، نلخّصها لك من القـاموس : فَقَعَ لونهُ : اشتدت صفرتهُ ، أو خلصت وصفت . وفقع الشيءُ : احمرَّ . وفقَّع الاديم : حمَّرَهُ . وتفاقعت عينـاهُ : ابيضَّتا . واحمرُ فاقعٌ او اصفرُ فاقعٌ ، أي شديد مشبع اللون . ورجل فُقَاعٌ (وهو غير منصرف لانهُ معدول عن فاقع ، ووزنهُ وزن فُعَلٍ بزيادة الالف) اي احمر . واحمرُ أو أصفرُ فُقَاعِيٌّ أي شديد ، والفقّيع: الابيض من الحمام . وابيضُ فِقِّيع اي شـديد البياض . والفَقْع : البيضاء الرِخوة من الكمأة . والجمـع فِقَعَةٌ كعِنَبَةٍ . والفِقْع كالفَقْع : للكمأة المذكورة . والفقّيع : الرجل الاحمر . والافقع : الشـديد البياض . والمُفَقِّعَة : طائر اسود واصل ذنبهِ ابيض » . اه تلخيصاً .

فالمعنى السائد في هذه الالفاظ لا يخرج عن احمر واصفر وابيض . فالاحمر عند السلف يدُلّ على كل من الاصـفر والابيض . يقولون : رجلٌ ابيضُ ، كما يقولون رجلٌ احمر .

ويسمون الذهب اصفر ، كما يسمونهُ احمر . وثَمَّ أدلة لا تُحصى على ان هـذهِ الالوان الثلاثة قد تتبادل عند الاقدمين من أبناءِ الضاد :

فلا جرم أنهم كانوا يعرفون مادةً حمراء ، موجودة في الطبيعة ، حتى جاز لهم أن يستعملوا مشتقاتها للمعاني المذكورة،وهي مفقودة اليوم في اللغة ، لكنها موجودة في اليونانية وهي(phûkos) (τό) φύκος εος-ους و باللاتينية FUCUS وهو نبت بحري، تُستخرج منهُ الحُمْرة أو الغُمْرة ، وهي ما يُصْبَغ بهِ الوجه بالاحمر . واستعار ابن البيطار اسم هذا النبات من اليونانية وسمَّاهُ (القُوقُس) ، بقافين ، فأخطأ ، والصواب الفُوقُس، بفاءٍ مضمومة ، يليها واو ساكنة ، فقاف مضمومة فسين ، ولو درى أن الكلمة

اليونانية نفسها ساميــة الاصل ، كما اقرَّ بذلك علماءُ الغرب من الواقفين على أصول الكلم ، لقال (الفُقْع) ، لأنك لَوْ حذفتَ من الهلّنيَّة الســين ، وهي من علامات الاعراب عندهم ، لبقي (فوقو) فالواو الاولى عوض الضم . لانهُ يُصَوَّر عندهم بهذهِ الصورة ، والثانية هي عوض العين ، والعــين حرف حلقي يسقط في كلامهم ، لكان الحاصل : (الفُقْع) .

واليك مثلاً ثالثاً : جآء في اللغة : « القَرَمُ ، مُحَرَكةً ، شِدَّةُ شهوة اللحم » . وورد في تركيب عرن : « العَرِين : اللَحْم . والعَرَنُ ، محركةً ، اللحم المطبوخ . وأعْرَنَ : دام على اكل اللحم » . (ملخص عن القاموس) .

وعندنا ان القَرَم ، وهو على وزن فَعَل ، يدل على عيب ، كالعَرَج والحَوَل ، والقَبَل . والعيب يشتق من اسم يؤخذ منهُ العَيْب . والاسم الاصل هُنا « القَرْمُ » : بفتح فسكون ، وهو اللَحْم . والكلمة تنظر الى اللاتينية CARO, CARNIS وهو اللحم . وما العرَن إلا لغة في القرم . أُبدلت فيها الميم نوناً والقــاف عيناً . وابدال الميم نوناً كثير في كلامهم (راجع المزهر طبعــة بولاق ١ : ٢٢٢ و ٢٢٥) — وكذلك ابدال القاف عيناً .

فقد قالوا : القُصْلُب : العُصْلُب ، وهو القوي الصُلْب . — وَعَبَا الثياب يَعْبَاها ، مثل قَبَاهَا يَقْبَاهَا — وطوَّعَت لهُ نفسهُ تطويعاً ، مثل طوَّقت لهُ نفسهُ تطويقاً ، أي رخصت لهُ وسهَّلت . إلى آخر ما هناك .

ولا تتعجب إذا وقع إبدالان في حرفي الكلمة الواحدة ، فقد جآءَ في اللسان في مادة (عرف) في نحو آخرها ما هذا نقلهُ : « وأما قولهُ أنشدهُ يعقوب في البدل » :

وما كُنْتُ مِمَّنْ « عَرَّفَ » الشرَّ بينهم ، ولا حِينَ جَدَّ الجِدُّ مِمَّنْ تَغَيَّبا

فليس «عَرَّفَ» فيهِ [أي في هذا البيت] من هذا الباب [أي من مادة عرف يعرف] ؛ إنما أراد « أَرَّثَ » فأبدل الألف لمكان الهمزة عيناً ، وأبدل الثآءَ فآءً » انتهى .

فأنتَ ترى من هذا البيت أن الشاعر كان في مندوحةٍ عن استعمال « عَرَّف » بمعنى « أَرَّث » لأن الوزن واحد ، والمعنى واحد ، لكن « عرَّف » كانت لغة قومه، فلم يَحِدْ عنها . ومُثُلُ وقوع إبدال حرفين في الكلمة الواحدة كثيرة ، وقد جمعنا منها شيئاً غير قليل . وبهذهِ الاشارة مَجزأة .

ومن لغات « قَرِمَ » : « قَطِمَ » . قال اللغويُّون : قَطِمَ الرَجُلُ : اشتهى اللَحْم أو غيرهُ . والقَطَامِيّ وَيُضَمُّ : الصقْرُ ، أو اللَحِمُ منهُ كالقْطَام : كَسَحَاب ، فأنت ترى أن معنى «اللحم» ملازم لهذا التركيب وهو أمر عجيب غريب . وكل هذا الاختلاف حاصل ، عن اختلاف القبائل المبثوثة في ديار العرب .

ومن الكلام المات : الجَدَف محركةً : قال في اللسان : « الجَدَف » من الشراب : مالم يُغطَّ . وفي حديث عُمَرَ رضي الله عنهُ ، حين سأل الرَجُلَ الذي كان الجِنُّ استهوَتهُ : ما كان طعامُهم ؟ قال : الفُول ، ومالم يُذْكر اسم الله عليهِ . قال : فما كان شرابهم ؟ - قال : الجَدَفُ . وتفسيرُهُ في الحديث أنَّهُ مالا يُغطَّى من الشراب . قال أبو عَمْرٍو : الجَدَفُ ، لم أسمعهُ إلا في هذا الحديث . وما جاءَ إلاَّ ولهُ أصل ؛ ولكن ذهب من كان يعرفهُ ، ويتكلَّم بهِ ، كما قد ذهب من كلامهم شيءٌ كثير » اه كلام ابن مكرم .

قلنا : الذي يبدو لنا أن الجَدَف هنا فَعَلٌ بمعنى مفعول ، كما قالوا : النَفَض والقَبَض والهَدَم بمعنى المنفوض والمقبوض والمهدوم . ولما كان معنى الجدف المجدوف غطاؤهُ أي المرميُّ غطآؤهُ ، كان معناهُ المكشوف أو الذي لا غِطاءَ عليهِ .

ومن قبيل المُمَات البائد ، الذي لا ذكر لهُ في الأسفار التي بأيدينا : « البَرَم ، بالتحريك . قال الفيروزابادي : البَرَم حَبُّ العِنب ، إذا كان مثلَ رؤوس الذَّرّ . وقد أَبْرَمَ الكَرْمُ . » اه .

قلنا : قولهُ : مثل رؤوس الذّرّ يوجب أن يكون (البَرَمُ) في معناهُ الاوّل : الذَّرَّ ثم شبِّه بهِ حبّ العِنب ، لأن لا بُدَّ من أن يكون للمشبَّهِ أصل موجودٌ في أصل المشبَّه بهِ . اذن البرَم: الذّرّ كما في اليونانيـة . μύρμηξ, ηκος (myrmèx, èkos) وهو باللاتينية FORMICA و بالهندية الفُصحى vamrà-h, VAMRI(VARMA-I) .

والبَيْرَمُ في العربية: البِرْطِيل أي الحجر الطويل الصُلب خِلْقةً، يُنْقَر بهِ الرَحَى . والكلمة اليونانية تعني الصخرة التي يُغَطِّيها الماَء . فبين اللفظين والمعنيين تقارُب ونسبٌ .

ومن الممات البائد : النُهْر بضم النون واسكان الهاَء وفي الآخر راَء بمعنى الضيـاَء ومنها النَهَار . وهو ما تظهر فيهِ الشمس من ساعات اليوم . ولم ينطق بهِ العرب ، بل قالوا في مكانهِ « النور » .

وقالوا « الرُكْبة » وكان الحق أن يقال « البُرْكة » لأنهم اشتقوا منها « بَرَكَ » ولم يقولوا « رَكَب » بهذا المعنى لئلاَّ يختلط بمعنى اعتلاَء ظهر الحيوان .

والبحث واسع لا تحويهِ المجـلدات . فكيف هذهِ الصَّفحات . ولا سيما أن العرب اختلطوا بأقدم الأمم وامتزجوا بهم امتزاج الراح بالماَء القراح ، فأعاروهم شيئاً كثيراً من ألفاظهم ، وأخـذوا منهم أيضاً الفاظاً لا يستقل عددها . واتصالهم بالمصريين ، والحبشة ، والفلسطينيين ، والفَنيقيّين .والأشوريين ، والفرس ،وغيرهم ، أمر غير مجهول اليوم . وقد بقي من لسان كل قوم شيء بمنزلة الذكرى . فنعمت هذهِ الذكرى !

٣٣ . ما يُعمَّر ولا يموت فى هذه اللغة

بلغت هذهِ اللغة عمراً ، يجوز أن نسميهُ (الكهولة) ، وهو العمر الذي تكتمل فيهِ قوى الحي الداخلية والخارجية ، فيتمكن صاحبها من أن يدفع بها أعداءَ حياتهِ ، من أي جنس كانوا ، ومن أي طبقةٍ .

فلقد مرَّت مئات من السنين على هذهِ اللغة ، وبلغ المتكلمون بها كل غاية ومدًى ، حتى لم يبق لهم إلا أمر واحد ، هو الاحتفاظ بما وقع في أيديهم ، وأن لا يُسَاءَ التصرُّف فيهِ ، وإن كان قد مات من هذهِ اللغة شيء لا يُقَدَّر في سابق العهد ، فلقد وقع في أوانٍ كانت العوامل ضعيفة وغير مضطلعة بما عهد اليها . أما بعد هذا الحين ؛ فان اللغة أصبحت في حرزٍ حريز من القوة والمناعة ومقارعة أعدائها ، مالا يُخاف عليها البوَار .

وأهَمُّ ما يُعَمَّرُ في هذهِ اللسان : أصول كلمها ، وتراكيب حروفها ، وأوزانها أو صيغها . ونحن نقول كلمة على كل فصل من هذهِ الفصول .

٣٤ . أصول الكلم وتراكيب حروفها

بَيَّنَّا في صدر هذا الكتاب ، أنَّ أول ما وُضِعت عليهِ أصول هذه اللغة ، كان يتقوَّم من حرْفيْن ، ثم كُسِعَ بحرفٍ ثالثٍ للتثبت من تحقيق لفظ الحرف الثاني من الكلمة . ومنذ ذيالك الحين ، بُنِيَت كل لفظةٍ عربيةٍ على ثلاثة أحرفٍ ، وأصبحت لها كالاثافيّ ، وعليها أُحْكِمَ وضع أصولها ، وما زِيد على ذلك القدْر من الأحرف ، أُلحق بها لغاياتٍ شتَّى ، يذكرها علماء العربية في مطاوي مباحثهم .

وقد وضع ابن فارس معجمًا بديعًا سماه (المقاييس) وذكر لكل مادة ما يتعلق بها من المزايا والخصائص ، ولم يذكر مادة واحدة إلا نبَّهَ عليها أنها تفيد كذا وكذا . فقد قال مثلاً في تركيب (د ل ك) بعد أن ذكر ما فيها من مختلف الألفاظ المشتقة منها : « إن لله في كل شيءٍ سرًّا ولطيفةً . وقد تأملتُ هذا الباب ، يعني باب الدال مع اللام ، من أولهِ الى آخرهِ ، فلا تُرَى الدَّال مؤتلفة مع اللام ، إلاَّ وهي تدلّ على حركةٍ ومجيءٍ ، وذهاب وزوالٍ من مكان إلى مكانٍ » .

وقال صاحب العين : « اعلم أن تقاليب هذهِ المادة (مادة م ل ك) كلها مستعملة . وهي : (م ل ك) و (م ك ل) و (ك م ل) و (ك ل م) و (ل م ك)

و (ل م ك) » . فقال الامام فخر الدين بعد أن وقف على هذهِ الكلمة : « تقاليبها الستة تفيد القوَّة والشدة . خمسة منها معتبرة وواحد ضائع ، يعـني (ل م ك) . قال صاحب القاموس في البصائر: « وهذا غريب منهُ ، لأن المادة الضائعة عندهُ ، معتبرة معروفة عند أهل اللغة . ثم ساق النقل عن العُباب ما قيـل في (اللمْك) ، قال : فاذن الستة مستعملة ، معطية معـنى القوة والشدة . (وراجع أيضًا تاج العروس في (م ل ك) . »

وقال السيد مرتضى في الأصل (ن ف د) : « نقل شيخنا عن الزمخشري في الكشاف أنهُ لو استقرى أحدٌ الألفاظ التي فاؤها نون ، وعينها فآء ، لوجدها دالة على معنى الذهاب والخروج . وقالهُ غيرهُ . » اه

وقد ذكر الصاغاني في آخر تركيب (ق ن ع) : « والتركيب يدل على الاقبال على الشيء ، ثم تختلف معانيهِ مع اتفاق القياس ، وعلى استدارةٍ في شيء . وقد شذَّ عن هذا التركيب « الاقناع » : ارتفاع ضرع الشاة ليس فيهِ تصوُّب . وقد يمكن أن يجعل هذا أصلاً ثالثًا ويحتج فيهِ بقولهِ تعالى : ومُهطِّعين مقنعي رؤوسهم » . - قال أهل التفسير أي رافعي رؤوسهم » . (راجع تكملة الصحاح للصاغاني في قنع) .

قال الاب أنستاس ماريّ الكرمليّ: نحن لا نرى في هذا التركيب شاذًا لان الاقناع هنا لارتفاع ضرع الشاة إشارة الى هيئة القنع والذي يتخـذ القُنع يرفعهُ صُعُدًا حين النفخ فيهِ ، فتكون الاشارة اليهِ في ارتفاع الضرع من « أحسن الاشارات وأبينها » .

وقال الصـاغاني في مادة (س ل ط) : « والتركيب يدلُّ على القوة والقهر والغَلَبة . وقد شذَّ عنهُ « السليط » للدُهْن » اه .

قُلنا : ونحن لا نرى هنا شاذًا ، بل داخلاً في حيز المادة : لأنَّ السليط بمعـنى الدهن يحتاج لعصرهِ الى قوة وقهْر . إذن فلا شذوذ .

وفي العُباب في ترجمة (عرض) : « العين والراء والضاد ، تكثر فرُوعُها ، وهي مع كثرتها ترجع الى أصل واحدٍ وهو (العرْض) الذي يخالف الطول . ومن حقَّقَ النظر ودقَّقَهُ ، علم صحة ذلك » : اه

وقد انتبه جمهور اللغويين الى أصول الكلم وما بينها من المعاني ، على أنهم لم ينبهوا في كل منها على ذلك الاشتراك الظاهر لكل ذي عينين ، إمَّا لوضوح الأمر ، واما لأنهم لم يروا فيهِ عظيم فائدة ، واما لأسباب نجهلها . وقد سبق جميع أصحاب المعاجم الليث بن نصر بن سيَّار الخراساني في كتابهِ (العين) ، المنسوب وهمًا الى الخليل بن احمد الفراهيديّ ، فانهُ نبه في صدر كل ترجمة ما يشعر ان في التركيب الفلاني ، المعنى الفلاني ، وان لم يصرّح بهِ تصريحًا بيّنًا . نراهُ يقول مثلاً : « باب العين مع الباء : عبا . عبو . عيب . وعب . بوع . بعو . بيع . عاب . مستعملات . لكن اللغوي الذي وضع معجمهُ مبنيًا على المواد ، واحدة واحدة ، وذكر ما لكل مادة من المعنى الخاصّ بها هو ابن فارس ، فان سِفْرَهُ الجليل ، الذي لا يمكن أن يقوَّم هو (المقاييس) الذي يجد فيهِ الباحث كل ما يتمناهُ من خصائص الأصول وتراكيبها الأصلية .

ولقد انتبهَ لغويو العرب ، قبل لغويي أهل الغرب ، الى هذهِ الفكرة البديعة ، والآن ترى غير أبناء الضاد ، يشيرون في معاجمهم المطولة ، الباحثة عن الاصول ، إلى أصل المادة ، بقولهم : وهذا الأصل يفيد كذا . واذا عارضت هذهِ الاصول بأصولنا ينفتح بين يديك باب واسع يكْشِفُ لك جَنَّاتٍ فيحًا من المعاني ، تصطفق أوراقها ، وتغرّد أطيارها ، وتصطخب أمواهها ، وتمرح ظباؤها ، كأنك في نعيم مقيم . أشير في ذلك مثلاً الى المعجم اليوناني الفرنسيّ لصاحبهِ أناطول بايّي واسمهُ بالفرنسية :

M. R. A. BAILLY.— Dic. Grec— Français, rédigé avec le concours de M. E. Egger. ix édition.— Librairie Hachette. Paris.

فقد عقد في آخر ديوانهِ بابًا بديعًا ، وسمهُ : « فهرس الاصول الواردة في المعجم مع ذكر أهم الالفاظ المتصلة بها » وقد وقع في ٢٦ صفحة وكل صفحة منها منشطرة الى ثلاثة أشطر . وذكر فيها أصل الكلمة بالحرف اليوناني ، مع ترجمته ، وعدد بعض المفردات اليونانية مع تفسيرها الى الفرنسية ، فجاء هذا الباب من أنفس الابواب . ونحن ننقل الى القارىء ثلاثة من أصولهِ ، لا أكثر ليتضح الأمر بوجههِ الصبيح ونهجهِ البديع .

ذكر في ص ٢٢٠٣ هـذهِ الأصول GAL, GEL, d'où Glè وقال معناها CLAIR être أي وضح و BRILLER أي تلألأ ، ثم أدعم قولهُ هـذا بأكثر من عشرين مفردة . فهذا الأصل يقابلهُ عندنا (جلا) ويشترك معهُ (جهر) في بعض معانيه ، كما سترى :

وجلا السيف والمرآة جلواً وجلاءً : صقلهما

وَجَلاَ البَصَر بالكحل : روَّقهُ .

وجَلاَ عن فلانٍ الأمر : كشفهُ .

وَجَلاَ لي الخَبَرُ : وَضُحَ .

وَجَلاَ العروسَ على بعلها : جُِلْوَةً (مثلثةً) وجِلاَءً : عرضها عليهِ مَجْلُوَّةً . — وجلاها زوجها وصيفةً أو غيرها : أعطاها إياها في وقت العرض والزفاف .

وجَلِيَ الرجُلُ يجْلى جَلىً : انحسر مقدم شعرهِ ، أو نصف الرأس ، أو هو دون الصلع فهو أجْلى .

ويشتق من هذا الثلاثي ، مزيدات عدة وأسماء مختلفـة ، لو ذكرناها لتعدّى قدرها المائة . فانظر هذا الاتفاق بين اليونانية والعربية !

وذكر GAR وقال هذا الاصل يفيد السَقْع والصُرَاخ والصُيَاح .

قلنا : وعندنا نحن بهذا المعنى جأر وجهر . فمن الأوّل :

جَأر الى الله يجْأَرُ جأْرًا وجُؤَارًا : رفع صوتهُ بالدعاءِ اليهِ ، وتَضَرَّع واستغاث وجَأَر الثَوْر : صاح . وجأر النبـات : طال ، كأنهُ بذهابهِ الى السماءِ يصرخ اليهـا . وجأرت الارض : طال نبتهـا . وَجَئِرَ الرجل يجْأَر جأرًا . غَصَّ في صدرهِ . — وفي هذا الاصل مشتقات عديدة يتدبَّرُها الباحث في دواوين اللغـة اذا أراد التوسع في البحث .

ومن الثاني:

جَهَرَ الامر يجهَرُ جهْرًا وَجِهاراً : عَلَنَ .

وجَهَرَ الكلامَ و بالكلامِ : أعلنهُ .

وجهر الصوْتَ : أعلاهُ .

وجَهَرَ القوْمَ : استكثرهم حين رآهم .

وجَهَرَ الارض : سلكها من غير معرفة .

وجَهَرَ الرجلُ : رآهُ بلا حجابٍ ، أو نظر اليهِ وعَظُمَ في عَيْنَيْهِ .

وجَهَرَ السِقاء : مخضهُ .

وجَهَرَ الشيءَ : كشفهُ وحزرهُ .

وجَهَرَ البئْرَ نقَّاها وأخرج مافيها من الحمأَة ، أونزحها ، أو بلغ المآءَ . قال الاخفش: تقول العرب : جَهَرْتُ الرَكيَّةَ : اذا كان ماؤُها قد غطَّى الطينَ ، فنقَّيْتَ ذلك حتى يظهر الماءُ ويَصْفُوَ .

وجَهَرَ الرجلُ فلانًا عَظَّمَهُ .

وجَهَرَ بالقوْلِ : رفع بهِ صوتَهُ .

وجَهَرَ بالبَسْمَلَةِ : نطق بها واضحًا وبصَوْتٍ عالٍ ، عند فاتحة الصلاة .

وجَهَرَتِ الشمسُ المسافِرَ : أَسْدَرَتْ عينَهُ .

وجَهَرَ الشيءُ فلانًا : راعهُ جمالهُ وهيئتهُ

وجَهَرَ القومُ القوْمَ : صَبَّحُوهم على غِرَّةٍ .

وجَهِرَتِ العينُ تجْهَرُ كفرِحَ : لم تُبْصِرفي الشمْسِ .

وجَهُرَ الرجلُ يجْهُرُ ، بضمّ الهآءِ ماضيًا ومضارعًا ، جَهارَةً فخُمَ بين عَيْنَيِ الرائي .

وَجهُرَ الصوت يجهُرُ ، بالضم أيضًا ماضيًا ومضارعًا : ارتفع .

ولو أردنا التبسُّط في هذا الاصل ، لبعدنا في شقتنا . والمادة واسعة جدًّا ، تقع مشتقاتها من أفعالٍ وأسمآءٍ ، في صفحاتٍ عِدَّة ، يشترك فيها معنيان :

الجلآء والصوت كما قلنا في أول مادة (جلا) .

ومن الاصول التي ذكرها العلاَّمة اللغويّ (بابّي) : GEM وقال : « يغلب على معناها : الامتلآء والكثرة والحِمل » . قلنا : ويقابلها عندنا : جمَّ . من ذلك ماجآء في كتب لغتنا :

جمَّ المآءُ وغيرُهُ يجُمُّ ويجِمُّ (بالضم وبالكسر) جُمُوماً : كثر واجتمع .

وجَمّتِ البئرُ : تراجع ماؤها .

وجَمَّ الفرَسُ : ترَكَ الضرَابَ ، فتجمَّعَ ماؤهُ في صلبِهِ .

وجَمَّ قدومُ الغائب : دنا وحان .

وجَمَّ الجَوادُ جَمًّا وجَماماً ايضاً : تُرِكَ فلم يُرْكَبْ ، فعفا من تعَبِهِ .

وجمَّ العَظْمُ : كثر لحمُهُ .

وجمَّ الكيلَ يجُمُّهُ ويجِمُّهُ (بالضم والكسر) جَمًّا وَجِماماً (وهذهِ مثلثة الجيم) : كالهُ الى راس المكيال .

وجمَّ المآءَ : تركهُ يجتمع .

وجمَّ المكيالَ : ملأهُ الى راسهِ طفافاً .

وأما فروع هذا الاصل ، فشيءٌ كثارٌ ، ولا بد من مراجعة الأُمَّهات للوقوف عليها .

وقد سردنا هنا ثلاثة شواهد من أصول اللغوي الفرنسوي (بابّي) وفي مكنتنا أن نتوسّع في هذا البحث توسُّعاً ، لا يقوم بهِ حقَّ قيامهِ ، إلا سِفْرٌ ضخمٌ . ويظهر ظهوراً بارزاً ان اصول الهَلَّنيَّة والاصول المُضَرِيَّة متفقة . وهو أمر غريب ولسوءِ الحظّ ، لم ينُبِّه عليهِ أحدٌ ، لذهاب أغلب أرباب اللغة ان لا مناسبة بين لغتنا ولغتهم، وهو قَوْل قائل ينجلي فسادهُ من اول تبصُّرٍ لهذا البحث .

٣٥ . اوزان العربية وصِيغها

نريد بأوزان العربية ، او موازينها : ابواب الافعال من ثلاثية ومزيدٍ فيها . — ونريد بصيغها : أوزان الاسماء ، من مشتقة وغير مشتقـة ، وميَّزنا بين اللفظين والمعنيين ، أمنًا لِلَّبْس ، وإلا فلا فرق بينهما . ولهذا لم نقيّد نفسنا بهما كل التقييد ، بل تساهلنا فيهما أحيانًا .

فأما أوزان العربية ، فمن أبدع ما ورد فيها ، وهي من الغنى بحَيْث يجـد فيها الباحث ما يَجْزأهُ عن النحت والتركيب وتكثير الالفاظ والشروح ، حتى انك لا تجد ما يضارعهـا في سائر الألسنة ، ولو كانت سامِيّة الاصل . نعم ، انك ترى في العبرية والارمية شيئًا يشبه هذه الاوزان ، لكنك لا تجدها كلها ، بل بعضًا منها ، وهي دون العربية عددًا . فالعربية سبقت اخواتها كلهنَّ ، وبَزَّتْهنَّ بَزًّا ! ولكل وزن من تلك الاوزان ، مزية خاصة بهِ ؛ وربَّما اجتمعت فيهِ عدة مَزَايا ، وربما أيضًا اشتركت مزايا هذا الوزن ، مع مزايا الوزن الآخر .

خُذْ مثلاً الوزن (فاعل) ففيهِ من المزايا ما يدهشك :

١ً . فتأتي (فاعَلْتُ للمشاركة) تقول : شاركتُهُ ، وقاتلتهُ . ودارستهُ ، وقاومتهُ وجاورتهُ ، وقاولتهُ .

٢ً . وتأتي فَاعَلْتُ بمعنى فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ . تقول : قاتلهم الله ، اي قتلهم الله . وعافاك الله اي أعْفَاكَ . وعاقبتُ فلانًا ، وداينتُ الرجُلَ أي أدنتُهُ . وشارفتُ بمعنى اشرفتُ . وباعدتهُ بمعنى أبعدتهُ . وجاوزتهُ بمعنى جُزتُهُ . وعالَيْتُ رَحْلي على الناقة أي أعليتهُ .

٣ً . وتأتي فاعلت من واحدٍ بغير معنى المشاركة ، ولا بمعنى فَعَلْتُ ولا افعلت

كقولك : سافرتُ ، وظاهرتُ ، وناولتُ ، وضاعفتُ ، وسابقتهُ ، وحاربتهُ ، فلم يسابقني ولم يحاربني .

٤ً . (وتأتي فاعلتُ بمعنى فعَّلْتُ بلا فرق) كقولك : ضاعفْتُ بمعنى ضعَّفت ، وباعدتُ وبعَّدتُ ، وناعمْتُ ونعَّمتُ . ويقال : امرأة مُناعِمة ومُنعَّمة . وربما وردتْ فاعلت بمعنى فعّلت في اصل ولا ترى فيه فعّلْتُ . تقول : فلان ضاءَلَ شخصَهُ أي صغَّرهُ ولا تقول : ضأّلهُ .

٥ً . (وتأتي فاعلتُ للمُباراة والمغالبة) تقول : شاعرتهُ مشاعرةً فشعرتُهُ ، أي غالبتهُ في الشعر ، فكنت أشعر منهُ . - وتقول : فاضاني فلان ففضَلْتُهُ أي باراني في الفضل ، فكنتُ أفضل منهُ . ومثلهُ : جاودني فجدتهُ . وعازَّني فعززتُهُ أي غالبني فغلبتُهُ . وضم العين في مثل هذا مُطرد في المضارع وليس في كل شيءٍ يقال : فاعلني ففعلته ، بل في ما يقبل المغالبة (راجع ما قالهُ صاحب اللسان في مادة (عزز) .

٦ً . (وتأتي فاعل بمعنى تفاعل) ومنهُ قول اللغويين ضاءَل شَخْصَهُ وتضاءَل أي صغَّرهُ .

والتوسُّع في هذا البحث وأشباههِ ، خاصٌّ بكُتُب الصرف ، فارجع اليها انْ شئت .

وأما الصيغ العربية ،

فهي أوسع ميداناً من الاوزان ، ولا نظن انَّ في العالم لغةً تعدَّدت فيها الصيغ كما تعـدَّدت في لغتنا ، ففي لغات الغرب مثلاً ، ولا سيما الحديثة منهـا ، ترى صيغاً للتصغير والتكبير ، للتحبيب والتحقير ، للتقريب وللتبعيـد ، للتجديد والتعتيق ، الى أشباه هذهِ الفكَر ، ونظن ان أغلبها صيغت على أمثلة لغة عدنان . اما ان هناك صيغاً خاصةً ، ولكلِّ صيغـة مزيةً خاصة بها دون غيرها ، فهذا لا يُرى إلا في هـذهِ اللسان البديعة .

فعندنا صِيَغٌ تمتاز بمعانٍ خاصة – هذا عدا الصيغ التي قرَّرها النحاة في تصانيفهم – فهناك : فُعَال ، وفِعال ، وفَعَال .

فُعَالة ، وفِعَالة ، وفَعَالة .

فُعَّال ، وفِعَّال ، وفَعَّال .

فُعَّالة ، وفِعَّالة ، وفَعَّالة .

فُعْلَة ، وفِعْلَة ، وفَعْلة .

فُعُلّ ، وفِعِلّ ، وفَعَلّ .

فُعْلَان ، وفِعْلان ، وفَعْلَان ، وفَعَلَان .

فَعَنْعَل ، وفَعَلْعَلَان ، الى غيرها وهي كثيرة . ونحن نذكر هنا بعض الشواهد للإلمام فقط ، والاشارة الخفيفة الى ما هناك من دقائق المعنى .

فالفرق مثلاً بين العَلَاقة (بالفتح) ، والعِلَاقة (بالكسر) هو على ما قال في الكليات : « العِلَاقة بالكسر ، هي علاقة السَّوْط والقَوْس ونحوهما . وبالفتح : عَلَاقة المُحِبّ والخصومة ونحوها . – فالمفتوح يُسْتعمل في الامور الذِهْنِيَّة ، والمكسور في الامور الخارجية . والعَلَاقة ايضًا هي اتصال ما بين المعنى الحقيقيّ والمجازيّ ، وذلك معتبر بحَسَب قوَّة الاتصال . ويتصوَّر ذلك الاتصال من وجوهٍ خمسةٍ : الاشتراك في شكلٍ – والاشتراك في صفةٍ – وكون المستعمل فيهِ ، أعني المعنى المجازي على الصفة التي يكون اللفظ حقيقةً فيها – وكون المستعمل فيهِ – أصلاً غالبًا الى الصفة التي هي المعنى الحقيقيّ – والمجاورة .

« فالاولان يُسَمَّيانِ مستعاراً ، وما عداهما مجازاً مرْسَلاً . ووجه المجاورة يَعُمُّ الامور المذكورة . قال صاحب الاحكام ، بعد ما عدّ الوجوه الخمسة ، وجميع جهات التجوُّز ، وان تعدَّدت ، غير خارجة عما ذكرناهُ . » اه .

قال صاحب هذا الكتاب : الفِعالة ، بالكسر ، تدلّ في أغلب الاحيان على

الصناعة كالحِراثة ، والزِراعة ، والمِساحة ، والنِجارة ، والحِدادة ، والخِراطة ، والحِيالة ، والتِجارة ، والسِقاية ، الى نظائرها .

وتدلّ أيضًا على الآلة ، والأداة ، فكأنّها تأنيث الفِعال الدالّ بنفسهِ على الآلة أو ما يشبهها ، كالحِزام ، والنِطاق ، والبِساط ، واللباس ، والمِقاط ، والشِكال ، والرِّباط ، والعِقال ، ونحوها .

وأما نظائر الفِعالة فكالإِداوَة ، والحِداجَة ، والخِزانة ، والرِحالة ، والجِبارَة ، والضِبارة ، والعِضادة ، والكِنانة ، والقِلادَة ، والحِمالة ، والرِفادة ، (الخِرْقة يُرْفد بها الجرح وغيره) والسِقاية ، (للإِناء الذي يُسقى بهِ) الى آخر ما ذكروهُ من هذا القبيل . بَيْدَ أن الأَمْثلة الواردة بالهآء أقلّ بكثير من المُثُلِ الخالية منها . على ان ما ذكرناهُ كافٍ لإِثباتِ ما نقول ، وان لم يذهب اليهِ إلى هذا اليوم ، أحد من النحاة أو اللغويين ، إلا ان الحقيقة لا تخفى على المتدبّر .

فَعَلْعَل

من الصفات الدالة على ان صاحبها يمتاز بكثرة ما يتصف بهِ ، ما جاءَ منها على فَعَلْعَل كَغَطَمْطَم ، وعَنَطْنَط ، وغَشَمْشَم ، وعَرَمْرَم ، وعَفَرْفَرَة ، ودَمَخْمَخ ، وهَجَفْجَف ، وحَوَرْوَر ، وعركرك ، وعَنَشْنَش ، وحَوَلْوَل ، وشَمَقْمَق ، وعَقَنْقَل ، وصَمَحْمَح ، وعَصَبْصَب ، وسَمَعْمَع . وهي مركبة أو منحوتة من تكرار الوصف الثلاثي فقولهم : رجل عَنَطْنَط كقولهم رجل عَنِط عَنِط ، لكنْ عَنِطٌ لم يسمع بهِ ، فاجتزأوا بقولهم عَنَطْنَط أي عظيم الطول أو بيّن الطول ولا سيما بيّن طول العنق . ويراد بفعَلْعَل ، المبالغة في الوصف ، عظيماً كان ذاك الوصف أم صغيراً ، فان كان عظيماً ، فهو أعظم ما يكون من جنسهِ وان كان صغيراً ، فهو أصغر ما يكون من جنسهِ . ويمتاز مع ذلك بشيء خاصّ يبلغ بهِ النهاية .

فقولك : رجل سَمَعْمَع ، تريد به رجلاً « صغير الرأس والجثّة داهية غايةمايكون

(التهذيب) وقول القاموس : « الصغير الراس أو اللحية والداهيــة » . غير صحيح وفي اللسان : « الصغير الراس والجثــة الداهية » صحيح ، موافق لما في التهـذيب . والازهريُّ أعظمُ حجةٍ في اللغةِ ، يتضاءل بجانبهِ سائر أرباب المعــاجم . وقد غلِط أيضًا كل من نقل عن القاموس كالمعلم بطرس البستاني في محيط المحيط ، والشرتوني ، في أقرب الموارد ، والشيخ عبد الله البستاني في البستان[1] فقد نقل جميعهم عبــارة القاموس فقالوا : السَمَعْمَعُ : الصغير الراس ، او اللحية ، والداهية . على ان (البستان) مسخها فأســاء في التعبير كل الاساءَة فقــال : « السَمَعْمَع : الذئب الخفيف السريع و - الصغير اللحية و - الداهية » (كذا)

وقال ابن بريّ : شاهدهُ قول الشاعر :

كأَنَّ فيهِ وَرَلاً سَمَعْمَعَا

وقيل : هو الخفيف اللَحْم ، السريعَ العَمَل ، الخبيثُ ، الأَبِقُ ، طالَ او قَصُرَ . وقيــل : هو المُنْكَمِش الماضي . وهو فَعَلْعَلٌ . » (راجع أماليّ الشّيْخ ابن برّي في ترجمة سمع في نحو آخرها) .

وقد اختلف العلماء في تعليل هذا الوزن . فمنهم من جعل أصله : الاحرف الثلاثة الاولى ، ثم كُسِعت بحرفين في عجزها ، من جنس الحرفين الاخيرين من صدر الكلمة . وهذا رأي الليث ، صاحب كتاب العين ، فقد قال في تركيب (ع ن ط) في كلامهِ على العَنَطْنَط : « اشتقاقهُ من عنط ، ولكنهُ أُردِفَ بحرفَيْن في عَجزِهِ » .

وذهب الفرآء الى انهُ مشتق من الفعل ، فقد قال في عَصَبْصب : « هو مشتق

---

(١) اني احذّر كل باحث من الاعتماد على(البستان) فان صاحبه حاول مراراً ان يخفي نقلهُ من الكتب التي كانتْ بين يدَيْه ، فلوى المعاني ليًّا ، وأفسد التعبير عنها باشنع صورة ، وكفى الباحث ان يعارض بين مادة من موادّ (البستان) بما يقابلها في القاموس ،او لسان العرب لتنكشف له المخازي ، والفظائع ، والشنائع . واحسن عمل يأتيه طابعو المعجم المذكور ان يجمعوا نسخه و يُحرقوها إحراقا لا يبقي من رمادها اثراً في الارض كلها .

من قولك عَصَبْتُ الشيءَ : اذا شددتَهُ . » قال الازهري : وليس ذلك بمعروفٍ ، انما هو مأخوذ من قولك : عَصَبَ القومَ أمرٌ يَعْصِبُهم عَصْباً : اذا ضَمَّهم ، واشتدَّ عليهم (راجع التهذيب في عصب) .

على ان الازهري نفسهُ ذهب مذهباً آخر في مادة أخرى تشبه اشتقاقها هذا الاشتقاق فقال في التكملة : « بحر غَطَمْطَمٌ وغُطَامِطٌ : كثير الماَءِ ، كثير الالتطام ، اذا تلاطمت امواجُهُ . والغَطْمَطَةَ : التطام الامواج . وجمعُهُ غطَامِطُ . وغَطَامِطُهُ كَثيرَةٌ : اصوات أمْوَاجِهِ اذا تلاطمت . وذلك انك تسمع نَغْمَةً شِبْهَ غَطْ ، ونغمةً شِبْهَ مَطْ ، ولم يبلغ ان يكونَ بَيِّناً فصيحاً كذلك ، غير انهُ اشبَهُ بهِ منهُ بغَيْرِه ، فلو ضَاعَفْتَ واحدةً من النَغْمَتَيْنِ ، قلتَ : « غَطغَط » ،أو قلتَ : « مَطمَط » ، لم يكن في ذلك دليلٌ على حكاية الصوتين ؛ فلما أَلَّفْتَ بَيْنَهُما ، فقُلتَ : غَطْمَط ، استوعب المعنى ، فصار بمعنى المضاعف ، فتَمَّ وحسُنَ » اه كلام ابي منصور .

وذهب ثعلب الى نحو ما ذهب اليهِ ابن مُظَفَّر فقد جاَءَ في اللسان في (صمح) ما هذا نصُّهُ : « قال ثعلب : راس صَمَحْمَحٌ أي أصلعُ ، غليظٌ ، شديدٌ . وهو فَعَلْعَل ، كرّر فيهِ العَيْن واللام » .

وهناك رأي آخر هو رأي ابن جِنّي فقد قال في (صمحمح) : « الحاَء الاولى من صَمَحْمَحٍ زائدة ، وذلك أنها فاصلة بين العَيْنَيْن . والعَيْنان متى اجتمعتا في كلمة واحدةٍ ، مفصولاً بينهما ، فلا يكون الحرف الفاصل بَيْنَهَمَا إلا زائداً نحو عَثَوْثَلٍ ، وعَقَنْقَلٍ ، وسُلاَلِمٍ ، وحَفَيْفَدٍ (١) . وقد ثَبُتَ أن العين الاولى هي الزائدة ، فثبتَ إذاً أن الميمَ

---

(١) هكذا هو في الاصل . ولا وجود لحفيفد في المعاجم العربية التى بايدينا ولعل الصواب هو حَفَنْدَد . وهو المدوّن في المعاجم . على ان سياق الكلام يوجب ان يكون حَفَيْدَد بياءٍ مثناةٍ بعد الفَاءِ لان ابن جني، ذكر اربعةشواهد : في الاولمنها يرى الحرف الثالث واواً وفي الثانى حرفاً صحيحاً ، وفي الثالث الفاً ، فيجب ان يكون الحرف الثالث من الشاهد الرابع ياءً ولهذا تكون روايته بالياء صحيحة وعدم وجودها فى المعاجم ، لا ينفي وجودها فى كلام العرب لاسيما ان ابن جني هو من الحجج الثقات الاثبات . اذن حفيدد صحيح بمعنى حَفَنْدَد

والحاءَ الأولين في صَمَحْمَح هما الزائدتان . والميمَ والحاءَ الاخيرتين هما الاصليتان . فاعرف ذلك » اه .

فيتضح من هذا ان حُذَّاق الصِّناعة اختلفوا في اشتقاق هذا الوزن ، والرأي الاصح عندنا ، انهُ منحوت من نعتين متجانسين وضعًا واشتقاقًا ، وانما فعلوا ذلك تبليغًا في الوصف واشارة الى أصل الاشتقاق .

واذا مُدَّ فَعَلْعَل ، فقيل فَعَلْعَال ، اختلفت فيهِ الآراء اختلافًا جديدًا ، فمنهم من جعلهُ فَعَلعالاً بالتحريك . ومنهم من قال : الفِعْلِعَال بالكسر هو الفصيح . ومنهم من لم يُبْدِ رأيًا في تفضيل وزن على وزن ، كأنهُ يُجيزْ الاثنين ، أو يُغَلِّب السماع على القياس ، وهو الرأي الراجح عندنا ، المقبول ، المعقول .

قال ابو منصور في تهذيبهِ : « السِرِطْرَاطُ ، بالكسر ، لغة جيدة لها نظائر مثل جِلِبْلَاب[1] ، وسِجِلَّاط[2] ؛ وأما سَرَطْرَاط [بالتحريك] فلا أعرف لهُ نظيراً[3] . فقيل للفالوذج : « سِرِطْرَاط ، فكُرِّرَتْ فيهِ الرآء والطآء تبليغًا في وصفهِ واستلذاذًا لآكلهِ إياهُ ، إذا سرطهُ واساغهُ في حلقهِ . . . والسِرِطْرَاط فِعِلْعَال من السرط الذي هو البلع » اه .

---

(١) في اللسان المطبوع في بولاق في مادة (س ر ط) ، جِلِبلاب بجيم مكسورة في الاول والصواب ما ذكرناه إذ لاوجود لهذهِ الكلمة . ولاشك في ان الغلط واقع من الناشر لكثرة سمعهِ (الجلابية) و (الجُلاّب) و (الجلباب) وعدم سماعهِ الحِلِبلاب، بالحاء المهملة المكسورة

(٢) هذا كلام غريب ينطق بهِ امام ائمة لغويي العرب ابو منصور الازهري . فسرطراط وحلبلاب وزنهما فِعِلّعَال . وسِجِلاّط وزنهُ فِعِلاّل ، فاين ذا من ذاك ؟ . ومع ذلك أننا لاننقل الا مايُرى في التهذيب وهو كذلك في اللسان ، فسبحان من لايسهو .

(٣) وهذا اغرب ما نطق بهِ الازهري مع انك تراه يذكر في معجمهِ الشَرَفْرَاق نقلاً عن(العين) . فقال في (شرق) في نحو آخر المادة : « الليث : الشِقِرّاق والشَرَفْرَاق لغتان : طائر يكون في ارض الحرم ، في منابت النخيل كقَدْر الهُدْهُد مرقّط بحمرة وخضرة وبياض وسوادٍ » فكيف نسي هذا ؟

وأما ورود فَعَلَال بالتحريك فغير مجهول ، فقد ذكر أرباب اللغة من لغات الشِقِرَّاق : الشِرِقْرَاق ، بالكسر ، والشَرَقْرَاق ، بالتحريك ، ولم يقبِّحوا هذهِ اللغة .— على أن كسر الاولَيْنِ اكثر وروداً . فقد قالوا مثلاً شِنِقْنَاق ، وهي بكسرتين ، وهو رئيس الجنّ والداهية .

ولم يذكر لهُ لغة التحريك .

بيد أنهُ يعترض على هذا ، ان وزن شِنِقنَاق فِنِعلال ، لا فِعِلْعَال . ونظائر فِنِعْلال ومقلوبهُ فِعِنْلال معروفة كسِنِقْطَار وسِقِنْطَار .

ويقارب هذهِ الاوزان (فِعِلَّال) كسِجِلاَّط وسِقِلاَّط وسِنِمَّار[1] .

وكذلك فِنْعِلاَل ، كسِنْجِلاَط ذكره القاموس ولسان العربِ في (سجلط) .

وقد أطلنا الكلام على هذهِ الاوزان الغريبة ، لأن أغلب النحاة لم يذكروها . والذين ذكروها ، اقلُّوا الكلام عليها ، إما لنُدْرتها ، واما لغرابتها ، وامّا لِما فيها من العراقيل في البنآء والصّيغة . والصيغ في لغتنا تعد بالمئات .

٣٦. اتفاق اصول العربية مع اللغات اليافثية

اتفاق أصول الساميات أمرٌ لا يجهلهُ صبيان الكتاتيب ، ولهذا لم نتعرض لهُ . إنما الاختلاف ، بل أعظم الاختلاف هو في اتفاق الساميَّات واليافثيَّات ، أهو واقع أم لا ؟ .

---

(١) اصل سِنِمَّار ، بمعنى القمر ، « سِنْ مَاه » وكلاهما بمعنى القمر ، الاول إرَمِيّ والثاني فارسي . ثم مُزِجَا وقلبت الهاء راءً على لغةٍ لبعضهم .

ومثل هذا المزج لم يكن مجهولاً عندهم . فقد قالوا (القباطاق) (راجع المغرب للمطرزي) والاصل : « القبا : الطاق » أى أن القباء هو الطاق .

والقباء فارسية والطاق عربية من اصل رومي ، وقالوا : شقائق النعمان . وشقائق عربية والنُعْمان (او أنَعْمان) يونانية ، بمعنى الشقائق للزهرة الحمراء المعروفة وهناك غير ماذكرناه من هذهِ الكلم . فبهذه الامثال الثلاثة مجزأة ، اذ هي من باب الذِكْرى .

فأغلب فقهاء اللغات على أن لا نَسَبَ بينهما البتة . وهذا رأي أغلب المتعصبين لقوميتهم تعصباً أعمى ، إذ لا يريدون أن يكون أدنى صلةٍ بين بني سام و بني يافث. و بعضهم يرى أن هناك بعض الصلة ، وهذا رأي بعض العلماء الساميّين ، الذين أتقنوا العِبْرِيّةَ ، ودرسوا اللُغَى اليافثية ، والألمانية ، والانكليزية ، والروسية ، فوجدوا مُشابهاتٍ بينهما و بين اليافثيات . فذكروا أن هناك ألفاظاً أخذت من الساميات ، ولا سيما من العبرية . وأشهر من ذهب الى هذا الرأي (مُوس أَرنولت) أي :

MUSS-ARNOLT.— On Semitic Words in Greek and Latin. (Transactions of the American Philological Association. VOL. XX. III. 1892.

والظاهر من اسم هذا المحقِّق أي موس أرنولت ، أنهُ يهودي ، أو من أصل يهودي ، لأن (موس) مقطوع من (موسى) وما بقيَ من اسمهِ هو كالرداء يلقيهِ على نفسهِ ليخفي أصلهُ .

والثاني هو (لاوي) LEWY وهو يهودي صِرْف بلا نزاع . واسم كتابهِ :

DIE Semitischen Fremdworter in Griechischen. Berlin 1895.

على أننا نصرّح للجميع ، أننا لم نستفد من هذين الكتابين ولا من غيرهما ، لأننا لا نفهم كلمةً من الألمانية .

ثانياً ، لعدم وجود هذين التأليفين بين يدينا .

ثالثاً ، أننا عرفناها من معجم أميل بوازاق اللغوي البلجكي أي :

EMILE BOISACQ. — Dic. Etymologique de la Langue Grecque.—2e EDIT. PARIS. 1923.

الاشتراك اللغوي واضح في مئاتٍ من الألفاظ مما يدل على أن الحقيقة لا تنكر ، ولا سيما اذا أخذ الباحث بمبدإنا وهو : أن كل كلمة مركبة من هجاء واحدٍ أو هجاءين، لا بد من أن يكون لها مقابل في اليافثيات ، وهو المبدأ الذي جاهرنا بهِ ، وأنكرهُ علينا مجاناً و بلا أدنى تدبُّر ، من يدعي الوقوف على اللغات الغربية والعربية ، ولعلَّ ذلك الوقوف هو « على الرأس لا على الرِجلين » . ونحن نذكر الآن بعض الشواهد :

١ً . العُصْفُور

هو اسم لكل طائر صغير الجثة يكثر الصفير . وقد قال بعضهم انهُ سمي كذلك لأنهُ لما أُدخِل الجنَّة (عصا) الله و (فرَّ) (راجع تاج العروس في طفيشل) . على أن اشتقاقهُ من (الصفير) واضح لا يحتاج الى دليل . وصُغِّر على وزن (فُعلول) فقيل (أُصفور) أي (عُصفور) .

ووزن (فُعلول) أو (أُفْعُول) معروف في العربية وان لم يصرحوا بهِ في مهارقهم. من ذلك (الحُتْرُوش) : للصغير الجسم - (والزُّغْلول) للخفيف من الرجال والطفل- والمُلْمُول الميل الصغير الذي يكتحل بهِ - (والأُمْلُول)الدويبة صغيرة تكون في الرمل تشبه العظاءة . الى نظائرها .

والعصفور بالأرمية (صَفْرا) ويضيفونهُ الى كثير من الألفاظ فيكون عندهم مامعناهُ : القبَّرة - والبُلْبُل أوالهزار - والسَمَرْمَر - وعصفور الغاب الى آخر ما عندهم . -

وللانكليز كلمة تقرب من كلمتنا وهي SPARROW (وتلفظ سْپَارَو) أي العُصْفور . قال وَبِسْتَر : هو بالانكليزية القديمة SPARWE و بالانكليزية السكسونيةSPEARWA قال : وأصلها يتصل بالجرمنية العالية القديمة SPARO و بالجرمنية SPERLING و بالأَسْلَنْدِيَّة SPORR والهولندية SPURRE,SPURV والأسوجية SPARF والقوطية SPARWA . ومن المحتمل أن يكون الأصل مأخوذاً من معنى المرتعش والمرتعد وانهُ يتصل بالانكليزية SPURN ومعناها نفح أي ضرب برجلهِ .

على أن الأصل الذي أشرنا اليهِ هو أقرب الى طبيعة العصفور . وهو باللاتينية PASSER و بالفرنسية PASSEREAU و باليونانية στρουθός (STROUTHOS) (أي صتروثس) و بين الأصل اليوناني (ستر) ، أو (صتر) ، أو (صفر) ، العربيات مجانسة لا تخفى على السامع . فان بعض الأَعْرَاب كانوا ينطقون بالتآء المثناة فآء ،

وبالعكس كالنبيت والنفيت ، ومنهم من كان يجعل الثآء المثلثة فآء ، وبالعكس ، فيقولون : الحثالة والحفالة ، وثلغ رأسهُ وفلغهُ ، والاثام والافام .

فترى من هذهِ المقابلة ما يدْهِش كل متدبرٍ . ومن ذلك :

٢ً . التُرْعة .

الترعة : الباب (اللغويون جميعًا) . وهو بالأرمية (تَرْعَا) ، بمعناهُ ، وهو مشتق عندهم من (تَرَعْ) أي شقَّ ونقب وفتح ، وهو بالصابئية أو المَنْدائيَّة (تَرْأا) ، لأن أرباب هذهِ اللغة يسقطون منها الحرف الحلقي ، وهو بالعبرية (ترع) ، وبالفارسية (دَرْ) ، ومنها اللفظة التركية المركبة من الفارسية والعربية (دَرْ سَعادَتْ) أي (باب السعادة) وهم يريدون بها (إِسْتَانْبُول) ، أو (القُسْطَنْطِينِيَّة) ، وبالانكليزية DOOR ، قال وبستر : وبالانكليزية القديمة القديمة DORE, DURE وبالانكليزية السكسونية DURU ، والأصل يتصل بالسكسونية القديمة DURA, DUR والهولندية DEUR ، والجرمنية العالية القديمة TURI ، والباب الكبير TOR ، والجرمنية THOR, THUR ، والإِسْلَنْدِيَّة DYRR ، والدنيمركية DOR ، والأسوجية DORR ، والقوطية DAUR ، والاثوانية DURVS ، والروسية DVERE واللاتينية FORES واليونانية THURA ، والهندية الفصحى DUR, DVARA . فهل بعد هذا من يشك في أن اللغات تتلاقى في بعض الألفاظ كما يتلاقى الأصدقآء بعضهم مع بعض ؟

٣ً . العِدّ

العدّ ، بالكسر : المآء الجاري الذي لهُ مادة لا تنقطع كمآء العين (القاموس) وهو باللاتينية UNDA . باقحام نون أي N بين العين والدال . ومثل هذا كانت تفعل العرب . فانهم كانوا يقولون (الحَنْظ) في (الحظّ) [1] الى أمثالها وهي لا تعد . على أن اليونان أسقطوها من كلامهم وعوَّضوا عنها برآء في الآخر فقالوا ὕδωρ, ὕδατος

(١) قال ابن منظور في مادة (حظظ) من ديوانه ماهذا اعادة نصّهِ : «من العرب من يقول : «حَنْظٌ» وليس ذلك بمقصود ، إنما هو غُنَّةٌ تلحقهم في المُشَدَّد ، بدليل ان هؤلاء اذا جمعوا ، قالوا حظوظ قال الازهري : «وناسٌ» من اهل حِمص يقولون

(hydôr, hydatos) وتلفظ (عِدُر) وفي الاضافة يحــذفون منها الرآء، فيقولون : عِدَاتُس، مما يدل على أن الرآء عاريَّة فيها . وقد كان للناطقين بالضاد مثل زيادة هذهِ الرآءِ في الآخر، فقالوا : بَحْثر الشيءَ في بحثــهُ ، وفجَّر الشيءَ في فجَّهُ ، والبَتْر في البتّ ، وهو القطْع . إلى نظائرِهَا .

و« العِدّ » بالهندية الفصحى (عُدَان) أي udan وبالاضافة udn – ah والأصل udan وهذهِ اللفظة يجانسها عندنا العَدَان : كسحاب، وهو ساحل البحر وحافة النهر، و hydôr اليونانية نقلت الى water الانكليزية . ومن أراد أن يرى أخواتها في اللغات السكسونية فليراجع هذهِ اللفظة، فانهُ يرى لغاتها المختلفـة في (وبستر) ، كما فعلنا في (الترعة) و (العصفور) فبهذهِ المعارضة يظهر، في لغتنا من الفضل العظيم والأصل الحقيقي، لأنهُ مبــنيّ على هجاءٍ واحد، لا غير، على ما تقــدَّم القول . وقد أسلفنا الكلام : أنــ أقدم كلمة في اللغات أقربها الى الهجآءِ الواحدِ . وهذا ما يتحقق هنا كل التحقق .

ونزيد على ما تقدم أن الكلمة اليونانيـة hydôr تبتدىء بحرف عليهِ علامة تدل على أن ذلك الحرف يقابلهُ في الألسنة الساميـة حرفٌ حلقيٌّ كالهمزة أو الهآء، أو الحآء، أو العين أو الخآء . ولما كانت كلمتهم تلك تعني « العِدّ » المآء الجاري ، وأيضاً البحر، قالت العرب في هــذا المعنى الاخير (خُضَارة) بالضم وفي الآخر هآء وبلا (أل) لانهُ علم للبحر، واللفظ يكاد يكون واحداً في العربية ، لولا أن للعرب الخآء والضاد . فمن لا يعجب من هذهِ المجانسة العجيبة ؟

« حنظ » فاذا جمعــوا ، رجعوا الى الحظوظ، وتلك النون عندهم غُـنَّـةٌ ، ولــكنهم يجعلونها اصلية ، وانما يجري هــذا اللفظ على ألسنتهم في المشدَّد ، نحو الرزّ ، يقولون « رُنْـز » ونحو « أتْـرُجَّـةً يقولون أتْـرُنْـجَـة ا ه كلام الازهري وابن مكرم .

قال الأب انستاس ماري الـكرمليّ : ونحن لاحظنـاهُ في غير المشدد ايضاً كقولهم : العَـنْـسل في العَـسْـل ، وهي الناقة السريعة . والجُـنْـفَـم في الجِـفَـمّ وهو الضخم الجنبين والوسط . ـ وقالوا القِـنْـطار وهو طـَـرَاءٌ لعود البخور . قال ابن دُرَيْـد في جمهرتهِ : « فِـنْـعال من القُـطْـر: طرَاء لِـعُـود البخور . . . والقُـطْـر هو عود البخور. والعَـرَنْـدل كالعَـرْدَل وهو الصُلب الشديد . ـ ونقف عند هــذا الحدّ اشفاقاً على القارىء لــكي لايَـحْـرَجَ صدره .

و يقرب من (خُضـارة) علمًا للبحر : (الخِضْرِم) والأَصـل واحد ، إلا أنهُ أُرْدِف بالميم ، وهم كثيراً ما يزيدونها مبالغةً لما يقصـد منهُ . قال في القاموس : « الخِضْرِم ، كزبرِج ، البئر الكثيرة المآء ، والبحر الغطمطَم .

وَيُشْبِه (الخِضْرِم) : الغُذَارِم وهو المآء الكثير .

ولليونان كلمة تقارب الأَصل hydôr وهو HYDRA,AS و يريدون بها ضرباً من الحيَّات يأوي الى المآء .

وقد اشتهر بهذا الاسم HYDRA LERNAIA وهو حيَّة كان لها أسبعة أرْؤُس ، وكان كلما قطع منها رأس نبت في مكانهِ رأسان ، ولهم مثل مأخوذ من هذا اللفظ ، معناهُ : « قَطَعَ هِدْرَة » يضربونهُ لمن يُقَارِع مَصَاعب لا تنتهي »

وكان الاقدمون من مُعَرِّبي صدر الاسلام ، ترجموا هذهِ الكلمة « بالشجاع » ، قال في القاموس : « الشجاع كغراب وكتاب : الحية ، أو الذكر منهـا ، أو ضرب منها صغير والجمع شجعان ، بالكسر والضمّ » اه .

وعدم تثبتهم من حقيقة هذهِ الحية ناشيء من وجودها في المآء . على أن في لغتنا كلمة تضاهي أصول (هُدْرَا) وهي (العُدَار)ونسب اليها صاحب القاموس رواية مصحفة الاحرف ، أصلها هو هذا على ما نرى : « دابَّة تلكع الناس [أي تنكزهم] باليمن ، ولَسْغَتهَا (أي لسعتها) دود » ، والمثل العربي مبني على هذا التصحيف الوارد منذ أقدَم الازمنة . وليعذرنا القرآء عن إيرادهِ وإنما نسبوها الى اليمن ، لان هـذه الربوع عندهم بلاد العجائب ، فلقد نسبوا اليها (النَسْنَاس)، (والقَقنَّس)، أو (القوقيس)، الى غير ذلك من الغرائب ، وشواذّ الخَلق ، وشُذَّاذ الخَلق .

ومن الاصول العربية الشبيهة باليونانية hydôr « العَدْر » . قال المجد : العَـدْر المطر الشديد الكثير ، ويُضَمُّ : عَدِرالمـكان كفرِحَ ، واعتـدَر : كثر مآؤهُ . . .

والعَدَّار . الملاَّح . . . وعنْدَر المطرُ فهو مُعنْدِر : اشتدَّ . واعتدر المكان : ابتلَّ من المطر » اه وكل ذلك موافق لما في الاصل اليوناني .

على أننا نلاحظ شيئًا وهو قولهم العدَّار هو المَلاَّح . فكما أن (المَلاَّح) منسوب الى البَحْر « المِلْح » . (والبحَّار) الى البَحْر ، وَجب أن يكون هناك لفظ مُمات هو (العَدْر) بمعنى البحر ، حتى يؤخذ منهُ العَدَّار للبحَّار ، و إلا لما جاز أن يقال العدَّار : الملاَّح .

ومما يضارع العَدْر العضْرِس ، فليس فيهِ سوى تفخيم الدال وزيادة السين في الآخر . وهو من الامور المألوفة عندهم . « والعَضْرَسُ : كجعفر : . . . البَرْد ، والماء البارد العذْب ، والثَلْج ، والوَرَقُ يُصْبِح عليهِ النَدَى ، أو اللازقةُ بالحجارةِ الناقعةِ في الماء ، وعُشْب أشهَب الخضْرَةِ يحتمِل الندى شديداً ، و يُكسر كالعُضَارِس ، بالضمّ في الكلِّ وجمعهُ بالفتح » اه . ففي هذا كلّهِ معنى الماء ، وهو أصل معنى اليونانية أيضًا مع فروعها المختلفة . فلا جرم أن الاصل واحد ، وان يحاول بعضهم انكارهُ على غير جَدْوَى .

وهناك مشابهات أخر لالفاظ لا تحصى ، وكلها تتصل بهذا الاصل أي (العِدّ) ، وقد حلَّت بهِ الغِيَرُ باختلاف لُغَى القبائل ، كالوادي والودْي.

والعَذِب (كحذِرَ) وهو المُطَحْلَب من الماء .

والعِذْي : للزرْع الذي لا يسقيهِ إلا المطر .

وَوَذَعَ الماء . سال . والواذِع : المَعين ؛ وكل ماء جرى على صفاةٍ .

وَوَدَفَ الشَحْمُ ، وغَيْرُهُ يَدِفُ وَدْفًا : سال يسيل سيلاً .

وَوَدَكَ الشيء : بَلَّهُ وَنقعَهُ .

وَوَذَفَ الشحمَ كوَدَفَ ، بالمهملة والمعجمة على السواء .

واهْدَوْدَرَ المطرُ اهديداراً : انصبَّ وانهمرَ .

وَوَدَنَ الشيءَ يَدِنهُ ، وَدْنًا ، وودانًا ، فهو مَوْدُون ، وودين أي منقوع ، فاتَّدَن. الى غير هَذهِ المجَانسات ، والمشابهات . والمقاربات ، وكلها ناشئة من أصلٍ واحدٍ ، هو (الوِدّ) الذي وُضِعَ على أبسط وجْهٍ أمكن أن ينطِقَ بهِ المتكلِّمون ، وما بقي ففروع وفروق، اختلفت باختلاف القبائل،أو باختلاف الناس الذين جاورهم بنو مُضَر.

٤ً . الأَباءَة

الاباءَة : الاجمة من القصب ، والجمع ، أباءٌ (اللسان في أبأَ) وقال في (أبي) : الأَباءَة : البرْدِيَّة . وقيل : الاجمة . وقيل : هي من الحلفآء خاصـةً . قال بن جِنّي : كان أبو بكر يشتق الاباءَة من أَبَيْت . وذلك لأن الأجمة تمتنع وتأبى على سالِكِها . فأصلها عنده أَبَايَةٌ ، ثم عُمل فيها ما عُمل في عَبَايَة وصَـلاَية وعَظَايَة ، حتى صِرْن عباءَة وصلاءَة وعظاءَة ، في قول من همز ومن لم يهمز اخرجهنَّ على أصولهنَّ ، وهو القياس القويّ . قال أبو الحسن : وكما قيل لها أجَمَة ، من قولهم أَجِمَ الطعام : كرِههُ. والأَباءُ بالفتح والمدّ : القَصَب . ويقال : هو أَجَمَةُ الحَلْفاء والقصب خاصة . . . » اه

فأصل التركيب (أَبَا) لا غير . فضعفّها الارميون فقـالوا : (أَبُّوبَا) ويريدون بها الانبوب أي ما بين عقدة وعقدة من القصبة أو كل مجوّف مُدَوّرٍ . ثم توسعوا في الكلمة والمعنى فقالوا (أَبُّوْبتَا) أي الانبوبة والقصبة .

على أن المعنى الاصلي للأَباءِ ، هو البَرْدِيّ ، كما صرَّح بهِ اللغويون الاقدمون ، يثبت ذلك اللفظ اليوناني وهو πάπῦρος (PAPYRUS) فانهُ يعـني البَرْدِيّ الذي كان يُكتب عليهِ . وهم لا يدرون أصل الكلمة ، ولا أول من استعملها ، ويصعب أن يعرف ذلك . بيد أن الهجاء الاول من PAPYRUS تضعيف للثاني فالأصل (پِرْ أي PYR) وهذا ينظر الى اول هجآء (البَرْدِيّ) العربية أيضًا والمعنى واحد .

واذا بحثت في اللغة عن هذا الهجآءِ او هذا الاصل الاول (بر) او (فر) تراهُ

يدلّ على الرقة والدقة والخفة . فقد قالوا في مركبات (بر) : بَرَى العود والقلمَ والقدح وغيرها : يبريهِ بَرْيًا : نحتَهُ . وابتراهُ كبراهُ .

وبَرَاهُ السفر يَبريهِ بَرْيًا : هَزَلَهُ (عن اللحياني في اللسان) .

والبُرَة : حَلْقة من فضَّةٍ او صُفرٍ تجعل في أنف الناقة ، اذا كانت « دقيقة » معطوفة الطرَفينِ . (اللسان) .

والبَرَى ايضًا : التراب ولا سيما الدقيق منهُ ومنهُ في الدعاءِ على الانسان : « بفيهِ البَرَى » كما يقال « بفيهِ التُرَاب » .

وقال في القاموس في (ب و ر) : البُورِيُّ ، والبُورِيّة ، والبُورِياء : والبارِيُّ ، والبَارِياء ، والبارِيَّة : الحصير المَنْسُوج . » اه . وقالوا : انها من الفارسية وهو غير بعيد . وقد اتصل العرب بالفرس ، فربما أخذوها منهم ، لكنهم لم يتصلوا مباشرة بغيرهم ليقال انهم اقتبسوها من غير الفرس . والذين يزعمون ، يجهلون سُنَن اقتباس الالفاظ . والمشهور في العراق ان البواري تتخذ من القصب ، والقصب يكثر في وادي الرافدين (راجع ما كتبناهُ في لغة العرب في ٧ : ٣٣٤ و ٣٣٥ وفي ٦ : ٧٨٢ و ٩ : ٢٢٥ الى مواطن اخر) .

والفارسية (بوري) من أصل عربيّ محض هو (برع) او (يرع) او (ورع) ومنها اليَرَاعة للقصبة ، ولأن البواري تتخذ من القصب ، على ما أسلفْنا القول . ولما لم يكن للفُرس ، ومن كان من أصْلٍ يافثي ، حرف العين ، عوَّضوا عنهُ بحرف عليل كما هو مألوف عادتهم .

وأما مركبات (فر) فمعروفة أيضًا للدلالة على الدقة والصغر والخفة ، كما رأيناه في (بر) فقد قال البُصَراء في الاصول العربية : إنَّ الفُرار : ولد النعجة ، والماعزةِ ، والبقرةِ الوحشيةِ ، أو هي الخِرفَان والحُملان . وكذلك الفَرير والفَرور . والفُرْفور والفُرفُر والفَرافِر . ولو أردنا السير في هذا الوادي المتشعب الاطراف لأرهقنا القارِىء عُسْرًا على غير طائل ولا جَدْوى .

وتتبع هذهِ الاصول العربية ومعارضتها بالاصول اليافثيـة أمر متسع الاكناف ولا يمكن تحقيقه إلا بمئاتٍ من الصفحات ، إن لم يكن بالألوف ، ولهذا نعـدل عنهُ لمعالجة بحث آخر .

٣٧ . تكاملُ(١) العربية بوجوهها المختلفة أو اكتهالها .

أ . توضيح

المراد بـ « تكامل اللغة أو اكتهالها » تقلب أحرف تركيبها ، وافادة معنى جديد في كل تغيُّر منها ، وسهولة الاشتقاق من ذلك القَلْب مع استساغتهِ ، فيكون مع هذا القلب الجديد ، معنى جديد ، واشتقاق جديد ، في جميع الأوجه . وقد يكون قلب ولا يكُون سائغًا ، فلا يشتقّ منهُ شيء ، لأن ذوق العربي لا يستسيغهُ ، ويأبى أن يبقيهُ على لسانهِ لغرابتهِ ، أو لشناعتهِ ، فينبذهُ عنهُ نبْذاً قصيًا ، لا نَدَم فيـهِ ولا سَدَمَ .

مثال ذلك قولك : (مدح)(٢) فتشتق منهُ : مدَّحهُ ، وتمدَّحهُ ، وامتدحهُ ، والمَدْح ، والمديح ، والأُمدُوحة ، والممدَّح .

فاذا قلبتهُ قلت : (حمـد) . ومنهُ : حَمِدهُ ، وحَمَّدَ الله ، وأَحمـد الرجلُ ، وتحمَّد بهِ ، والحَمَاد ، والحُمادى ، والحُمَادِيُّ ، والحَمْد ، والحَمْدَة ، وحَمَدَة النار

---

(١) انكر بعض المتحذلقين وجود « تكامل » . نعم ، انه غير موجود (في كتب او دواوين اللغة . ثم ماذا ؟ . هل عدم ورودهِ في تلك المعاجم دليل على عدم وجودهِ في اللغة ؟ - كلا . لان القياس لا يمنعهُ ولان السماع يؤيدهُ قال المعريّ :

وقد سارَ ذِكْرِي في البلادِ ، فمن لهم   باخفاءِ شمسٍ ضوءها « يتكامَلُ »

وفي لسان العرب في مادة (ذرو) : » ذرْوٌ من قول ، اي طرف منهُ ولم « يتكامل » اه .

(٢) (مَدَح) لا نظير له عند الروم ، انما عندهم (لدح) وسقوط الحاء معروف عندهم فلم يبقَ في لسانهم منها إلا LAUDA [RE]

والحُمدَة ، والحَمَّاد ، والحمود ، والحامد ، والمحمود ، والحميد ، والاحمد ، والمَحْمَدة ، والمَحْمِدة ، والمحمَّد، والمَحْمود ، إلى آخر ما هناك .

واذا قلبتهُ للمرة الثالثة نهض بين يديك (حدم) ومنهُ احتدمتِ النار ، وتحدّم عليهِ غيظاً ، واحتـدم ، والحِدَامُ ، والحَدْم ، والحَدَمُ ، والحَدَمَة ، والحدِمَـة والمُحْتَدِم .

واذا قلبتهُ رابعةً ، انتصب بين يديك (الدحم) فقلتَ : دحمهُ دحماً . والداحُوم وهو قليل الاشتقاق .

واذا قلبتهُ خامسةً مَثُلَ نُصبَ عَيْنَيْك (دمح) ، وهو قليل المشتقات لِنَبْوَتِهِ . فتقول : دَمَّحَ تَدْميحاً ، والدَمَحْمَحُ ، وهو المستدير الململم .

وأمَّا (محد) ، فلا يُعرف لهُ كلام ، لما فيهِ من الجفاوة ، والغلظة ، وقُبْح التركيب .

وتكامُلُ المواد العربية تكون في أغلب الاحيان على هذهِ الصُوَرِ العجيبـة ، من التقلُّب والتغير .

وكثيراً ما تشابه التراكيب العربيةُ التراكيبَ اللاتينية ، او اليونانية . ويُرَاعى فيها بعض الأحيان القلب المكانيّ . هذهِ كلمة (الشَرَف) ، ويقال فيها (السَرَف)، فأول معانيها العُلوّ والتفوُّق ، ، إذ ما (الشَرَف) على الحقيقـة إلاَّ علو ادبيّ او معنويّ . فهي تنظر الى اللاتينية SUPER أي فَوْق أو SUPERUS أي عالٍ ، أو قائم في العلوِ أو مُشْرِف ، ومنها عندهم SUPERI أي أهل عِلّيّين أو العُلْوِيون ، أو آلهة السماء ، أو بعبارة مألوفة « الشرفاء » ، لإِشرافهم من فوق السماء على أهل الارض .

فأنت ترى من هذا أن أحرف اللاتينية ثلاثة في الاصـل ، هي (SPR) أي (س ف ر) ، وبالقلب المكانيّ (س ر ف) ، ومنهـا يشتقّ (السَرَفُ) أو

(الشَرَفُ) ، إذْ لم يكُن فرق عند قدمآء القبائل بين المهملة والمعجمة ، لأنَّ احداهما كانت لغة قوم ، والثانية لغة قوم آخرين .

ومن الكلمة اللاتينيّة ، تتركب عشرات من الكلم ، وكلها تفيد العُلُوّ ، والسُمُوُّ والشرف ، والاشراف ، وكذلك نرى في لغتنا . (فالسَرَف) بالسين المهملة على ما في كتبنا :

(السَرَفُ) ضد القَصْد ، والإغفال ، والخطأ ، ومن الخمر ضَرَاوتُها. والشرف، ومنهُ الحديث : « لا ينتهبُ الرجلُ نُهبــةً ذاتَ سَرَفٍ وهو مؤْمِنٌ » أي ذاتَ شَرَفٍ وقَدْرٍ كبير . ورُوي بالشين والمعنى واحد .

و (سَرَفَتِ) الأُمُّ ولدها : أفسدتهُ بسَرَف اللبن .

و (السَرُوف) : الشديد العظيم . ومنهُ السروف ، وهو من أرواح السمآء من زمرة الملائكة،والكلمة مشتركة في العِبريَّة وسائر اللغى السامية . وقد اختلف الحُذّاق في معناها ، إلاَّ ان للمعنى الساميّ مكانتهُ العليا ، فلا تَنفِي تآويلهم المتباينة معنى التركيب الاصليّ . ويقال في (سَرُوف) : (إسرافِيل) و (إسْرَافِين) باللام وبالنون . والسروف ينطق بها النصارى واليهود ، وأما اسرافيل واسرافِين فينطق بها المسلمون على ماهو مشهور .

ويقال : ذهب المآء (سَرَفًا) محركةً ، أي فاض من نوَاحيهِ .

و (الإسْرَاف) : التبذير ، أو ما أُنْفِقَ في غير طاعةٍ .

واشتق الفَيْروزاباديُّ (سِيراف) ، وهي من مدن فارس من هذهِ المادة . ونحن لا نوافقهُ . وهذا قولهُ : سِيراف كشيراز : بلدة بفارس ، أعظمُ فُرْضةٍ لهم ، كان بناؤهم بالسَّاج بتأنُّقٍ « زائدٍ » . فهـذا أشهر ما عرف من مادة (سرف) وذكرهُ أرباب كُتُب مُتُون اللغة .

وأما مادة (شرف) فأغزر اشتقاقًا من سرف ، من ذلك :

(الشَرَفُ) بالتحريك وهو : العُلُوّ ، والمكان العالي ، والمَجْد . أوْ لا يكون

إلا بالآباء ، أو عُلوُّ النسَبِ ، ومن البعير سَنَامُهُ . والإشفاء على خَطَرٍ ، من خيرٍ أو شرٍّ . وجبلٌ قُرْبَ جبلِ شُرَيْفٍ . وشُرَيْفٌ أعلى جبلٍ ببلاد العرب . وهناك عدة مواضع سميت بشرفٍ ، لعلوّها على ما جاورها .

و (شَرُفَ) ككرُم فهو شريف اليوم ، وشارف عن قليل ، أي سيصير شريفاً . والجمع : شُرَفَاء وأشراف وشَرَفٌ ، محركةً .

ومنها : الشارف ، والشارفة ، والشّرْفاء ، والشُرُفُ ، والشَوارِفُ ، ومنكبٌ أشرف ، واذن شَرْفاء ،وشُرْفة القَصْر ، وشُرْفة المال ، وشُرُفَات الفرَس ، وناقة شُرَافِيَّة ، والشُرَافِيّ من الثياب ، وأشْرَافُ الإنسان ، والشِرْياف ، ومشارف الأرْض ، وأشْرفَ المَرْبَا ، وشرَّفهُ ، وشارفهُ ، وتشرَّف ، واستشرفَهُ حَقَّهُ ، الى غيرها ، وكلها تدل على ان المادة من صميم العربية ومن مُصَاصِها . ولكل ذلك مقابلات في لغة الرومان .

وأما اليونان : فيقابل مادة (سرف) أو (شرف) ὕπερ, ὑπέρ (HYPER) ومعناها معنى اللاتينية المتقدّم ذكرها بلا فرق ، ويتركب منها عشرات ، بل مئات من الالفاظ .

وهي بالهندية الفصحى UPARI وبالزَنْدِيَّة UPA[i]RI وبالفارسية القديمة « أُوپَارِي » . ومثل هذهِ الكلم أو ما يجانسها يُرَى في سائر الالسنة السكسونية ؛ مما يدل على اتفاق غريب في جميع اللغات . وهي كلها لا تبتدىء بالسين إلا ما كان في العربية أو في اللاتينية أو ما تفرع منهما. فهذه ملاحظة دقيقة يجدر بالباحث أن يحتفظ بها . أي ان اللاتينية والمُضَرية تبتدئان كَلِمَتها بالسين (وبالعربية بالسين أو بالشين أيضاً ، ولو كان للرومان شين معجمة ، لجاروا سلفنا باتخاذهم الحرفين المتماثلين) وأما سائر اللغات فتبتدئها بحرف عليل من هَذين الحرفين Y أو U وما تفرع من الارلندية هو بالفاء أي F .

وقد قلنا مراراً: أن الكلم اليونانية، أو اللاتينية، المبتدئة بحرف من أحرف العلة عندهم، تنظر الى مثلها في العربيـة، ويكون الحرف الأول وفي لغتنا حرف حلق في أغلب الأحيـان، أي الهمزة، أو الهآء، أو الحآء، أو الخآء، أو العين، أو الغين، إذ لا وجود لهذهِ الحلقيات في لغتهم، وان وجدت في سابق العهد بنوع مبهم في اليونانية، ثم سقطت مع توالي الدهور. فاذا عرفنا هذه الحقيقة اللغوية، اتضح لنا أن ما يقابل اليونانية HYPER هو (عفر) و بالقلب (عرف). والحق يقال اننا إذا أنعمنا النظـر في مشتقات هتين المادتين، نرى فيهما ما يفيد العلو والارتفاع.

من ذلك مشتقات ما ورد في (عفر): العَفْر بالفتح: ظاهر التراب (أي وجه الأرض، أو ما كان «على» وجهِ الأرض). ومنهُ قولهم: كلام لا عَفْرَ فيهِ، أي لاعويص فيهِ، فكأن معناهُ بيّن «على» وجههِ أو ظاهرهِ. وقالوا العفَر بالتحريك، ظاهر التراب، ووجه الأرض، ويطلق من باب التوسع على التراب نفسهِ. — والعفَر أيضاً: السُّهَام وهو شيءٌ دقيق كأدقّ ما يكون من خيط الابريسم يطـير في الهوآء لا سيما في أيام الحرّ. ويسمى أيضاً بمخاط الشيطان والفرنسيون يسمونهُ بمـا معناهُ «خيط العذراء FIL DE LA VIERGE».

و (العفْرَى) من الديك: ريش عنقهِ. ومن الانسان شعر القفا. ومن الدابة: شَعَر الناصية، والشعَرَات النابتة في وسط رأس الانسان.

و (العِفرّ) الخبيث المنكر، الذي يفوق سواهُ بكمالهِ، وضبطهِ لنفسهِ، وقوتهِ، والنافذ في الأمر، المبالغ فيهِ مع دهآء. كل هذا مأخوذ من معنى العـلوّ والتفوّق. ومثل هـذا المعنى أو يكاد ترى في العِفرّي، والعِفرّين، والعفرْفرَة، والعفرْنى، وَالعفَرْناة، والعفُرْنِيَة، والعفْرِيَة، والعِفْرِيت.

و (العفِير): لحم يُجَفَّف «على» الرَمْل في الشمْس.

و (العفيرَة) ما يُدَحْرِجُهُ الجعل «على» الأرض.

و (الأعْفَر) من الظبآء: ما يعْلُو بياضهُ حمرةٌ.

و (اليَعْفُور) : ظبيٌ بلونِ التراب [أي وجه الأرض أو ما علاها] ، أو عامّ ، وتُضَمُّ الياء ، والخِشْفُ . هذا معظم ما يقال في هذهِ المادة .

واذا قلبنا (العفر) قلبًا مكانيًا ، وقلنا (العرف) ، نَشَأَ عندنا ما يأتي :

(العُرْفُ) : مَوْج البحر ، وهو ما « تعالى » وارتفع من مائهِ عند هبوب الرياح . و (العُرْف) أيضًا شعر عنق الفرس ، أي الشعر النابت «على» محدّب رقبتهِ و (العرف) أيضًا لحمة مستطيلة في «أعلى» رأس الديك . و (العُرْف) أيضًا : الرمل والمكان « المرتفعان » . و (العُرْف) من الرملة : « ظهرها » المُشْرِف .

و (العَرْفاَء) : الضبع ، لكثرة الشَعْرِ الذي يعلو رقبتها . وناقة (عَرْفاَء) أي سَنامها صار لها كالعُرُف أو صار على عنقها مثل العرْف .

و (العروفة) و (العريف) العالم بالشيء . والتاء في الأول للمبالغة كأن العالم بالشيء يشرف « عليهِ » ويعلو سائر الناس بوقوفهِ «على» موطن أومقام «أعلى» من أمكنة الخلق عامةً و (العريف) : رئيس القوم .

و (الأَعْرَاف جمع عُرْف) وهو على مافي القاموس : سور بين الجنة والنار ، ومن الرياح أعاليها . وفي اللسان : « وجبل أَعْرَفُ، لهُ كالعرْف . وعُرْف الأَرْضِ: ما ارتفع منها . والجمع أعراف . وأعراف الرياح والسحاب : أوائلها وأعاليها . واحدها عُرْف. وحَزْن أعرف : مرتفع . والأَعْرَاف: الحرْثُ(١) الذي يكون على الفُلْجَان(٢) والقَوَائِد(٣) » اه .

هذا هو اكتهال العربية ، فهل من قائل ان في سائر اللغات مثلهُ ؟ – اللهم لا . فان هذهِ المحاسن والبدائع لا ترى إلا في لغة اسماعيل بن ابراهيم خليل الله . ولا عجب بعد هذا اذا رأينا اتصالها بأخواتها أو بنسيباتها ، لأنها مفتاح كل مُغْلَقٍ مُبْهَمٍ .

---

(١) كذا في الاصل . والذي في التهذيب : الحرف بفاءٍ في الاخر ، اي الطرف المحدد من الفلجان واعلاها (٢) الفلجان هكذاورد بنون في الآخر والصواب هنا : الفلجات بالتحريك وبتاء في الآخر أي المزارع . وان كان للفلجان هنا بعض الوجه (٣) القوائد جمع قائد وهوكل مستطيل من أرض أو جبل على وجه الارض .

وانك لترى مثل هذه القُرْبى بين هذهِ اللغة واللُغَى اليافثيـة ، في كل لفظ تراهُ فيها ، أي ذلك اللفظ المركب من هجاءٍ أو هجاءين . وربما لا يتضح معنى الأعجمية إلا بالالتجاء الى هذهِ اللسان الحيَّة . وعندي من هذا القبيل الفاظ جمة . ولو دونتها لملأت مجلدات من هـذا الحجم والقدْر . وأنا أذكر هنا شاهداً واحداً ليكون مثالاً لما أريد أن أثبتهُ .

هـذهِ اليونانية : ἴκριον (IKRION) معناها خشـبة ، أو عود طويل مستعرض أو ذاهب في العرض ، وعود الشراع أو الدقل . ثم أطلقوه على بِنايةٍ من خشب ، والمِنَصَّة والأرض المفروشة بالخشب والمُتَلَمِّطَة ، والسَلُوقيَّة في السَفِينَة ، والمقاعد في المسارح . وقد اختلف فقهاؤهم في اللغة على أصل الكلمة ، الذي أخرج لهم هـذهِ المعاني مماَّ ذكرناهُ ، ومما لم نذكرهُ ، فان الاستاذ بوازاق طعن في كل ما ذُكر لهُ من تلك الأصول . وأما أ . بايّي ، فلم يجزم بأصل ، ولم يعِنّ على بال الجميع ، ما ورد في العربية .

فعندنا ان (إقريون) ، اذا جرَّدناها من زوائدها : الياء والنون أي IN يبقى بيدنا (قريو) ، الذي يوافقـهُ في لساننا (قرِيّ) ، أو (قرِيَّة) ، في التأنيث . والقرِيَّة – على مافي القاموس ، « كغنيَّة : العَصَا ، وأعْوَادٌ فيها فرَضٌ يُجعلُ فيها رأس عُودالبيْت . وعودُ الشراع الذي في عُرْضهِ من أعلاه ، أو في أعلى الهوْدَج » . قلنا : وهذهِ كلها اسمها أيضاً في اليونانية (إقْرِيون) ، فهي مشـتقة من القَرْي أو القرَى وهو الجمْع ، فانهُ لا يخفى وجودهُ في جميع هذهِ المعاني ، التي عددناها . فهذا هو فضل هذهِ اللغة . ونحن لا نريد أن نطلق العنان في هـذهِ الحَلْبة ، لكي لا نُحْرِج الصدور ، ونثـير البَرَم في النفوس .

ب. المشابهة هي غير الاشتقاق ، وقد تدعو الى الاشتباه مرةً ، والى التجانس مرة أخرى.

مما أوقع كثيرين في مهاوي الأضاليل ، وساق جماعاتٍ من مشاهير العلماء الى وهاد الاوهام ، المشابهة بين الفاظ والفاظ . فان أصابوها قالوا : هذهِ من تلك . وما هناك على الحقيقة الاَّ شُبهاتٌ ، وظواهر كاذبة ، وقد قال ابن جِنِّيْ في هذا الموضوع ما هذا صورتهُ :

« ليس سَلْمَانُ من سَلْمَى ، كسَكْرَان من سَكْرَى . ألا ترى أن فَعْلَانَ الذي يقابلهُ فَعْلَى ، انما بابهُ الصفة ، كَغَضْبَانَ ، وغَضْبَى ، وعطشان وعطشى ؛ وليس سلمان وسلمى بِصِفَتَيْن ولا نكرتَيْنِ ، وانما سلمان من سلمى كقحطان من قحطى ، وليْلَان من ليلى ، غير أنهما من لفظ واحدٍ فتلاقيا في عُرْض اللغة من غير قصد ، ولا إيثار لتقاوُدِهما . ألا ترى أنك لا تقول : هذا رجل سلمان ، ولا هـذهِ امرأة سلمى ، كما تقول : هذا رجلٌ سكرانُ ، وهذهِ امرأة سكرى ؛ وهذا رجل غضبان ، وهذه امرأة غضبى؟ وكذلك لو جاء في العَلَمِ ليلَان ، لكان من لَيْلَى كسَلمان من سلمى» اه كلامهُ

وأحسن دليل على أن التشابهَ في الظاهر لا يدل على الاشتقاق ، ان السلف أدخل في كلامهِ شيئًا من كلام الأعاجم وصاغوهُ صيغة واحدةً مع أن الاصول في كلام الأجانب مختلفة عن أصولنا . مثال ذلك :

(الترُتور) قال المجد الفيروزابادي : « الترُتور : الجِلواز وطائر» اه . فاذا كان بمعنى الجلواز فهو من اللاتينية TORTOR, ORIS المأخوذ من TORTARE وهذا من TORQUERE أي أدار على نفسهِ ، وأمال ولوى ، وألوى وأحنى ، وعذَّب . فيكون معنى الترُتور للجلواز: المعذِّب في أصل معناهُ الموضوع له في اول الأمر . وقد صحفهُ اللغويون بصور تختلف بين ثرثور (بثاءين مثلثتين ، وزان عُصْفور الشهير) وتؤرور ، (بمثناة فوقية فهمزة) ، و يؤرُور (بمثناة تحتية فهمزة) والأُترور ولعلَّ هناك غيرها ونحن نجهلها ، والمادة اللاتينية التي

أخذت منها (التُرْنور) يقابلها عنـدنا : (طَرَقَ يَطرُقُ طرْقًا) اي ضرب ، او بمطرقةٍ او صكّ وكل ذلك يوافق ما في العَجَمِيَّة . و يقابلها في اليونانية τρέπω .

وأما (التُرْنور) بالمعنى الثاني اي بمعنى « طائر » فأول عيب هـذا التعريف ، انهم لم يُحلُّوا لنا هـذا الطائرِ ، ولا قدرهُ ، ولا شكلَهُ ، ولا جنسـهُ . فيصعب على الباحث ان يعرف حقيقتهُ لولا وقوفهُ على لفظتهِ الأعجميـة وهي TURTUR ومعناها « الصُلصُل » ونظنُّ ان كلاً من (تُرْتُور) و (صُلْصُل) مأخوذ من حكاية صوت هذا الطائرِ المحبوب من الجميع . فبعضهم خُيِّلَ اليهم انهُ يقول (تُرْتُور) وآخرون انهُ يقول (صُلْصُل) كما ان العراقيين يتوهمون انهُ يقول : (كُوْ كُوْوْ وْوْ كُو) ، والحقيقة أن لكل جنس من أجناس هـذه الصلاصل ، حكاية صوت تختلف عن حكاية الجنس الآخر ، أو الضرْب الآخر ، واسمهُ بالفرنسية TOURTERELLE و بالانكليزية TURTLE-DOVE و بالالمانية TURTELTAUBE و بالارمنية TATRAK .

ومن الغريب ، أن اللسان مع ضخامتهِ لم يذكر (الترتور) بل (الصلصل) فقط.

ومن هـذا القبيل (البال) ولها معان عدة ، منها : «الخاطر ، والحوت العظيم ، والمرّ ، الذي يُعْتَمَل بهِ في أرض الزَرْع . و بهاءٍ (أي البالة) ، القارورة ، والجراب ، ووعاء الطيب . » اه عن القاموس .

(فالبال) بمعنى الخاطر عربي صِرْف .

و (البال) بمعنى الحوت العظيم ، ينظر الى BALAENA اللاتينية أو φάλαινα الهلَّنيَّة .

و (البال) بمعنى المِرّ ، قديم في اللغة الفارسية ، ولعلها من لغة بابلية قديمـة [1].

---

(١) ان وجود كلمة في لغة ، لا يدل على انها من تلك اللغة ، إنما تكون منها إذا كان في اصولها ما يوجه للفظ معنى ، و يؤيده اشتقاقاً . وليس في مادة (ب ا ل) او (ب ي ل) او (ب و ل) معنى للرفع ، او الجمع ، او الحفر ، او القلب ، او نحوها . ولهذا عدت دخيلة في الفصحى . وكذلك يقال على (المر) بفتح الميم وشد الراء ، فليس في مادته ما يوجه سبب وصفه ولا علة اشتقاقه . فليحفظ ، لان هذه الملاحظة دقيقة النظر عظيمة الخطر .

وهي باللاتينيــة PALA وقد ذكرها اللغوي الالماني أ. والدى A. WALDE أصولاً غريبة . فلتراجع عند الاحتياج اليها .

وأما (البالة) بهاء في الآخر ، بمعنى القارورة فتنظر الى الاغريقية φιάλη وقد نقلها الرومان الى PHIALA ويقال فيها أيضاً بالاغريقية φιέλη قال بوازاق العلامة الباجكي : ان معناها الاول كان القِدْر ، وبَرْنِيةَّ الموتى ، ثم نُقِلَ بعد العهــد الهوْمَري الى معنى القارورة .

و (البالة) بمعنى الجِراب تنظر الى اليونانية πήρα ومنها الرومية PERA . قال بوازاق : الاصل المجهول . قلنا : البال بمعنى الجراب ووعاء الطيب تنظر الى الفارسية (پِيلَهْ) بباء مثلثة تحتية مكسورة ، يليها ياء مثناة تحتيــة ساكنة فلام مفتوحة ، فهاء ساكنة .

فلا جرم أن في لغتنا مئاتٍ من الحروف لا تكون فيها المشابهــة مأخوذة من الاشتقاق ، بل من أصل آخر . وأحسن دليل بين أيدينا (الاضــداد) ، فانك ترى المشابهـة والمجانسة بين اللفظين ، لكن المعنى قد يختلف ، فيكون بضــد ما يرى في الظاهر .

وقد يقع عكس هذا الامر ، أي قد يقع بعض الاختلاف في الصورة الظاهرة ، الا أنَّ في المعاني تقاربًا وتدانيًا وتلامسًا وتماسكاً . وذلك لتجانس يُرى في الحروف.

ج . التشابه والتجانس فى اللفظ والمعنى .

قد قلنا ان المشابهة بين الألفاظ ، رُبمَّا باعدت المعاني بعضها عن بعض ، حتى غدا الواحد ضِدّاً للآخر ؛ لـكن قد تقع المشابهة فى اللفظ والمعنى لتجانس الحروف بعضها لبعضٍ . وقد انتبهَ الاقدمون لذلك وذكروها فى تآليفهم وأسفارهم . قال السيّد الزبيديّ في شرحه لمادة (ف ل ح) : « الفَلْح الشقُّ والقَطْع . قال شيخنا : الفلح وما يشاركهُ كالفَلْق ، والفَلْد، وا لفَلْذِ ، ونحو ذلك ، يدل على الشق والفتح ، كما في الـكشاف .

وصَرحَ بهِ الراغب وغيرهُ . وهو بناء على ما عليهِ قدماء أهل اللغة من أن المشاركة في أكثر الحروف اشتقاق يدور عليه معنى المادة ، فيتحد أصل معناها و يتغاير في بعض الوجوه ، كما هو صنيع صاحب التهذيب والعين وغيرها . » اه .

ومن قبيل التشابه بين اللفظ والمعنى قولهم : المُحّ ، بضم الميم وشد الحاء المهملة ، وهو الخالص من كل شيء ، و يقرب منه لفظاً بزيادة طفيفة قولهم : مَحْت (وتقلب فيقال) حَتْم (وتبدل الميم باء فيقال :) بَحْت . ومَحْت ، إذا فُخِّم : قيل مَحْض ، و يزاد على بحت حرفان فيقال : بِحْرِيت ، ثم يزاد فيهِ حرف و يُقْلب فيقال حَنْبَرِيت . وتقلب ميم محت لا ماً ، فيقال لَحْت ، أو تقلب نوناً فيقال : نَحْت . و يقع قلب وابدال في لحْت فيقال حَتِد . ولم يخرج في كل هذا عن معنى الخالص . زد على ذلك : تَحَمَّتَ لونهُ أي صار خالصاً .

و يقال في محّ : مصّ ومنهُ المُصَاص الذي هوخالص كل شيء . ومثلهُ المُصَامِص و يقال في المُصَاص : المضاض أيضاً أي بالضاد .

و يقارب (مص) مخرجاً (نص) ومنهُ : الناصح والناصع والناطع والماطع والناعج . وكلها بمعنى الخالص ، مع بعض تخصيصاتٍ وُضِعت بعد التعميم بازمان متطاولة .

ويقال فى مح : قُحّ وكُحّ .

و يُعكَس (مص) فيصير (صم) ومنهُ الصميم والصِهْمِيم وكلها بمعنى الخالص .

ومن الغريب أن الخالص نفسهُ يقابلهُ عند اليونان مبنًى ومعنًى χάλις, ικος (KHALIS, IKOS) و يريدون بهِ الخَمرْ الخالِص ؛ لكنهم لا يعلمون من أين جاءتهم أصول هذه الكلمة . افنظلمهم ان قلنا انها عربية مَحْضة . قال بوازاق : « ومثالهُ في اللغة المقدونيه κάλιθος (KALITHOS) ، لكن بوجود ϑ (TH) في هذه اللغة المقدونية صعوبة » .

— قلنا : اننا لا نجد صعوبة ، لأن الحرف اليوناني المذكور يقابلهُ في لغتنا الطاء أو الثاء ، وكلتا اللغتين معروفة في لسانا . فان كانت تقابل الطاء فقد جاء عندنا :

املصت الناقة واملطت : إذا القت ولدها ولم يشعر . - واعتاصت رحمها واعتاطت : إذا لم تحمل أعوامًا . ويقال صرفهُ أو طرفهُ عن كذا بمعنى واحد .

أما إذا كان الحرف اليوناني يقابل الثاء المثلثة عندنا ، ففي لغتنا أيضًا أمثلةٌ . من ذلك : الثُبْرة بالضم ، كالصُبْرة ، والحِصحِص ، بالكسر ، كالكِثْكِث للتراب . وسير حَصْحَاص ، كسير حَثْحَاث ، أي سريع ، إلى نظائرها . فبعد هذا لا نرى فرقًا بين الكلمتين العربيتين والكلمتين اليونانيتين إذ المعنى واحد .

والفاظ (الخالص) لا تنتهي في ما ذكرناهُ من المترادفات ، فثَمَّ غيرها وهي كثيرة ، كقولهم : صَرْح ، وصريح ، وصُرَاح ، وصَرْد ، وصِرْف ، وصافٍ ، ومثل صريح قريح بالمعنى نفسهِ .

ويستعمل اللاتين كُمْ CUM ومعناها (مع) للدلالة على ما يدل (الجَمع) . وما (كُمْ CUM) إلا معكوس (مك) المقابل لاداتنا (مع) . وذلك ان ليس للغربيين الحرف (عين) فيحارون في نقلهِ إلى لغتهم ، وقد نقلوهُ هنا إلى الكاف . فقالوا (كم CUM) وهذا النقل ، نقل العين إلى الكاف ، كان العرب يفعلونهُ أيضًا إذا ما استثقلوا الحرف الحلقي المذكور . فقد قالوا : اعْلَنْدى البعير واكلندى أي غَلُظَ . وعَبلَهُ وكَبلَهُ أي حَبسَهُ ، والأعمه والأكْمَه ، وباع الشيء كباكهُ . إلى ما يضارعها وهي كثيرة أيضًا .

واذا علمت ان CUM هي مثل (مع) جاءك سَيْل من الالفاظ مركب منها في اللاتينية ، وكذلك في العربيةِ لأنَّ (كم) الرومية تشبه (جم) العربية ، فحينئذٍ ترى كلمًا تتدفق عليك وهي مركبة من (جم) ، وكلمًا اخر تتدفق عليكَ ، وهي مركبة من (مع) فتدهش مما ترى من جماعات تلك الالفاظ ، التي تفيض عليك من كل حدب وصوب .

د . امثلة مايبتدىء بالجيم والميم للدلالة على الجمع :

واول كل شيء مادة (ج م م) كلها . ففي مشتقاتها الكثيرةِ العدد مايكفي الباحث الامعان في الطلب ، اذ فيها وحدها مَجْزَأة .

ويقاربها كثرة ، بل ربما زادت عليها بكثير ، ماورد في مادة (جمع) ، ودونها (جمل) في عدد فروعها وشعبها ، لكنها جمة العدد وَفْرتهُ ايضاً . ومن المواد العجيبة الفروع مادة (جمد) و (جَمَر) و (جمس) .

وهناك الزيادة على الثلاثي زيادة تشبه الاصلية ، غير الزيادات الاشتقاقية المعهودة ، بل زيادات معنوية ، من رباعية ، وخماسية ، مثل الجَمْهَرة ، والجُمْهور ، والجُمْعُور ، والجَمْمد ، والجُمْثُورة ، والجُمْجُمة ، والجُمْلَة . الى غيرها وهي لا تحصى كثرةً . وقد تقلب (جم) فتصير (مج) وينشأ منها الفاظ عدة منها : مجدت الابل تمجُدُ مَجْداً ومُجُوداً : وقعت في مرعًى كثيرٍ ، او نالت من الخَلَى قريباً من الشبَع . ومَجَّد تمجيداً وأمْجدهُ إمجاداً : عظَّمَهُ واثنى عليهِ، ونسبهُ الى المَجْد . ومَجِرَتِ الشاة مَجَراً : عظم ولدها في بطنها فهي مُمْجِرٌ . ومثل مجِرت : أمْجَرت . ومَجَمَ فلانٌ مَجْماً أكل التمر اليابس باللبن معاً ، او : اكل التمر وشرب عليهِ اللبن . ومَجَلت يدهُ تمجُلُ مَجْلا ومُجُولاً ، ومَجِلت تمجل مَجْلاً : نفطتْ من العمل ، فمرِنت . والحافر نكبتهُ الحجارة ، فبرِىء وصلُب . أو المَجْل : ان يكون بين الجلد واللحم ماء من كثرة العمل . او المَجْلَة : قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من اثر العمل .

ومَجَن الشيء يمجُنُ مُجُونًا : صلُب وغلُظ .

أمثلة ما يَبْتدىء بالجيم والعين للدلالة على الجمع ايضاً

يجوز لك ان تنظر الى (الجمع) نظرتين ، فاما ان تعتبر الحرفين الاولين من (الجمع) اصليين ثم زيدت عليهما العين ، واما ان تعتبر الجيم في الاول زائدة والحرفين التاليين اصليين . فيكون بين يديك (جم) في الاول ، و (مع) في الثاني ، وكلاهما يفيد الجمع .

وامثلة ما جاء في اولهِ (مع) قليل لانَّ الناس تستثقل العين في الكلام ، ولهذا نزعها الغربيون من كلامهم نزعاً باتا لا عودة اليها . ومع ذلك فعندنا الفاظ تبتدىء بالحرفين المذكورين كقولهم :

مَعَثَ الشيءَ يَمعَثُهُ مَعْثاً : دلكهُ ، ولا يكون إلاّ بجمع اجزائِهِ تحت اليد .

مَعَجَ يمعجُ مَعجاً : أَسرع في السير و يكون بجمع قواهُ .

مَعَدَ الشيءَ يَمْعَدُهُ مَعْداً : اختلسهُ . والجمع فيه ظاهر .

مَعَزَ الشيءُ يَمْعَزُ مُعْزاً : صلب فهو مَعِزٌ وماعِز ، والرجل كثرت معزاهُ .

مَعَسَ الشيءَ : يَمْعَسُهُ مَعْساً : دلكهُ دلكاً شديداً .

مَعَشَ الشيءَ : يَمْعَشُهُ مَعْشاً : دلكهُ دلكاً رفيقاً .

مَعِصَ الرجُلُ يَمْعَصُ مَعَصاً : كان بهِ مَعَصٌ.والمَعَصُ: التواءٌ في عصب الرَجُلِ ، كأنهُ يقصُرُ عصبهُ فتتعوَّج قدمهُ ، ثم يُسَوّيهِ بيدهِ ، او خاصّ بالرِجْل ، ووجع في العصب من كثرة المشي .

معكَ الشيءَ في التراب يمعكُه مَعْكاً : دلكهُ بهِ ، او يُستعمل في غير التراب . وابل مَعكَى: كثيرة . والمَعْكاة : الابل الغلاظ السمان .

معكوكاء . يقال : وقعوا في مَعْكوكاءَ ، ويضم ، اي في غبار وجلبةٍ وشرّ . ومُعكُوكة الماءِ : كثرتهُ .

مَعَلَ الشيءَ يمعلُهُ مَعْلاً : اختطفهُ واختلسهُ . وفلان : اسرع في سيرهِ .

المَعَلَّط: الرجل الشديد .

مَعْمَعَ فلان : اكثر من قول « مَعْ » ومَعْمَعَ القوْم : قاتلوا شديداً . – والمعامع الحروب ، والفِتن ، والعظائِم ، وميل بعض الناسِ على بعض ، وتظالمهم ، وتحزُّبهم احزاباً لِوقوع العصبيةِ . قال في النهاية : ومنهُ الحديث : « لا تهلك امتي ، حتى يكون بينهم التمايُلُ ، والتمايز ، والمَعَامِعُ » وهي شدة الحرب ، والجدّ في القتال . – والمَعْمَع : المرأة التي امرها مُجْمَعٌ ، لاتعطي أَحَداً من مالها شيئاً .

مَعَنَ الفرس مَعْناً . تباعد في عدوهِ . ومَعِنَ النبت يَمْعَنُ مَعْناً : روِي وبلغ .

وهذهِ الامثلة كافية للدلالة على ان مُركَّبات (مع) تفيد معنى الاجتماع ، وكفى بها دليلاً .

وقد تقلب (مع) فتصير (عم) فيتولد منها الفاظ جمة . من ذلك :

عَمتَ الصوف يعمتهُ عَتْمًا : لفَّهُ مستديراً ليجعل في اليدِ فيُغزَل .

عَمَجَ الرجل يعمِج عَمْجًا : اسرع في السير وسبح في الماءِ .

عَمَدَ السَقْفَ يعمِدهُ عَمْداً : اقامهُ بِعمادٍ ودعمهُ . وهو عَمِدُ الثرى : كثير المعروف .

عَمَرَ المنزلُ باهلهِ يعمُرُ عَمراً : كان مسكونًا بهم . والمكان اهلهُ : سكنوهُ واقاموا بهِ . وعَمَرَ فلان الدار : بناها . وعَمَرَ الرجُلُ ، يعمُرُ ويعمِر عَمْراً وعُمْراً وعَمارَةً بقي زمانًا طويلاً . وعَمَرَ الله مَنْزِل فلان عِمارةً : جعلهُ آهلاً . وعمر المالُ عَمارة : صار عامراً ، اي كثيراً وافراً . وهذهِ المادة واسعة الآفاق ، منبسطة الميادين . واغلب مافي معانيها وفروعها : الجمع ، والكثرة ، والوفرة ، وما ضاهاها .

عَمِس يومُنا : يعمسُ ، وعَمُسَ يعْمُسُ عَمْسًا وعَمَسًا وعُمُوسًا وعَمَاسةً : اشتدَّ واسودّ واظلمَ . وعامس فلان فلانًا : ساترهُ ولم يجاهرهُ بالعداوة .

عَمْمَ الرجل : كثر جَيْشهُ بعد قلةٍ .

عَمِل الرجل يَعْمَلُ عملاً : مَهَنَ ، وصَنَعَ ، وفَعَلَ . وفي الكليات لابي البقاءِ : العمل يعم افعال القلوب والجوارح . و« عَمِلَ » ، لما كان مع امتداد زمان ، نحو : « يعملون لهُ مايشاءُ » . و« فَعَلَ » بخلافهِ ، نحو : « المْ تَرَ كيف فعلَ ربُّك بأصحابِ الفيل » . والعَمَلُ لا يُقال إلا فيما كان عن فكرٍ ورويَّةٍ . ولهذا قُرِن بالعلم ، حتى قال بعض الادباءِ : قُلب لفظ « العمل » عن لفظِ « العِلم » تنبيهًا على انه من مقتضاهُ . — والتركيب واسع المدَى والفضاء .

عَمْلَسَ في السير عَمْلَسة : اسرع .

قَرَبٌ عِمْلِيص : شديد مُتْعِب .

العَمَلَّط ، بفتح العين والميم ، وتشديد اللام المفتوحة ، والعُمَلِّط بالضم ، وتشديد الميم المفتوحة ، وكسر اللام : الشديد القويّ على السفر .

عمّ . هذهِ المادة واسعة كثيرة الشعب والمشتقات وكلها تدل على الجمع . فقد قالوا : عمَّ الشيءُ يعُمُّ عُمُومًا : شمل الجماعة ، فهو عامّ . وكذا المطرُ الارضَ اي شملها . وعمَّ القوم بالعطية : شملهم . وعُمَّ راسُهُ عَمًّا ، على صيغة المجهول ، لُفَّتْ عليهِ العمامة . الى آخر ما هناك . ولاحاجة لنا للتبسَّط في هذا التركيب اكثر من هذا .

والعمهج والعُمَاهِج : الممتلىء لحمًا وشحمًا ، والاخضر الملتفّ من النبات . والعُمْهُوج : الممتلىء لحمًا وشحمًا .

العَمَيذَر : الغلام الناعم البدن الكثير المال .

العَمَيْثَل من كل شيء : البطيء لعظمهِ وترهّلهِ ، والضخم الشديد العريض . والعَمَيْثَلَة : الناقة الجسيمة .

٣٨ . تذييل في أصل الحَوَارِيّ

في سنة ١٨٨٤ ، كنا قد قرأنا مقالة في إحدى الصحف العربيـة ، يقول فيها صاحبها انهُ طالع كتاباً في الالمانية يذهب صاحبهُ الى أن (الحَوَاريّ) من أصل حبشيّ معناه (الرسول) ، والناقل يستحسن هذا الرأي ، ويفضّلهُ على ما ذهب اليهِ لغويو العرب القائلون بأنهُ من مادة عربية ، وان اختلفوا في تأويل اللفظة . فكتبنا حينئذٍ مقالاً في السنة نفسها ، ونشرناهُ في إحدى الجرائد ، ولا نتذكَّر أ كان ذلك في (الجوائب) ، أم (البشير) ، أم (الجنان) ، أم في جريدة أخرى ، إذ كل ذلك بعيد عنا اليوم ، ولا يبدو لنا إلا كالسواد البعيـد عن البصر ، ويصعب علينا التثبت منـهُ ، وكان ذلك في رَيْعان الشباب . وهذا ملخصهُ : لا يمكن أن العرب أخذوا هذا اللفظ عن الحَبَشِ ، لأسباب ذكرناها في وقتها ، إلا أننا نتذكر منها اليوم شيئاً . ونظن ان الأب لويس شيخو اليسوعي ، او غيرهُ أخذ بهذا الرأي ، أي برأي ان الحَوَاريّ مأخوذ من الحبشية ، ونحن لانوافق على هذا الرأي لاسباب . منها :

١ً . إن النصرانية اتصلت بالعرب قبل أن تتصل بالحُبْشان . ودليلنـا على ذلك ذهاب القديس بولس الى موطن من مواطن العرب ؛ ولا جرم انهُ وعظ الناس وبشرهم بالمسيح .

٢ً . بعد أن حل الروح القدس على الرسل وأخذوا يبشرون بالسيّد يسوع ، كان هناك أناس يسمعونهم يتكلمون بألسنتهم وكان بينهم عرب .

٣ً . اذا قابلنا بين قِدَم العربية والحبشية لم نجد هذهِ أقدم من تلك ، وليس لنا أدنى دليل على ذلك .

٤ً . ان الحبش تلقوا أُصول النصرانية عن قدّيس ما كان يحسن إلا اليونانية ، وأغلب المصطلحات الدينيـة الموجودة في الحبشيَّة ، يونانيـة الاصل . وفي الكلمة (الحواريّ) حاء ، وهو غير موجود في الهلّنية إلا مَبْدَإِيًّا .

٥ً . ان أصول الكلم الحبشيـة والعربية تكاد تكون واحدة بتغيير طفيف لا يُعتد بهِ ، فلماذا يُعزى ذلك المعنى الى الحبشية ولا يُعْزَى الى المضرية وهي أولى بهِ ؟

فهذهِ أدلة تبين استحسان الاصل العربي ، وتستهجن الاصل الحبشي ، لكنها ليست بالجازمة الجزم البات ّ . ولهـذا يحسن بنا أن ندرس المسألة درساً لغوياً وهو الحَكَم في هذا الامر . وقبل أن نأتي بما عندنا من هذا القبيل ، أردنا أن نجدّد الذكرى بأول من ذهب الى حبشيـة اللفظ ، وفي أي وقت كان ، وكيف أوّلت الكلمة . فالتجأنا إلى علم ثلاثة من كبار المستشرقين الغربيين أصدقائنا وهم : الدكتور فيشر ، والدكتور لتمانّ ، وهما المانيان ، والاستاذ ميكلانجلو وهو ايطالي . فاستفتينا كل واحد منهم بكتاب خاصّ ، وكتبنا اليهم رأينا في أن الكلمة من أصل عربي ، نُقل الى اليونانية ، ومن اليونانية الى الحبشيـة (الجِعْزِيَّة) . ودونك مُعْظَم جواب الدكتور أ . فيشر :

« أول من ذهب الى أن الحواريّ من أصل حَبشيّ ، هو العلامة الالمـاني الجليل (لودلف) LUDOLF ، في نحو آخر المائة السابعة عشرة للميلاد ، إذ قال إنها من (حَوَارِيَا) ومعناها الرسول أو الفَيْج MESSAGER . وأظن أن جميع المستعربين تابعوا رأيهُ . والاصل (حار ، حور) معناهُ (ذهب) وهو فعل مألوف في الجِعْزِيَّة . والاصل الذي تشير اليهِ بديع كجميع الاصول التي تذكرها . وأظن أنا أيضاً أن أصل الحواري سامي أيضاً .

وقد نشر ث . نولدكي في كتابهِ الموسوم :

NEUE BEITRAEGE ZUR SEMITISCHEN SPRACHWISSENSCHAFT (STRASBURG . 1910) فصلاً ذكر فيهِ الالفاظ المستعارة من الحبشية . وبينهنّ الحواريّ . ولعلك تراجعهـا في كتابهِ في ص ٤٨ . وتجد الكتاب في حجرتي التي أشتغل فيها في مجمع اللغة ، ومعاوني يُسَرّ باطلاعك عليها . . . . أ . فيشر » اه .

A.FISCHER

ودونك الآن ما جاء في جواب الدكتور أنّو لتمان :

« تلقيت كتابك المؤرخ في ٨ ايار (مايو) فأسرع بجوابي اليك :

« ان الكلمة الحبشية «حَوَاري» و « حَوَارِيًّا » تعني : مسافِر، ومَشَّاء، وسَاعٍ و« حَوَارِيًّا» أيضًا هي الكلمة المألوفة للرسل . وكان لودلف أول من عارض هذهِ الكلمة بالحواريّ العربية وذلك في المائة السابعة عشرة . وآخر من قال بهذا الاصل هو على ظني الاستاذ نولدكى في كتابهِ :

Neue Beitraege zur Semitischen Sprachwissenschaft. P.48

وقد ذكر نولدكى طائفة من الكلم الحبشية المعربة (من ص ٤٦ — ٥٩) ولا شك في ان كثيراً من الكلم الحبشية أخذت من اليونانية والعربية .

هذا ، وأتوقع ان صحتك حسنة ، واهنئك بهذا السعي الذي لا يعرف الملل حباً للعلم . . . .

انو لتمان

ENNO LITTMANN

توبنجن في ١٦ مايو ١٩٣٨ .

وهذا جواب الاستاذ ميكلانجلو غويدي .

رومة في ٢ حزيران (يونيو) ١٩٣٨ .

أبدأ كلامي بأن أعتذر اليك لتأخري بالجواب ، ولغيابي عن رومة . ثم أقول : ان أول من ذهب الى أن (حَوَاريّ) تعود الى أصل حبشي هو لودلف . ومعناهُ الرسول .ونولدكى في كتابهِ Neue Beitraege zur Semitischen Sprachwissenschaft. (Strasburg. 1910. P. 48.) توسع في هذهِ الفكرة . ولا أظن أن والدي تعرض لهذا الموضوع ، فانهُ لم يذكر كلمة عنهُ في كتابهِ (ديار العرب في الجاهلية) ، ولا في (مباحث القاهرة) على ما أتذكر .

وأرى أن الاصل الذي ذكرهُ لودلف ونلدكى،هو الحق ولا سيما لما بين (حار) العربية والحبشية من المشابهة . أما انها من ἱερεύς فاني أقر لك بأني غير مقتنع بها. وفي الختام . . .

ميكلانجيلو غويدي

MICHELANGELO GUIDI

فهذه هي الأجوبة الثلاثة، التي تلقيناها من الأصدقآء المحترمين من الواقفين على اللغة الحبشية (الجعْزِيَّة). ونحن الآن نبدي رأينا في اننا غير محتاجين الى هذهِ اللغة .

وأول كل شيء ، ان العلمآء القائلين بحبشية (الحواري) ، ذهبوا الى انها مأخوذة من مادة (ح ا ر) أو (ح و ر) ومعناها : ذهب ، أو راح وجآء . وهذا موجود في العربية في الفعل المذكور . فقد قالوا :

(المَحَارة) وهي المكان الذي يَحُور أو يُحَار فيهِ أي يُذْهَب أو يجآء فيهِ - . وقالوا:

(المِحور) وهي الحديدة التي تدور عليها البكرة ذهابًا و إيابًا .

وقالوا : طَحَنَتْ فما(أحارتْ) شيئًا أي ما ردَّت شيئًا من الدقيق . والاسم منهُ (الحُوْر) . ومعلوم ان الطحن لا يكون إلا بحركة يذهب بها البرّ ويجيء ،حتى يحصل الدقيق من تلك الحركة . على ان في مادة (ح و ر) معنىً مقدسًا .

فالأَحْور عند العرب : كوكب ، أو هو المُشْتَرِي ، والعقل (القاموس) ومعلوم أن المشتري هو ربّ السمآء ، أو سيّد أهل السمآء ، عند أصحاب الخُرَافات اليونانية والرومانيّة وربما كان ذلك أيضًا عند قدماء العرب ، ثم اطلقهُ أبناء اسماعيل على العَقْل لأنهُ أقدس ما في المرء ، ويحكم على جميع قُواهُ الباطِنية والخارجيَّة.

و (الحائِر) و (الحيْرآء) : كَرْبَلاء وهو من المواطن المقدسة ، منذ أقدم العهد عند البابليين . وهو كذلك إلى عهدنا هذا عند الإمامية الشيعة .

و (الحِيرة) من مُدُن العراق المقدسة منذ قديم الزمان ايضًا . و يدَّعي الأرميون انها من (حِيرْتَا) في لغتهم أي الحظيرة . وقَوْلتهُمْ هذهِ مبنية على مجانسة في اللفظ . وكم خدعت المجانسة علماءَ وائمة ! .

و (الحيْر) : شبه الحظيرة أو الحِمَى . وانتَ أدرى مني ، بأن الحِمى هو كل ما يحميهِ الرجل ، و يعتبرهُ العرب اعتبار النصارى الشيءَ المقدس . ولهذا جاء في

الحديث : « لا حِمَى إلاّ لله ورسولهِ » وكانت الأحيــار والاحماء في عهد الأَقْيَال تسمّى (مَحَاجر) ومفردها مَحْجِر كمجلِس ، أو مِحْجر كمِنْبَر . ويؤخذ من اشتقاقها ، انها كانت ممنوعة على الناس ومحفوظة للأقيال كما لو كانت مقدسة .

وقالوا : لا آتيهِ (حَيرِيَّ الدَهْر) ، مشددة الآخر ، وتكسر الحاء ، و (حَيْرِيْ دَهْرٍ) ، ساكنة الآخر ، وتُنْصب مُخففة [أي حَيْرِيَ دَهْرٍ] ، و (حَارِيَّ دَهْرٍ) ، و (حِيَرَ دَهْرٍ) ، كعِنَب ، أي مُدَّة الدَهْر » اه (القاموس) .

وانتَ خبيرٌ أَن الدَهْر مُقدَّس في نظر الحنفاء . فقد جاءَ في لسان العرب في مادة (د ه ر) : « فاما قولهُ صلى الله عليه وسلم : « لا تَسُبُّوا الدَهْر ، فان الله هو الدهْرُ » . فمعناهُ : ان ما أصابك من الدهر ، فالله فاعِلهُ ، ليس الدهر . فاذا شتمتَ بهِ الدهر ، فكأنك أردت بهِ الله . الجوهري : لأنهم كانوا يُضيفـون النوازل إلى الدهر ، فقيل لهم : لا تَسُبُّوا فاعِلَ ذلك بكم ، فانَّ ذلك هو الله تعالى » . اه المراد من نقلهِ .

إذن معنى قول الناطقين بالضاد : لا آتيهِ حيريّ الدهر (وسائر لغاتها) لا آتيهِ ما دام هناك شيءٌ مقدَّساً ، أو مَحمِيّاً ، أو مدافعاً عنهُ .

ولا فرق بين (ح و ر) و (ح ي ر) لان الواو والياَء تتبادلان . ولأن اصل التركيب هو (ح ر) . وقد تقلب الحاَء خاَء معجمةً . ومنهُ (خَيَّر) كل شيءٍ بمعنى (حُرّ) كل شيءٍ أي أَصْلَحُهُ .

كما أن الحاَء قد تقلب جيماً ، والمعنى يبقى على أصلهِ الذي وضع عليه في أول الامر . فأصل (جَيْرُون) و (جَرَابُلُس) : (حَيْرُون) و (حَرَابُلُس) أي الهيكل المقدس والمدينة المقدســة . ونحو ذلك وقع في الفرنسية فان العالم الروماني HIERONYMUS صار JEROME فأين هيرو نمس من جيروم ؟

وقد تكسع المادة الاولى ، أي (ح ر) بيم ، فينشأ منها (اَلحرَمُ) و (اَلحرَام) ومعناهما المكان المقدس .

وقد تصدّر المادة الأولى المذكورة بسين ، فينشأ منها (السِحْر) وكان الكهنة الأقدمون يزاولون السحر في معابدهم ،ومناسكهم ، فكانت كلمة (السَاحِر)و(الكاهِن)، مترادفتين عند بعض الأقوام الاقدمين . فالمجوس كانوا عند الفرس كهنةً ، وعلماء ، ومنجّمين ، وسحرة ، ومعالجين للعلوم الغامضة على العوام .

وربما صدروا المادة (ح ر) بالنون فقالوا : (النِحْر) والتعليل الذي ذكرهُ اللغويون لا يقنع الطفل ، فكيف الرجُلَ والكهل . فقد قالوا : « النِحْر والنِحْرير ، بكسرهما : الحاذِق ، الماهر ، العاقل ، المجرَّب ، المتقِن ، الفطِن ، البصير بكل شيءٍ ؛ لأنهُ « ينحر العِلم نَحْراً . » (القاموس)

وربما جعلت الحآء قافاً أو عيناً . فقد قالوا : (حَيْذُحُوَّر) ، أو (قُوَّر) أو (عُوَّر) ، وهو جبل باليمن فيهِ كهف يُتَعَلَّم فيهِ السحر (القاموس في حور) وأنت تدري ان اَلحيْذ هو المكان الشاخص في الجبل كأنه جناح ، أو كل نُتُوٍّ في جبلٍ . فالظاهر أنهُ كان في ذلك الحَيْذِ كهفٌ ، يختلف اليهِ بعضهم ليتعلموا السِحر ، فالحُوَّر جمع حائِر، اسم فاعل من حار يحور ، وهم الذين كانوا يَرُوحون ويَغْدُون للأمور الخفية أو الغامضة . وسائِر التصحيفات من (قُوَّر) و (عُوَّر) هي من نِتاج لغاتهم بموجب قبائلهم . وإذا اختلفتِ الكلمة في لغاتها ، دَلَّت على قدمها ، وتعاورها بينهم .

أما اذا اعتبرت المادة الاصلية في الحواري (ح ر) : على ما يجب أن تكون كل كلمة في أول وضعها ، ثم حشيت (واوا) كما تقدم . أو حشيت (يآء) من باب التناوب . فهذا أيضاً تُقِرُّهُ العربية . فقد ورد في اللغة : حار المآءُ : تردَّد ، أي راح وجآء . وما الماء هنا إلا للتمثيل والتنظير . ووظيفة الرسول التردُّد أي الذهاب والمجيء. فالعربية تؤدي الى المعنى المطلوب أحسن من الحبشية بكثير . فلينصف الباحث .

ومعلوم أنك إن قدَّرتَ الاصل (حور) ، فهو والـ (حبر) شيء واحد وهذا واضح جليّ في لغـة اليونان ، فانهم يقرأونـ الباء واواً . وكذلك الفرس . فانهم يكتبون مثلاً (آب) و يقرأونها (آو) ، ويكتبون (زَهَاب) و يقرأونها (زَهَاو)، وهي اسم مدينة في ايران . ومنها اسم الزَهَاوِيّ . وكذلك كان الأمر عنـد بعض قبائل العرب ، فانهم كانوا يجعلون الباء واواً وكان آخرون يعكسون الأمر . مثـال ذلك: البُؤْرة والوُؤْرَة ، لموقد النار، والشَعْوَذَة والشَعْبَذَة، لأَخْذ كالسِّحْر ، والواشق كالباشق، وجارية بكباكة ووكواكة ، والبَزْمة والوَزْمة من الطعام . وقال ابو سعيد : يقال مالهُ حَبَرْبر ولا حَوَرْور ، الى غيرها وهي كثيرة .

وعلى هذا المبدإ (يكون) الَحبْر من (الَحوْر) وقد جاء الَحبْر في لغتنا بعدة معان منها ، ما ذكرها صاحب لسان العرب : « ابن سيده . . . الِحبْر والَحبْر : العالِم ، ذمّيًا كان ، أو مسلمًا ، بعد أن يكون من أهل الكتاب . . . وسألَ عبدُ الله بنُ سلام كعبًا عن الحِبْرِ . فقـال : هو الرجل الصالح . وجمعـهُ : أحْبَار وحُبُور . . . قال أبو عبيد : وأما الاحبـار والرُهبان ، فان الفقهاء قد اختلفوا فيهم ، فبعضهم يقول « حَبْر » ، و بعضهم يقول : « حِبْر » . وقال الفرّاء : انما هو حِبْرٌ ، بالكسر ، وهو أفصح ، لانهُ يجمع على أفعال ، دون فَعْل . و يقال ذلك للعالم . وانمـا قيل « كَعْبٌ الحِبْرُ » لمكان هذا الحِبْر الذي يكتب بهِ ؛ وذلك لانهُ كان صاحب كُتُبٍ . قال : وقال الاصمعي : لا أدري أهو الحِبْرُ أو الَحبْر للرجل العالم . قال ابو عبيـد : والذي عندي : أنهُ الَحبْر ، بالفتح ، ومعناهُ العالِم بتحبير الكلام ، والعلم ، وتحسينهِ . قال : وهكذا يرويهِ المحدثون كلُّهم بالفتح .

« وكان ابو الهيثم يقول : واحد الأحبارِ : حَبْر [بالفتح] لا غير ، و ينكر الحِبْر [بالكسر] ، وقال ابن الاعرابي : حِبْر وحَبْر للعالم . ومثـلهُ : بِزْر و بَزْر ، وسِجْف

وسَجْف . الجوهري : الحِبْر والحَبْر : واحد أحبار اليهود . و بالكسر أفصح . ورجل حِبْرٌ نِبْرٌ . وقال الشمَّاخ :

كما خطَّ عِبْرَانِيَّةً بِيَمِينِهِ بِتَيْماءَ حَبْرٌ ثُمَّ عَرَّضَ أَسْطُرَا

رواهُ الرواة بالفتح لا غير . قال ابو عبيد : هو الحَبْر ، بالفتح . ومعناهُ العالم بتحبير الكلام . وفي الحديث : سُمِّيت سورة المائدةَ المائدة وسورَة الاحبار ، لقولهِ تعالى : فيها يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون والاحبارُ ، وهم العلماء ، جمع حِبْر وحَبْر ، بالكسر والفتح » .

« وكان يقال لابن عباس الحَبْر والبَحْر ، لعلمهِ . » ا ه المقصود من ايراده وقد توخينا ايراد النصوص على طولها لما فيها من الفوائد الجليلة ، إذ تبنى عليهِ حقائق بديعة.

ففي مادة (ح ب ر) من الإِرَمِيَّة : (حَبَّرْ) ومعناها : أَخَّذ تأخيذاً ، وسَحَر سِحْراً ، ورقي رقياً ، وعَزَّم تعزيمًا . وعندهم (حَبَّارا) العرَّاف والمؤخِّذ والساحِر والعرَّاف والحوَّآء والرقَّاء والمعزِّم . ومثل المعاني العربية يرى في العبرية .

على أن المعنى الحقيقي الاول للحبر ، هو العالِم الرباني ، أو القُدْسي أو القِسّيس ، بموجب عبارتنا النصرانية ، او الكاهن بحسب التعبير العام عند غير النصارى .

ومنهُ اخذت اليونانية ἱερεύς, έως (hiereus, eôs) . والدليل على ان اليونانية من العربيةِ : ان الهلّنية تبتدىء بحرفٍ عليهِ علامة حرف حلقٍ ، اي علامة تفخيم ، وبالفرنسية ESPRIT RUDE ، ثم ان معنى العربية والاغريقية واحد . وإن قيل لنا كيف أن اليونان أخذوا اللفظة عن العرب ؟ ، نقول لا عجب ، الم يأخذوا الفاظاً يقِرّ الهلنيون إقراراً صريحًا بأنهم أخذوها من الناطقين بالضاد كاللبان ، والسَّنَا ، والمُرّ ، وغيرها ، فهذهِ من تلك .

زد على ذلك ان لليونانيين كلمة تعني البازي او الصقْر وهي (HIERAX , AKOS)

وهي (الحُرّ) بالعربيـة بضم الحآء وتشـديد الرآء ، فـكأن هذا ἱέραξ, ακος الاختلاف الموجود عند اليونانيين ناشيء من الاختلاف الموجود عند بني مُضَر (راجع معجم بوازاق باليونانية ومعجم الفيروزابادي ، ترَ العَجَب) ، فهل بعد هذا الدليل ، دليل أقوى ؟ .

والذي حمل العرب على ان يرَوْا في (الحبر) : العالم بتحبير الكلام ، انهم خلطوا بين (الحِبر) للمداد . و بين (الحبر) للعالم الرباني ، بَيْدَ أن نتيجة الوهم ليست عظيمة . – ومنهم من رأى مجانسةً بين (الحبر) و (البحر) بل رأى قلباً فيهما ، وهو غير صحيح هنا ، اذ لا حاجة لنا اليهِ . ثم ان رآ (الحِبْر) أبدلت لاماً فقيل (الحِبْل) والمعنى واحد ولهذا كانت (الحِبْر) بالكسر أفصح من الحَبْر بالفتح .

بقي اننا قلنا : ان كل كلمـة ثلاثية لا بُدَّ من ان تُردَّ الى لفظ ثنائيّ الحرف . و (حور) ، او (حير) ، ترد الى (حر) ، ثم يُضعَّف فيقال (حرّ) ، ومنهُ (الحَرُّ) في الشرع وهو : « خلوص حُكميّ يظهر في الآدمي ، لانقطاع حقّ الغـير عنهُ » ، (عن جامع الرموز) .

فالحَرّ ، او الحُرُورِيّة ، او الحُرُورة ، او الحِرار ، أو الحُرّيةّ هي أثمن شيء في الانسان ؛ ومن ثمّ هي أقدس شيء فيهِ ، اذ شيئان يميّزانهِ عن سائرِ الخلقِ كلهِ : العقل والحرية ، فاذا عدم المرء احدهما ، لم يبق لهُ تلك القيمة التي تعلي شأنهُ .

والحرية ، كما تعلم نتيجة العقل وثمرتهُ ، ولاسيما ثمرة العقل السليم الصحيح . فتكون الحرية حينئذٍ شيئاً مقدساً . وتجد تحقيق ذلك في مشتقات هذهِ المادة . قال اللغويون : « حرَّر الولد : افرزهُ لطاعة الله ، وخدمة المسجد . ومنـهُ في سورة آل عمران : « ربّ اني نذرت لكَ مافي بطـني محرَّراً ، فتقبل مني » . قيل : مُعتَقاً لخدمتـهِ ، لا أشغلهُ بشيء ، او مُخلصاً للعبادة .

ومن هذهِ المادة : حَرَّ فلان يَحَرُّ حِرّيَّةً : كان حُرَّ الاصلِ . والحُرُّ عندهم : « الكريم وخيار كل شيء والفعل الحسن » وهو افضل ما يوصف بهِ الانسان وافضل

ما يوصف بهِ الشيء . ولا عجب بعد هذا ، إذا أطلق على القِسّيس ، وهو في نظرهم احسن رجل عندهم .

ولهذا جاءت الكلمة اليونانية ἱερεύς, έως بمعنى الكاهن أو القسيس عند اليهود ، ثم بمعنى الكاهن الاكبر ، ثم بمعنى كاهن ؛ او خادم البلية ، فخادم او كاهن الفضيلة ، فالكاهن الا كبر ، وفي عهد النصرانية جاءت بمعنى المطران والحَوَارِيّ .

فهذا تاريخ تنقل هذهِ الكلمة ، فمن شاء ان يتبع الحق . فهذا هو ، ومن شاء المكابرة ، فليبق مصرًّا على رأيهِ ، ووادي الضلال فسيح واسع .

اما الحواريّ ، على ماذكرهُ المفسرون واللغويون ، فمبني على انهم اشتقوهُ من مادة (ح و ر) ، فاختلفوا فيها . على ان صاحب اللسان قال : « واصل التحرير في اللغة ، من حَار يَحُورُ وهو الرجوع . والتحوير : الترجيع » اه . — قلنا : والرجوع والترجيع من صفات الرسول ، اذ لا بُدَّ لهُ من الرجوع الى أرباب الشؤون مراراً ، لابرامها ، وإحكامها . فالحَوَارِيّ أصلهُ الحَوَار .

و (الحوَار) من صيغ المبالغة بمعنى (الحائر) ، وزادوا الياء في الآخر ، مبالغة في الصفة ، ثم نقل الى الاسمية . كما قالوا الشَنَاح والشَنَاحِيّ أي الطويل . وقالوا فرس شَنَاص وشَنَاصِيّ أي طويل نشيط . (فالحوارِيّ) لفظ عربيّ فصيح صحيح ، لا رائحة للعجمة فيهِ . وقد بيّنا أن معناهُ الأصلي هو المتردّد في الذهاب والاياب ، والمقدَّس النفس ، الطاهرها ، كما هو شأن كل رسول ، أو الأبيض القلب النقيّهُ ، وكل ذلك من صفات الرسول ، الصادق الايمان ، والعامل بهِ .

فاذا كان هناك من يذهب الى خلاف ماذهبنا اليهِ ، ويقول بعجمتها ويصرّ على رأيهِ فلا يكون حينئذٍ إلا من اليونانية ἱερεύς وهو الكاهن أي القسيس والحبر والاسقف ، وقد أخذ العرب من الهلنيين الفاظاً دينية نصرانية مثل المطران والاسقف والبطريك والانجيل الى نظائرها . على أننا ننكر ذلك كل الانكار . أما أنها من

الحبشية ، فهـذا بعيد . وإذا كان هناك بعض المجانسة ، فالحبشة أخذوها من العرب لا العكس، لأن صلة العرب بالمسيحيين الأولين كانت في صدر النصرانية. ففي الاصحاح الثاني من أعمال الرسُل ما يبين هذهِ الحقيقة . وقد قال بولس الرسـول في الأصحاح الاول من رسالتهِ الى أهل غَلاطية أنهُ ذهب الى الديار العربيـة ثم عاد الى دمشق . ونظن أن وجودهُ هناك لم يكن عبثًا . فأينَ هذهِ الحقائق من خرافات بعضهم ، إذ يقولون أن العرب اقتبسوا كلمة (الحوارِيّ) عند دخول الحبش بلاد اليمن وعن أهل نجران تلقاها عرب الحجاز (؟) . فهـذه أقوال مريض مصاب بالهذَيَان . فليرحمهُ الرحمان ، وليعنهُ على قبول الحق والاذعان لهُ كل الاذعان !

٣٩ . موجز هذا الكتاب

(وهو خطبة القيتها فى المعهد الحديث فى الاسكندرية فى ٣ / ٣ / ١٩٣٨)

يا أشبال اللغة ، وفخر الوطن ،

دعاني رئيس « معهدكم الحديث « الوقور » أن أحاضركم في (اللغة العربية من حيث أنها تهمُّ الشرق والغرب) ، فاعتذرت اليهِ ، بأني لم أعالج في حياتي إلا قليلاً المسائل التأريخيـة والأدبية ، إذ كان معظم اجتهادي ، في معارضــة العربية بسائر اللغات ، لغات الأقوام التي احتك بهم العرب ، منذ أعرق القدم ، ولا سيما معارضتها بألسنة اليونان ، والرومان ، والفرس ، والنبط . فوجدت أموراً لم تخطر ببال ؛ لأن ، لغتنا المبينة ، لم تُدْرَسْ من هذا المنْحَى .

والسبب — على مايُخيَّلُ الي — أن الناطقين بالضادِ، الذين أمعنوا في تدبُّر لغتهم ، وتقليبها على مناحٍ ووجوهٍ شتَّى ، ازدروا بكل لسان سواها ، ظانّين أنها فوق كلِّ لغـة ، ولا يمكن أن يدانيها شيء من كلام البشر. فكان هـذا الاعتزاز داعيًا ، بل ناعيًا ، كل تبَحُّرٍ في معارضتها بسائر اللُغى والألسنة . فأهمِل هذا البحث بتاتًا في جميع العصور، حتى في عصر اعتزازها وازدهارها وتسنُّمها صهوات المعالي .

أما المستشرقون ، - على اختلاف قومياتهم - فانهم أهملوا هذا الموضوع ومعالجتهُ. وقعدوا عنه ، بل أقول : ناموا عنهُ ولا نوم أهل الكهف ، وذلك بسببين على ما يبدو لي :

السبب الأول انهم اتقنوا الالسنة الغربية كل الاتقان ، وعُنُوا بها عناية دونها كل عناية ، بل عناية تُقَطِّع نِياط من يحاول من الشرقيين أن يسابقهم في هذا المَيْدَان . أما وقوفهم على أسرار الضادية ولطائفها ، واستجلاء مزاياها وخفاياها ، فهيهاتِ هيهات ! ووصولهم الى مناط العيوق ، أقرب اليهم من البلوغ الى الاستبضاع من هذهِ السوق ؛ بل أجرؤ فأقول : أنهم لو وقفوا أعمارهم كلها على هذهِ الغاية ، لما استطاعوا اليها سبيلاً ؛ لان الدم الذي يجري في عروقهم ، غير الدم الذي يتدفق و يتسلسل في عروق بني يعرب . فهذهِ علة لا يستهان بها .

والسبب الثاني أنهم يتحامون كل التحامي أن يجمعوا بين أصول لغتنا وأصول لغتهم ، عملاً بمبدإٍ لهم يُجِلُّونَهُ وَيُعَظِّمُونَهُ و يضعونهُ فوق كل مبدإٍ ، أي أنهم لا يَوَدُّونَ أبداً أن يقال أن بيننا و بينهم صلة رحم ، أو وَاشِجَة بيِّنة . فتكون ثَمَّ الطامة الكبرى ، والداهية الدهياء على مايتوهمونهُ ، فظلموا أنفسهم ، وما ربكم بظلام للعبيد . ومع ذلك فقد قام بعضهم حيناً بعد حين ليعالج هذا الموضوع من هذا المنحى ، فناهضهُ سائر إخوتهِ من أهل البحث ، وتناولوهُ بألسنٍ حداد . فانقبع ولازم الصمت ، فكرِهَ غيرهُ أن يعودَ الى هذا الموضوع ، فنبذهُ جماعة المستشرقين . ومنذ ذلك الحين ، وجموا وجوماً ، ولا يزالون واجمين ، ولعلهم يبقون كذلك إلى ما شاء ربُّك ربُّ العالمين .

والآن أعرض عليكم كيف وقع في صدري الاخذ بهذا البحث :

كنت في التاسعة عشرة من عمري ، حينما شرعت في تعلُّم اللاتينية ، وما كدت أقف على أوائل أحكامها ، حتى شُغِفْتُ بها كل الشَغَف ، وذلك لاني رأيتُ فيها

مشابهة ، بل عدة مشابهات للغة الفصحى ، وأنا أذكر المشابهة الاولى والكبرى التي أثرت في نفسي تأثيراً قصياً .

في الرومانية ، كما في اليونانية ، أوجهُ الاعراب ، أي الرفع والنصب والخفض ، وبصورة مألوفة جارية على الالسن : الضم والفتح والكسر ؛ بل ثمَّ ثلاثة أوجه أُخَر ليست في فصحانا وهي : وجه المنادى ، ووجه المفعول لهُ ، ووجه المفعول بسببه . وهذهِ الاوجه تختلف في حالاتها عن حالات الاوجه العربية الثلاثة التي تعرفونها . فدُهِشتُ من هذهِ المعلومات وفروقها الدقيقة ، وقلت في نفسي : ان هذهِ اللغة لجدُّ جميلة.وتضارع العربية بمحاسنها ، وأساليبها ، فلادرسنَّها ولو كلفني درسها عرق القربة .

والامر الثاني الذي عزز فيصدري درسها ، اني وجدت فيها ما دفعني بعد ذلك الى التوغل فيهِ ، وهو : أني لاحظت ان اسم الجلالة في كلام أولئك القوم DEUS ، والحرف الاخير هو من زيادتهم ، ومن ملحقات علامات الاعراب عندهم ، فيكون الاصل الحقيقي DEU ، وهو يوافق كلمتنا (ضوء) ، ولو أردنا أن نكتب كلمتنا بأحرف رومانية ، فلا نجد أحسن من هذا الرسم الصحيح . ونحن نعلم من التاريخ ، أن أمماً شتى عبدت ، أو ما زالت تعبد الى اليوم (الشمس) أو (الضوء الاعظم) وتسجد لهُ . ومن هؤلاءِ العبدة : الصابئة، والمجوس ، والثنوية ، والدَيْصَانيَّة ، والمانوية ، ولم يعبدوا (الضوء) أو يعدُّوْهُ إلهاً إلا لكونهم رأوا فيهِ ثلاثة أمور لا ترى في سواهُ ، وهي الحرارة والنور ، والقوة ، أي الحياة .

ولما كان هذا الضوء يختفي عند حلول الظلمات أي أن الشمس قد تحتجب بالغيوم الكثيفة أو بالليل ، أقاموا لهُ صوراً وتماثيل اكراماً لهُ ، واقراراً لفضله ، وبأنهُ الإلهُ الاعظم اذ منهُ الحرارة والنور والقوة ، أي الحياة .

أما أولئك الذين اختارهم الله ليكونوا من عبادهِ المقرَّبين فانهُ أوحى اليهم بالحق، ولذا لا يرون في (الضوء) أو (النور) أو (الشمس) إلا صورة ضئيلة للرب المتعال ، الرب الذي لا يصل اليهِ الحسّ من أي نوع كان ، إذ يترفع عنهُ لروحانيتهِ المحضة ، التي لا تصفها الألسن ، بل لا يمكن أن تصفها ، وان كانت بليغة فصيحة .

فاسم الضوء اذن إلهاً هو باللاتينية DEUS و باليونانية θεός و بالفارسية (دَيْوْ) ، ولو عُرِضَتْ على أنظارنا جميع الالفاظ الواردة في جميع الالسنة ، لما رأينا بينها الا فرقاً زهيداً ، والاصل يبقى واحداً .

والامر الثالث الذي ألقى في روعي حبَّ هذهِ اللغة الرومانية ، اني رأيت في الوقت عينهِ كلمة ثانية تجانس العربية ، وهي DIES ، ومعناها النور والنهار ، والضياء . فاذا حذفنا منها الحرف الاخير ، أو حرف الاعراب عندهم ، وجدنا DIE أي ضياء ، وهي الكلمة العربية نفسها .

فاتضح لي من مقابلة هذين اللفظين في اللسانين المختلفين داراً ، وقوماً ، وأصلاً ، ونسباً ، أن هناك غير هذهِ الكلم تتجانس بينها و بين العربية . ولا بد من الامعان في البحث ، لينجلي الامر بوجههِ الصحيح . الا أن الامور مرهونة بأوقاتها . لاني كنت قد عقدت النية على السفر الى بيروت للدخول في كلية الآباء اليسوعيين لدرس اليونانية واللاتينية على معلم ، وليس على نفسي ، كما كنت أفعل ، إذ هذا الامر الاخير شاق وطويل الامد ، وفيهِ إضاعة الوقت . دع عنك أني لا أصل الى هدفي وصولي اليهِ على يدِ معلم ماهر خبير بصير .

فغادرت بغداد وكان عمري يومئذٍ عشرين سنة ، فبقيت في بيروت نحو ١٤ شهراً درست فيها اللغتين المؤتمتين (أي اللاتينية واليونانية) ثم سافرتُ الى بلجكة ، فواليت فيها درسهما ، ومن بلجكة الى جنوبي فرنسة ، فزاد حبي لهما ، اذ انفتح لي فيهما مهيع واسع للتحقيق والتدقيق ، وألفَيْت من انهتاك حُجُب الاسرار ما زادني شغفاً بهما ، وأشبهت نفسي ذيالك الغنيَّ الذي يزداد حبهُ للمال كلما وجد ركازاً ، أو كنزاً دفيناً في الارض الجديدة التي اقتناها .

أما الكنز الدفين الذي وُفِّقت للعُثُور عليهِ ولم أجدهُ في كتاب ، ولم أسمعهُ من أستاذ أيًّا كان ، فهو أني لاحظتُ هذا المبدأ وهو : كلّ كلمة ذات هِجَاء أو هِجَاءَين في الرومية أو اليونانية ، ولم تكن من أصل منحوت ، بل من وضع أصيلٍ ، أو توقيفي ، فلا بُدَّ من أن يكون لها مقابل في لغتنا المُضَرِيَّة .

ولاحظوا هذا الأمر ، اني قلتُ : « كل كلمة ذات هجاءٍ واحدٍ (أي مقطع واحد) ، أو هجاءين (أي مقطعين) ؛ لأن اللفظ إذا زاد على هذا القَدْر يكون قد وقع في اللغتين المؤتمتَّيَيْن نحت ، أي تركيب من كلمتين ، أو أكثر ، أي انهُ أخذ من هذهِ الكلمة شيء ومن تلك شيء ، وجُعِلت واحدة ، فهذا هو (النحت) أو (التركيب) .

وهذا النحت يتدفق تدفق السيل الجارف في لغة كيكرون وديمستينس ؛ أما في لغة عدنان ، فانهُ قليل لا يعتــدُّ بهِ ، ولا يتقوم منهُ قواعد ، ولا يَصْلُح لأن يُجْرَى عليهِ جَرْيًا . والذي يرد في الفاظنا الكثيرة الاحرف ، ان زيادتها ، تدل على معانٍ خاصة بكل حرفٍ منها ، وهي معانٍ دقيقة ، تزيد المعنى الواحد معاني عدة جديدة ، لم تكن فيها قبل ذلك التوسيع ، الذي يسميهِ اللغويون (التفئيم) .

والملاحظة الثانية التي أجلب اليها نظركم هي أني قلتُ : « ولم تكن تلك الكلمة من أصل منحوت ، بل من وضع أصيل » ، لأنها ان كانت مركبة الاصل ، فليس لها مقابل في لغتنا ، إذ خرجت عن القاعدة المطردة ، وصارت في حَيِّزٍ آخر هو حـيِّز العجمة الصرفة .

وقد ذكرت لكم كلمتين لاتينيتين ، وعارضتهما بأخريين عربيتين ، وبينت لكم تآخيهمَا . والآن أذكر لكم مثالين آخرين آخذها من الإغريقيَّة :

١ً . الحُدَاء (أي الغنآء) عنــد أبناء صولون ᾠδή (hôdè) وهي نفس الكلمة العربية ، إذا أُميل في لفظها . وهي تُضاف في لغتهم الى عدة أسمآء ، فيقولون مثلاً : حُدَاء حُزْن أو حِدادٍ ، وحُدَآء مديحٍ ، وحُداء أُنْشُودَة ، وحُدَاء حَرْب ، وحُدَاء دِين ، الى نظائرهن ، كما لا يخفى . ولاحظوا هذهِ المجانسة بين اليونانيــة والعدنانية . فالكلمتان لا تختلف الواحدة عن صاحبتها بشيء البتة ؛ اللهم إلا بسقوط الحآء الحلقية من كلامهم ، على حدّ ما سقطت وتسقط أغلب تلك الاحرف من جميع لغات الغربيين .

وهذا الأمر بَيّن من الاعلام الشرقية القديمة الواردة في التوراة ، ونقلها الى لغات الغرب ، فان الحاء مثلاً سقطت من قولهم EVA ، أي حَوَّآء ، و NOE ، أي نوح ، و BETHLEEM ، أي بَيْت لَحْم ، و MESSIA أي المسيح ، الى أشباهها ، وهي جمة كما لا يخفى على ذكائكم . ومثل هــذا الحرف جرى في الحُدآء . وأول ما وضع الحُدآء كان للابل ، وهو أقرب الى طبيعة الحال .

قال الجوهري : « الحَدْو سوق الابل والغناء لها . ويقــال : بينهم أُحْدِيَّة وأُحْدُوَّة ، أي نوع من الحُدآء يَحْدُون بهِ ، على ما نقلهُ اللحيــاني . » اه . ومثل الحَدْو : الحُدَآء .

ووَضْع السلف هذهِ الكلمة لهذا المعنى أقرب الى السليقــة ، لأن ابن الشرق الادنى وُلِد وهو مُحاط بأنواع الحيوانات ، يأكل من لحومهــا ، ويشرب من ألبانهــا ، ويلبس من أوبارها ، ويستدفئ بجوارها ، ويظعن على صهواتها ، ولا سيما اذا جاز رمال القفــار ، فلا بد لهُ من الابل ، إذ لا تعطش إلا قليــلاً ، ثم اذا مات فهو بين جماعاتها . فكان اذن من طبع ابن البادية أن يكون أول غنــائهِ للعيس ، فخصَّ حُدَاءهُ بها ، وحسناً عمل ، إذ قام بما لتلك الحيوانات من الحق الصريح على من يعتزّ بها وينشأ بينها .

وأغرب من هذا وذاك : أن نفس الكلمة اليونانيــة تستعمل لنوع من الغناء ، يَتَغَنَّى بهِ الســاحِر في سِحرهِ ، أو النَفَّاثات في العُقَد ؛ ثم أطلقوها على كل رُقْيــة أو أُخْذَة أو سِحْرٍ . - أما أبناء عَدْنان ، فانهم رأوا في هذا الخلط بين المَعْنيَــيْن ، واللفظُ واحد ، إجحافاً باللغة ، ففرَّقوا بين معنىً ومعنىً ، وجعلوا (الحُدَاء) لغِناء الابل ، و (العوذة) للسِحْر . واللفظ في الاصل واحد .

فأنتم ترون أن اللفظتين الضادِيَّتين لا يقابلهما إلا لفظــة واحدة في الهُومَرِيّة ، ولو حاولنا أن ننقل بأحرف يونانية كلاً من (الحداء) و (العوذة) ، لما استطعنا أن

نصورهما بغير هذهِ الاحرف أي hôdè ، لخلوّ لغة الهَلّنيين من الحآء والعين . ثم لاحظوا ان (الدلتا) أو (الذال) اليونانية هي في (الحداء) مهملة ، وفي (العوذة) معجمة وهما لغتـان من لغاتهم . فمنهم من يقول (ذال) بالمعجمة ، ومنهم من يقول (دال) بالمهملة الى يومنا هذا . وكذلك الامر جارٍ على هذا الوجه عند بعض العرب الى عهدنا هذا .

ولعلَّ أبنـاء هلاَّس رأوا هذا الامر عند العرب ، أي الفرق بين (الحُدَآء) و (العُوذة) ، فجاروهم هم أيضًا . فوضعوا لفظين مختلفين بعض الاختلاف ، فسـموا (الحدَآء) hôdè وسموا (العوذة) أيضًا épôdè ، وان لم ينبذوا الكلمة الاولى hôdè ، فانظروا الى محاسن معارضة اللغتين الساميَّة الكبرى أي العربية ، واليافثية الكبرى أي اليونانية .

ولا بد لي من مثل ثانٍ أدعم بهِ هذا الرأي ، وان كان عنـدي عشرات ، بل مئات من الشواهد :

عند بني هَلاَّس كلمة هي Τυννός ومعناها الصبي القصيع الذي لا يشب ، ولا يكبر . وقد حار كبار علمائهم اللغويين ، من أقدمين ومحدثين ، في ردّها الى أصل يشابهها في المبنى والمعنى ، فلم يجدوا في جميع اللغات الغربية ، حتى في الهندية الفصحى (أَي السنسكريتية) ، ما يجانسها ، فانقلبوا عن بحثهم مقرّين بكل سلامة نية ، وبياض طوية ، انهم لم يهتدوا الى ما يقابلها . وما عَرَضَـهُ بعض حُذَّاق لُغَوِيّيهم المحدثين ، مثل يوهانصن ، وصُامْصُن ، لا يعتمـد عليهِ ، بل ليس بشيء ، ولم يستحسـنهُ بُصَراؤُهم .

أما نحن ، فاذا أخذنا بقاعدتنا في هَذا البحث ، أي إذا حذفنا علامة الاعراب التي في لسانهم ، وهي os وقفنا على (تِنّ) وهي اللفظة العربية المقابلة للاغريقية أتمَّ

مقابلة مبنًى ومعنًى . قال ابن مكرَّم في لسانهِ : « التَّنّ ، والتِنّ : الصبيّ الذي قصعهُ المرض فلا يشبّ ، وقد أتنَّهُ المرض . [قال] ابو زيد : يقال : أتنَّهُ المَرَضُ : اذا قَصَعَهُ ، فلم يلحق بأَتْنَانهِ ، أي بأَقْرَانهِ فهو لا يشبّ » اه :

فمن هذهِ المعارضة الوجيزة ، ترون خطورة هذا البحث ، وما ينشأ منهُ من الفوائد والعوائد الجليلة ، والوقوف على أسرار الالفاظ ، ومعانيها الاولى الاصلية ، وتشعّبها ، واتصال بعضها بالبَعْض الآخر من سائر اللغى ، وهو درس لذيذ طريف ، لم يطأ أرضهُ البكر أحدٌ من الانس ولا من الجنّ الى يومنا هذا . وبعبارة أخرى، لم يعالج موضوعهُ أحد من العرب ، أو من أبناء الغرب . وعسى أن يقوم من معهدكم من يُعْنَى بمثل هذهِ المباحث البديعة ، التي مع عقمها من جهة النفع المادي، تزيد العقل نشاطاً . واللغة سعة ، والوطن شهرة ، والصلة بالامم توثُّقاً ، والإمعان في الحقائق جراءة واكتشافاً ، وتوسعاً ، ولعل العقم المادي هو السبب الذي حال دون التبسط في هذا الموضوع ، ومعالجتهِ معالجةً صادقة .

والآن دعوني أروي لكم ما وقع لي من الأحداث ، بخصوص هذهِ المباحث اللغوية التي توخَّيت مزاولتها :

كان يتردَّد إليَّ في بغداد ، في سنة ١٩٣٥ ، في أوقاتٍ معينة ، وفي مكان عزلة ، ، أحد شبان الهنود النصارى ، من خِرّيجي كُلّيّةِ اليسوعيين في كَلْكُتَّة ، من ديار الهند ، وكان ممن أولعوا بدرس اللغات من حَيّةٍ وميتة ، ومقابلتها أو معارضتها بعضها ببعضٍ ، وكان يباهي كل المباهاة بالهندية الفصحى (بالسنسكريتية) ، لأنها أم اللغات الغربية الآرية كلها قاطبة ، ولا سيما أم اللغتين المؤتمتين : اليونانية واللاتينية .

وكان قد اطلع في المقتطف ، والهلال ، ولغة العرب ، وغيرهن من المجلات والصحف على ما كنت كتبتهُ في هذا المعنى ، أي « أن اللغة العربية أم اللغات » أو « مفتاح اللغات » ، فكان يضحك بملء شدقيهِ من هذا الرأي ، ويعدهُ في منتهى

السخافة ، ويسخر مني ، لأني أنا أول القائل بهِ . ويرى أن هذا الرأي ، رأي شرقيٍ غيرَ ناضجٍ ، وهو لا يجد فيهِ سوى المبالغة والاغراق في الوصف ، والتعظيم للغة الضاد ليس إلاَّ .

وكان مع ذلك متأثراً من قولي ، لأنهُ فعل في فكرهِ فعل الصاعقة في جسمهِ ، وان كان يُرِي انهُ يستخفّ بهذهِ الفِكْرَى . فكان جاء الى بغداد في السنة التي أشرت اليها ، لاشغال تتعلق بشؤون والدهِ ؛ ثم بحث عني حتى وجدني ، وزارني مراراً لا تُحصى ، وحاول أن يقنعني أن أعدل عن فكري الى رأيهِ ، فألفاني كالجلمود ، أو أصلب في وجهه ؛ وكان يقول لي ، ويعيد قولهُ مراراً : إن رأيك قائل ، أيها الأب المحترم ، لا يرضى بهِ كل لغويّ ، وأرجو منك أن تعدل عنهُ احتراماً لشخصك ، ولا جرم انهُ لا يُعَمَّر ، لضعفهِ ، وسقمهِ وعدم قبول العلماء لهُ ، وقد رذلهُ جماعة المستشرقين الذين قتلوا هذا الموضوع خَبَراً وخُبْراً ولا سبيل الى هدمهِ ، بل لا مطمع في الزيادة عليهِ قيد شعرة . - الى كلام طويل مُمِلّ لا محل لايرادهِ هنا ، لأن الشاب كان مفتوناً بمذاهب أهل الغرب وباحثيهم ، كسائر أبناء الشرق ، حين يتصلون لأول مرة بأناس غير أناس وطنهم ، وبأفكار غير أفكار قومهم . لا بل ما كان يريد أن يسمع برأي جديد لم يذهب إليهِ الافرنج ، أو لم يقل بهِ الافرنج ، أو لم ينص عليهِ الافرنج ، أو لم يمرّ بخاطر الافرنج ؛ فهو من عَبَدة الافرنج لا غير ، أصابوا أم أخطأوا ، ولا يريد أن يحاكمهم بأي شيء كان . وكان يقول : ليس أدنى صلة بين اللغة الضادية وأي لغة يافثية قديمة أم حديثة ، كالهندية الفُصحى ، واليونانية ، واللاتينية ، والفارسية القديمة ، كالفهلوية ، والزندية ، والدَرِيَّة .

فقلتُ لهُ : يا سيدي ، ان الحقيقة ابنة البحث . فان أنت اختلفتَ إليَّ مراراً عدة ، فانك تعدل عن رأيك هذا الى رأيي ، وعن تصلبك في مخالفتك اياي ، وتنقلب آخذاً بفكري ، من غير أن أمنعك من أن تشايع المستشرقين في بعض آرائهم الصائبة ، والتي أنا أوافق عليها أيضاً .

فكان يأتيني في مكان ناءٍ عن كل زائرٍ ، لا يدري بهِ أحد . وكنا قد اتفقنا على الاجتماع فيهِ أياماً وساعاتٍ معلوماتٍ . فكنا نتجاذب أطراف الجدل في جوٍ يسود فيهِ الهدوء ، والطمأنينة ، وحرِّية الفكر ، والقول ، وليس ثمَّ من يزعجنا ، أو ما يزعجنا .

ومن غريب أمر هذا الشابّ المتنوّر ، انهُ كان يأبى أن يزورني ، وأنا في الدير ، لاسبابٍ لم يَبُحْ لي بها ؛ مع انهُ كان نصرانيًا دَيِّنًا . فتركتهُ وشأنهُ ، وجاريتهُ في هواهُ : فكنا نجتمع في المكان القصيّ عن المدينة وأهلها ، وكان الحديث يجري ببعض الايام ساعاتٍ طوالاً ، ونحن لا نشعر بانسلالها من أيدينا .

وكان صاحبي الشاب يُحسن الهندية الفصحى ، والانكليزية ، كأنهُ أحد أبنائها ، ويكتب بها ، ويتكلم ، ويخطب بها بسهولة عظيمة،وكذلك كان يتقن الفارسية وهي لغة أغلب علماءِ الهنود الذين يتفرغون للعلوم والدروس العالية . وكذلك كان يحسن العربية ويجيدها كانهُ أحد أبناء العرب ، إلا انهُ كان في لسانهِ شيء من اللكنة، لا سيما في أحرف الحَلْق كالحاء ، والعين ، والقاف . ويشدو شيئًا من الالمانية،واليونانية،والرومية. وهو من بيت عريق في الشرف ، غنيّ ، ثريّ ، نبيل ، يمكّنهُ من الدرس ، والتفرُّغ لهُ ، من غير أن يخالف أوامر والدهِ . فكان كلُّهُ للتخصُّص في معارضة اللغات ، بعضها ببعض ، على الاساليب الحديثة العلمية ، الجارية في ديار الغرب ، في عهدنا هذا ، وعلى ما هو متعارف عند أهل البحث ، والامعان في التحقيق .

وفي أول بحثهِ معي ، كان يكاد يقتلني قتلاً ، لمخالفتي إياه في رأيهِ ، ومخالفتهِ إياي في رأيي . فقلتُ له : لا يتمّ التحقيق بالغضب ، والتهوّر ، والتسرُّع في الكلام ؛ ان الحق يَنجلي لمن يمتاز بالصبر والجَلَد ، ولا يحتقر رأي من يخالفهُ ، ولا يتهكم منهُ ، بل يجدُّ كل منا في إقناع صاحبهِ بالتي هي أحسن . فانكسرت حينئذٍ سورة غضبهِ ،

وزايلتهُ حدَّتهُ ، وأخذنا نتباحث في الهدوء ، والراحة ، والسكينة ، والوقار ، واحترام كل منا رأي صاحبهِ .

وفي مطاوي بحثهِ معي ، أظهرت لهُ أن رأيي حديث بلا شك ولا ريب ، لكنهُ قائم على قواعد راسخة لا تتزعزع ، وعلى أحكام هي وليدة سُنَنٍ بيِّنةٍ واضحةِ المعالم . فاذا أخذ بها الباحثُ الصادقُ النية والطوية ، الخالي من كل غرضٍ وسوء قصدٍ ، ومن كل سبقٍ في الوهم ، وروح المعاداة ، أدَّت بهِ مساعيهِ إلى أحسن النتائج ، وأبهجها للخاطر .

أما المستشرقون ، فانهم لا يريدون أن يكون بين العربية وبين لغاتهم أدنى صلةٍ ، أو مجانسة ، أو ملابسة ، أو مشابهة ، خوفاً من أن يقال لهم ، أو أن نقول لهم نحنُ العربَ : بيننا وبينكم ، يا قوم ، لحمة نسب قديم ، وصلة رحم ؛ وهو مما يتبرأون منهُ ، وينبذونهُ من مسامعهم ، بل ينفضون ثيابهم عند سماع هذهِ الكلمات ، كأنها تدنِّسهم ، وتدنِّس ثيابهم ، بل لا يريدون أن يتصوَّروا مثل هـذه الفكرة ، الهادمة لأبنيتهم المتصدّعة المتشعثة ، تلك الأبنية التي أقاموها منذ أن وضع أُسُسها إمامُهم الألماني الكبير مَكْس مُلَّر .

ثم أخذتُ أسرد له ألفاظاً لا تُحصى ، مُؤيِّداً لهُ إياها بالأدلَّةِ الناصعة ، والبراهين النيِّرَةِ ، ومُبَيِّناً لهُ أن هذهِ الكلمة العربية ، هي عَيْنُ الكلمُ اليونانيةُ ، أواللاتينية . وأنا لم أذكر لهُ سوى ما كان منها أُحاديَّ الهجاء ، أو ثُنائيَّهُ لا غيرُ ، ولم أتجاوز هذا التركيب ؛ لأني أقفُ عند هذا الأُفُقِ من فقهِ اللغة ، ولا أذهب الى أبعدَ منهُ . وكنتُ قد نشرتُ بعض ذلك في الصُحُف والوَضائع والمجلاَّت .

وثابرنا على عقد مجالسنا زُهاءَ ثمانيةِ أشهر ، في جَدَلٍ لا يخرج موضوعهُ عما توخَّيناهُ من البحث . وفي الآخر – ومن بعد أن بلغت روحي التراقي – ، وافقني على رأيي ؛ فلم يذهب سعيي سدًى ، لأنهُ أصبح أحد كبار الدُعاة اليهِ ، بكل إخلاص

وصدق نية ، وبذل نفس . فنشر في مجلة ديارهِ الهندية ، وصحفُها عدة مقالات ، أثبت فيها صحة هذا الرأي الحديث ، ودعا أهل وطنهِ الى الأخذ بهِ ودراسة العربية الفصحى ، لأنها « أمُّ اللغات ومفتاحها المُحكم » والتي لا يستغني عنها من أراد التفرغ لمقابلة الألسنة بعضها ببعض ، والتوغُّل في حناياها ، وخفاياها ، وزواياها .

ورحل بعد ذلك الى ديار الغرب ، وجوَّل تجويلاً في فرنسة ، وأسبانية ، وإيطالية ، والمانية ، والنمسة ، وبلجكة ، وهولندة ، وانكلترة ، وجالس كثيرين من متقني اللُغى الشرقية والغربية . فدافع عن رأيي أحسن دفاع ، بل دَافع عن الحق والصدق ، ونافح عنهُ كأنهُ صاحب الرأي ، وواضعهُ ، ومبدعهُ ، وليس كالآخذ برأي رجلٍ آخر سبقهُ ، اليهِ أو وضعهُ قبلهُ .

وقد كانت كلمة المستشرقين أواجوبتهم - على اختلاف قومياتهم ولُغَاهم وديارهم - لهذا الأديب الفاضل الهندي واحدة في المآل ، وان اختلفت في المبنى . وهي : أننا لا نرى أدنى صلةٍ بين العربية وسائر اللغات اليافثية ، ولا أدنى مناسبة بيننا وبين الناطقين بالضاد . فكان يجادلهم في الموضوع على حدّ ما كان يقارعني لما كان في بغداد، لكنهُ كان كمن يكلم الموتى ، لأنهم كانوا يصمُّون آذانهم عن سماع أدلتِّهِ . وفي الآخر ، أشاروا عليهِ تصريحًا أو تلويحًا بأن يقطع عنهم زيارتهُ إياهم ، أو ما يشبه هذهِ الاشارة ، بتصرفهم مع هذا الاديب الفاضل الكامل الآداب ، فعجب من آداب أولئك العلماءَ الأفاضل ، آداب لم يكن يتوقعها منهم .

لم أستَغرِب ما أخبرني بهِ الاديب الهندي ، وقد عاملتني لجنة تحرير المجلة الخاصة بمجمع اللغة العربية الملكي في مصر مثل هذهِ المعاملة ، بل أقسى منها ، مع أني أحد أعضائها .

فقد كنت أنشأتُ ثلاثَ مقالاتٍ ، موضوعها البحث في مقابلة العربية باللغتين المؤتمتين اليونانية واللاتينية ، ودفعتها الى رئيس لجنة التحرير، فأَطْلَعَ عليها المستشرقين

أعضاءَ المجمع ، فلم يقرُّوها ، وقالوا : هـذا موضوع خياله أكثر من حقيقتهِ ، أو مايقارب هذا المعنى . فأعادها إليَّ رئيس اللجنة وهو لم يقرأ منها كلمة واحدة ، وكذلك لم يفعـل شيئًا المستشرقون ، اذ لم يقفوا على كلمة واحدة منهـا ؛ بل اجتزأوا بمعرفة العنـاوين والموضوع ، فلم يستحسنوا شيئًا منها ؛ بل سخروا من البحث ورذلوهُ ، وهكذا نُحَكِّم الأجانب في أمورنا جميعها ، ونسلّطهم علينا وعلى لغتنـا ، وندخلهم في صميم شؤوننا ، ولساننا ، وقوميتنا ، ونسـلمهم قيادنا ، ثم نشكو أمرنا الى الله وأنبيـائهِ ورسلهِ ، ونتأسف ، ونتحَسَّر ، ونطعن بذا وذاك ، ونلقي الملامة على الناس ، وما اللوم والعتب إلا علينا نحن الضعفآء في كل شيء .

ثم إني فَرَّقتُ تلك المقالات الثلاث على ثلاث ، من الصحف والمجلات ، وما انتشرت بين الأدبآء والعلمآء ، حتى جاءتني رسائل عدة تسـتزيدني في البحث ، وتستحسن الموضوع ، وتُلِحّ عليَّ بمتابعتهِ ، ونشرهِ في كتاب قائم بنفسهِ ، ليستفيد منهُ أولو العرفان ، ومن لم يطالع ، أو لا يطالع الجرائد ، ولا الموقوتات .

فأين هذا الصنيع من إساءَة المجمع إليَّ ، وأنا أحد أعضآئهِ ؟ فعلى من الملامة ؟ - أعلى الأعضآء العـرب أم على المستشرقين ؟ - فعندي أن اللائمة على الأعضآء العرب ، أو لا أقلَّ من أن تقع على لجنة المجلة ، ولا سيما على رئيسها ، اذ لم يفحص الأمر بنفسـهِ ، ولا على يد أحد أعضآء لجنتهِ ، ولا على استشـارة أعضآء المجمع الموقَّر ، فحكم على إهمال نشرها ، من اشمئزاز المستشرقين من معالجـة هذا الموضوع - وكيف لا يشمئزُّون منهُ وهم أصحاب الغرض فيهِ - . ولا يريدون البتة أن يمسَّـهُ أحدٌ ، ولو من بعيد .

فلو كانوا مصيبين في رأيهم ، لأذنوا بنشرها ، ثم عمدوا الى تزييفها ، أو تفنيدها ، فحينئذٍ نؤمن بعلمهم ، ووقوفهم على أسرار العربيـة ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، بعد ان أسلمنا أمورنا الخاصة بنا الى أيدي الأجانب .

ولا أريد أن استرسل في الكلام أكثر من هذا ، وان كان المجال ذا سعة ؛ إلا أن الموضوع جافّ يابس ، ناشف ، لمن لا يتفرَّغ لهُ ، ولهذا أقف عند هذا الحدّ ، طالباً منكم العفو والصفح ، متوقعاً مع كل ذلك أن يقوم بينكم من يحاول طرق الموضوع ولو على سبيل الفضول والتبسُّط في الآداب واللغة . وعسى أن لا يخيب في مسعاهُ .

٤٠ . خاتمة

هـذا آخر ما أردنا أن نكتبهُ في هذا الموضوع ، ونحن نتقبَّل بصـدر رَحْب ، وقلب شاكر ، كل نَقْد أو تهكُّم يرسل بهِ الينا ، إذ الكمال لله وحده » !

تصحيح أغلاط

وقع عدة أغلاط في ضبط بعض الألفاظ ، ولا نريد أن نتعرّض لتصحيحها ، اعتماداً على نباهة المطالع ، اذ لا تخفى على الشادِين في الادب ، فكيف على الممعنين فيهِ ؟ - ونحن نعتذر اليهم على كل حال .

فهرس اول الفصول والموادّ

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس ثان يحوي أسماء الحيوانات الواردة في هذا الكتاب

(١) البَجَعُ

كثيراً ما خَلط الكتاب ، والادباء ، والنقلة ، والمترجمون ، اسم هذا الطائر ، بما يشبهه بعض الشبه ، (بالفوق) – راجع ما حققناهُ هنا في هذا الفهرس – او (اللَّقْلَق) .

ونحن نذكر هنا ما يتعلق بالبَجَع ، فاننا لم نجد من عرف حقيقة هذا الطائر إلا النفر القليل ، والسبب هو : ان اسمهُ يختلف باختلاف الديار العربية . فأهل الشام يُسَمّون (اللَّقْلَق) (بجعًا) [كذا] وعليهِ درج صاحب دائرة المعارف ، فانهُ وصف (البجع) وصفًا يوافق مرةً (اللقلق) ، ومرة (البَجَع) . فجاء هذا الطائر في تلك الدائرة ، يدور مع أصحاب البلاد المختلفة ، أو قُل : جاءَ طائراً ، لا هو (البجع) ولا هو (اللَّقْلَق) .

وأهل مصر الأقدمون يسمونهُ (الكُيّ) بضم الكاف وتشديد الياءِ (راجع

ابن البيطار في (البَجَع) و (الحَوْصَل) وقد ذكر نَقَلَتُهُ الى الالمانية والفرنسية أنهُ هذا الطائر العظيم الحَوْصَلة ، أي pélican وهذهِ التسمية الفرنسية مأخوذة من اللاتينية PELLICANUS أو PELECANUS وكلتاهما من اليونانيـة πελεκάν,ανος المشتقة من (فَلَقَس) πελέκυς أي القدوم . وعندنا أن الهَلَّانية فَلَقَس من العربيـة (الفالق) ، لأن العوام تزعم أن هذا الطائر الجليل ، يشق صدرهُ شقًا ليطعم فراخهُ ، أو ليغذيها من دمهِ .

أما الحقيقة فان هذا الطائر يخرج غذآء أولادهِ - وهو اللِّبَأ على ما سَمَّاهُ الجاحظ - من صدرهِ ، على حدّ ما يفعلهُ بعض الطيور ؛ إلا ان هذا الامر يبدو أظهر في البجع ، لانهُ أكبر حجمًا ، وحوصلتهُ بيّنة لكل ذي عينين ؛ فاطعام فراخهِ من لِبَاءِ أبيَن للناظرين ، وأعظم تأثيرًا في نفوسهم من سائر الطير .

والقول بأن (البجع) يُغذي أولادهُ من دمهِ ، كان شائعًا عند الاقدمين ، من الغربيين والشرقيين ، ولا سيَّما عنـد أبنآء القرون الوسطى ؛ ولا يزال ثَمَّ اناس على هذهِ العقيدة إلى وقتنا هذا ، فان صاحب المعجم المسمَّى (دليل الراغبين ، في لغـة الآراميين) في الصفحة ٦٩٧ ، في الكلام على الطائر المسمَّى بالارميَّة (قَقَّا) ما هذا نقلهُ بحروفهِ :

« قَقَّا : قيق . ابو زُرَيْق . بجع . طائر مائي أبيض في صدرهِ حُمْرة ، يحب فراخهُ حبًا شديدًا ؛ فاذا مات أحدها ، يشق صدرهُ ، ويرش عليهِ من دمهِ ، فيعيدهُ حيًا . ولذا قد شُبّهَ بهِ السيّد المسيح » اه .

ففي هذا الكلام عدة أوهام : الاول ، ان ليس في صدرهِ حُمرة . - الثـاني ، ان حبهُ لفراخهِ كحبّ سائر الطير لفراخها . - الثالث ، لا يشق صـدرهُ ، بل يخرج اللِبَأ من صدرهِ كما تفعل بعض الطير ، وانمـا ذهب العوام الى هذا الوهم ، لأن اسمهُ الارمي يشبه مادة (قاءَ بقيء) العربية بمعنى القيء ، وهو إلقاء ما في الصـدر (أو

المعدة) من الطعام والشراب ، كأنهُ عند زِقّهِ فراخهِ يخرج ما فيـهِ لها . - الرابع ، اذا ماتت الفراخ فلا طمع في إحيائها ، بدم الأب ولا بسائر الادوية - الخامس ، ان القيق غير ابي زريق وهذا غير البجع .

فالارسية (قَقًّا) هي البجع دون سـائر اللفظين ، وكذلك (القَاتْ) عند العِبْرِيِّين .

ومن أسماء البجع التي لم نذكرها في صدر هذا المقـال : (العُلْجُوم) و (جَمَلُ المآء) ، وقد وردت في بعض الكتب (حَمَل المآء) بالحآء المهملة ، وهي غير صحيحة ، و (ابو جِراب) و (السَقَّاء) وزان شـدَّاد ، لحَوْصَلتِهِ التي تشبهُ زق السَقَّـآءِ . وعوامّ أهل العراق يسمونهُ (نُعَيْج المآء) .

وكان المصريون يُسَمونهُ في سابق العهد (بجمَا) و (كُياً) وقد ذكر لي الاستاذ النـابه مصطفى افندي جواد ، فكتب إليّ في ٢٠ / ١ / ١٩٣٨ من باريس يقول لي: « قال في مسالك الابصار في حوادث سنة ٦٨٢ للهجرة : « وفيها ، رمى السلطان الملك الصالح علآء الدين عليّ بن الملك المنصور قلاوون ، بجماً بجهة العبَّاسيَّة بالبندق » ا ه . ثم قال الاستاذ المذكور ما هذا نصُّهُ :

« وقال مؤلف (تشريف الايام والعصور ، بسيرة الملك المنصور) في حوادث هذهِ السنة نفسها : « ذِكْرُ خروج مولانا السلطان الملك الصالح ، والملك الاشرف ، للصَيْد ، وصَرْع مولانا السلطان لِكُيٍّ مباركٍ . في رابع عشري شوال من هذهِ السنة خرج مولانا السلطان الملك الصالح ، وأخوهُ المتولّي ، الملك الاشرف للصَّيد . . . الى جهة العبَّاسيَّة . . . صرع مولانا السلطان الملك الصالح كُياً مباركاً . » ا ه ما نقـلهُ لنا حضرة الاستاذ المصطفى .

فهذان اسمان مُختَلفان لمسمّىً واحد . وكانا معروفين في المائة السابعـة في ديار مصر ، لهذا الطائر الضخم ، (الحوصل) ، فهما حرِيَّان بأن يقيّدا لمعرفة لغة ذلك العصر .

وأما اشتقاق لفظ (البجع) نفسهُ فاما أن يكون من بَجَعَهُ ، أي قطعهُ بالسيف ، وهنا سيف الطائر منقارهُ ، لانهُ يُشبِه السيف حقيقة ، فيؤيد الرواية المشهورة من شقّ صدرهِ لاطعام فراخِهِ ؛ واما تصحيف مقصود قصداً عَمْداً ، « من فجعَهُ ، أي أوجعهُ ، لانهُ يوجع نفسهُ بعملهِ المذكور . وقد قالوا ان الفَجّع ان يُوْجَعَ الانسانُ بشيء يَكْرُمُ عليهِ فيعْدَمَهُ » (القاموس) فتصحّ أيضاً على هذا الطائر الرواية المذكورة . والله أعلم بالحقائق .

وأما (اللَقْلق) فطائر آخر معروف بالعراق بهذا الاسم حكاية لصوتهِ . وأهل فلسطين ، ولا سيما في جهات حيفا ، والكرمل ، والناصرة ، يسمونهُ (ابو سَعْد) بفتح السين ، وآخرون يصغرونهُ فيقولون (ابو سْعَيد) لكن باسكان السين وفتح العين ، وهم كثيراً ما يصغرون بعض الاسماء على الوجه المذكور . واللقلق كان معروفاً عند عوام العراقيين في عهد العباسيين بـ (أَبِي حُدَيْج) وكان أهل الاندلس يسمونهُ (فَالَوْغَس) بالغين ، وفي كتاب مفردات ابن البيطار جاءَت بالعين المهملة . وأهل شمالي افريقية يسمونهُ (البَلَارج) . وهذه الاسماء الثلاثة الاخيرة من اليونانية PELARGOS ولليونان لفظة أخرى لهذا الطائر تشبه العربية وهي LOKALOS وهو بالفرنسية CIGOGNE و بالانكليزية STORK . وللعرب اسم طائر آخر هو اللغلغ وهو غير اللقلق على ما حققناهُ ، بل أول من حققهُ بأدلة لا ترد الاستاذ الجليل مصطفى افندي جواد .

(٢) القوق

أغلب الادباء الذين كتبوا على هذا الطائر ، لم يهتدوا الى حقيقتــهِ ؛ ولا سيما النقلة الذين ترجموا التوراة ، منذ أقدم العهد الى عصرنا هذا . وكذلك قُلْ عن نقلة كتب الاعاجم الى لساننا الفصحى . فانهم خلطوا بينهُ و بين (البجع) ، و بينهُ و بين (اللَقْلَق). ونحن نذكر هنا ما يتعلَّق بالقوق :

اننا قلنا في ص ٤٨ من هذا الكتاب ان (القوق)- ونزيد عليها هنا (القُقْنُس) أو (القُقْنُوس)- هو نفس الطائر المسمَّى باليونانية KYKNOS ، أو الرومية CYCNUS ، أو الفرنسية CYGNE . وهو طائر من بنات الماء من القواطع وقد يكون من الاوابد ، طويل العنق ، عريض المنقار . والنوع المشهور منهُ ، أبيض الريش ، و بياضهُ يقق . ولهذا سمي أيضًا بالعربية (قيق) ، مقلوب (يقق) ، أي الابيض الناصع البياض . وقد اشتهر عند الغربيين بِـ (قُوق مَنْطُو) وهو (قِرْجِيل) ، و (قوق كَمْبِرِيْ) وهو (فَنَاُون) .

وقد عدل أغلب الكتاب من النقلة عن كتابة (القُوقْنس) ، بصورة (القُقْنُس)، لمشابهتهِ لاسم طائر آخر ، لكنهُ خرافي : وهو (القَقَنَّس) أي phénix . وقد جاء عنهُ في تاج العروس ما هذا نصاب نَصّهِ :

« القَقَنَّس ، كعملَّس ، أهملهُ الجماعة . قال الدميري في حياة الحيوان : هو طائر عظيم ، بمنقارهِ اربعون ثقبًا ، يصوِّت بكل الانغام والالحان العجيبــة المطربة . يأتي الى راس جبل ، فيجمع من الحطب ما شاء ، ويقعد ينوح على نفسهِ أربعين يومًا ،

ويجتمع اليهِ العالَمُ يستمعون اليهِ ويتلذَّذون بحسن صوتهِ ؛ ثم يصعد على الحطب ، ويصفق بجناحيهِ ، فتنقدح منـهُ نار ، ويحترق الحطب والطـائر ، ويبقى رَمَاداً ، فيتكوَّن منهُ طائر مثله » . ذكرهُ ابن سينا في الشفاءِ والعهدة عليهِ .

« وقد ذكروهُ في شرح قولهِ : « والذي حارت البريّة فيه » . بيت التلخيص، وشرحهُ في المطوّل وحواشيـهِ ؛ وكأنهُ سقط من نسخة شيخنا فنسب المصنف الى القصور ، وهو كما نرى ، ثابت في سائر النسخ .

« وقال القزويني : « هو (قوقيس) ، ثم ذكر قصتهُ بمثل ما ذكرها الدميري، وزاد : « فاذا سقط المطر على ذلك الرماد ، تولَّدَ منـهُ دود ، ثم تنبت لهُ أجنحة ، فيطير طيراً ، فيفعل كفعل الاول من الحك والاحتراق » اه كلام الشارح .

قال الأب أنَسْتَاسُ مَارِيّ الـكِرْمِليُّ : إني لم أجد في كتاب القزويني والدميري إلا (القوقيس) وذكرا القصة على ما يضاهي الرواية المنقولة عن التاج .

وقد وردت (الفنقس) بصورة (بَنْجِس) في كتاب البلدان ص ٢٠٧ من طبع الافرنج . فالبنجس إذن ، هي أقدم صورة للكلمة (فنقس) لأن صاحب الكتاب المذكور هو ابن الفقيه ، وقد أنشأ كتابهُ في سنة ١٨٩ للهجرة (أي ٩٠٢ للميلاد) .

وقد صحف أدباَء الترك الاقدمون (الفَنِقْس) أو (القَقَنَّس) نقلاً عن بعض كتاب العـرب فقالوا : (قُقْنُوس) و (قُوْقْنُوس) و (قُوُقْنُس) . (راجع المعجم التركي للمستشرق الفرنسي بَرْبيـه دي مَيْنَار) وراجع أيضًا ما كتبناه في المشرق (المجلة البيروتية) ٢ : ٩٢٦ (أي في سنة ١٨٩٩) .

و (القوق) يسـميهِ الشاميون (وز عراقي) وهو واضح الخطأ . والمصريون (التَمّ) . قال في صبح الأعشى : « التَمّ ، بفتح التآء وتشـديد الميم : طائر في قدر الإِوَزّ ، أبيض اللون ، وهو أعظم طيور الواجب ، وأرفعها قدراً (٢ : ٦٤)

وقد وردت روايات أُخر (للقُقْنُس) ، باختلاف نُسخ التآليف ، منهـا :

(القُوقْنُوس) ، و (القَوْقِيس) ، (والفنقس) ، و (الفَقْنُس) ، و (القَقْنُوس) ، و (القُوقش) . والصحيح من هذهِ جميعها (القُوق) ، و (القوْقَنْس) ، و (القَقْنُس) .

وأما بمعنى (الفقنّس) ، فالصواب من اختلاف رواياتهِ : (الفَنقْس) و (البَنجس) . وأما (القَفنَّس) فخطأ ، وان كانت مشهورة ، بل أشهر من سائر اخواتها .

وكنا قد ذهبنا الى أن (القوق) هو (البجع) ، اعتماداً على ترجمة قديمة للتوراة ، نقلها سعيد بن يعقوب الفيوميّ ، المشهور عند الغربيين باسم سعديا المتوفى سنة ٩٤٣ للميلاد ، وتابعهُ في النقل جميع من تأثرهُ من التراجمة ، والنقلة .

والآية التي ورد فيها هذا اللفظ هي هذهِ : « شابهتُ قوق البرّيَّة ، صِرتُ مثلَ بومة الأخربة » (المزمور ١٠١ الآية ٧) . فأراد الناقل بالقوق هنا (البجع) أو (الحَوْصَل) وهو غير صحيح ، والسبب هو : أن هذهِ الآية الزبورية ، نقلها الشيوخ السبعون قبل المسيح بنحو مائتي سنة أو أكثر . وسموهُ باليونانية PELFKANOS (پَلَكَانُس) وهو بالعبرية (قَأَتْ) ، وزان سبب ، بهمزة في الوسط .

وقد أجمع أعظم فريق من علماء اللغات على أن (القَأَتْ) ، هذهِ ساقت كثيرين من المعرّبين الى هذا الوهم . وكنا نحن من الهاوين في هوّتهِ (راجع لغة العرب ٨ : ٣٥٨ الى ٣٦٠) أما الآن فنعدل عنهُ الى الحق ، تابعين فيهِ رأي الاستاذ الجليل (كرلو نَلّينو) - رحمهُ الله - على ما صرَّح بهِ في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق (١٠ : ٦٥ إلى ٧٦٠) .

ومن أسماء (القوق) النمّ (راجع ما حققناهُ في مجلتنا لغة العرب ٨ : ٣٦٠) . وأخذ الفرس منّا اسم القوق فقالوا : (قُو) و (غُو) ؛ والترك ، فقالوا : (قوغو) جامعين بين اللفظين الفارسيين ، أو أنهم صحفوا (القوق) تصحيفاً يوافق لغتهم .
وراجع أيضاً البجع في هذا الفهرس .

(٣) و (٤) اللغلغ غير اللقلق

على ان الاقدمين من اللغويين كانوا يجعلون الواحدُ الآخر، ولا يميزون بينهما، اعتقاداً منهم ان ما كان بالغين لغة في القاف، على ما ورد في كلامهم ا كثر من أن يحصى. فقد قالوا مثلاً: سمعت نَغْية حقّ أو نقية حق، وامتشقهُ كامتشغهُ، وتزيّغ وتزيق، الى آخر ما عندهم. ونرى اليوم في انحاءِ العراق و بعض مُدُن ديار ايران من لا يستطيع أن يلفظ (القاف)، بل يقول دائمًا (الغاف) فلا يمكنهم أن يقولوا (الحقّ)، و (القرآن)، و (القرابة)، بل (الحَغّ)، و (الغُرآن)، و (الغرابة) وكل ذلك غريب. ولهذا كان رأينا مرة ان اللقلق هو اللغلغ.

وفي حياة الحيوان: « اللَغْلغ: طائر أعجمي طويل العنق، وكنيتهُ (ابو حُدَيْج) وعبَّر عنهُ الجوهري بالقاف، وهو اسم اعجمي. قال: وربما قالوا: « اللغلغ »

وفي القاموس في لغغ. « اللغلغ: طائر غير اللقلق » اه. وقال في لقق: « اللَقْلق.... طائر، أو الأفصح اللقلاق. والجمع لَقَالق. » اه

وفي اللسان في لغغ: « اللغلغ: طائر معروف. غيرهُ: اللغلغ طائر معروف. قال ابن دُرَيْد: لا أحسبـهُ عربيًا. » وقال في مادة (ل ق ق): « اللَقْلَق واللَقْلاق

طائر أعجمي ، طويل العنق ، يا كل الحيات . والجمع لقالق ، وصوتهُ اللقلقة ، وكذلك كل صوت في حركةٍ واضطراب » . اه

« وفي محيط المحيط : « اللقلاق : طائر أعجمي نحو الاوزة ، طويل العنق ، وكنيتهُ عند أهل العراق « ابو حُدَيج) وربما قالوا اللغلغ [كذا] ، وهو يا كل الحيات ، ويوصف بالفطنة والذكاء ، ومن ذكائهِ انهُ يتخذ لهُ عشَّين ، يسكن في كل واحد منهما بعض السنة ، وانهُ اذا أحسَّ بتغيُّر الهوآء ، عند حدوث الوبآء ، ترك عشهُ وهرب من تلك الديار . » اه .

على ان البصرآء من علمآء الحيوان من أبناء هذهِ اللغة مَيَّزوا بين اللقلق واللغلغ. فقد قال القلقشندي في صبحهِ (٢ : ٦٣) : « اللغلغ : الثالث من طير الجليل أو طير الواجب . وهو دون الاوز في المقدار ، لونهُ كلون الإوَزّ الحبشيّ الى السواد ، ابيض الجفن ، أصفر العَيْن ، ويعرف بمصر بالعراقي ، ويأتي اليها في مبادىء طلوع زرعها ، في زمن إتيان الكراكيّ اليها . ومن شأنها أن يتقدمها واحد منها كالدليل لها ؛ ثم قد تكون صفًا واحداً ممتداً كالحَبْل ، ودليلها في وسطها متقدم عليها بعض التقدم ؛ وقد يصف خلفهُ صفَّين ممتدين يلقيانهِ في زاوية حادّةٍ ، حتى يصير كأنهُ حرف جيم بلا عراقة ، متساوية الطرفين .

« ومن خاصَّتها ، انها اذا كبرت ، حدث في بياض بطونها وصدورها نُقَطٌ سُودٌ . والفَرْخ منها لا يعتريهِ ذلك . » اه .

كان رأينا في السابق ان اللغلغ لغة في اللقلق ، متأثرين أقوال بعض اللغويين كما ذكرنا قُبَيْلَ هذا . فكتبنا بذلك إلى الاستاذ الجليل المحقق المدقق مصطفى جواد ، وهو اليوم في باريس ، فكتب الينا منها في ٢٠ / ١ / ١٩٣٨ ما هذا نصُّه :

« ... وأما اللغلغ فليس بلغة في اللقلق ، كالذي ذكرتم ، وانما هو طائر آخر ، اشتق اسمهُ من لقلقتهِ . واللقلق هو السبيطر ، كما ذكرت لكم ، وليس بمالك الحزين . قال شارح ديوان المتنبي - وأظنهُ شمس الدين ابن الخبَّاز الإِرْبِلِيّ في قول المتنبي :

وملمومةٍ سَيْفِيَّةٍ ربعيَّةٍ ، تصِيح الحصَا فيها صياح اللقالق

ما صورتهُ ... « واللقالِقُ جمع لَقْلَقٍ ، وهو طـائر يسكن العُمرانَ في أرض العراق ، وهو كثير في قُرَى العراق ... وهو من طيور الجليل . والجليل أربعة عشر صنفًا ... اوزة ، نَمْر ، انيسة ، صَوْغ ، ارنوق [كذا ، لعلها غُرْنُوق] ، الغاغ ، كركي ، عنّاز ، مِرْزم ، عقاب ، سبيطر ، وهو هذا اللقلق» اه . - ثم قال الاستاذ متممًا كلامهُ :

« فهو لم يذكر كل هذا إلا ليؤكِّد ان اللقلق هو السبيطر [وغير اللغلغ] ثم ان الاوصاف تمنع أن يكون السبيطر غير اللقلق . ففي قصيـدة الشاعر العـامي عُمَرَ بْنِ السِفْتِ ، الذي هرب من الامام الناصر لدين الله الى حلب ، وامتنع من الادعاء للامام - بعد وَصْفِهِ (المرزم) في مُخَمَّسِهِ :

وبعدهُ السَبَيْطَرُ المُـكَنَّى ، أبيضُهُ أسْوَدُ ما ذكـرنا
فيهِ لمن قد يَتَمَعْنَى معنى ، مِغْرَزهُ أحْسَنُ ما وصَفْنَا

وقال شهاب الدين محمود الكاتب الحلبي ، الشـاعر المشهور في كتابهِ (حُسْن التوسُّل ، الى صِناعة الترسُّل) في وصفهِ بعد المِرْزَم :

«والتحق بهِ سبيطر ، كأنهُ مُدْيَة مُبيْطِر ، يَنْحَطُّ كالسَيْل ، ويكرّ على الكواسر كالخَيْل ، ويجمع من لونهِ بين ضِدَّيْنِ ، يقبل بالنهار ، ويُدْبِر بالليْل ، يتلوَّى في منقارهِ الأيْمُ تَلَوِّي السَنا في الغَيْم :

تراهُ في الجوِّ مُمتَدًّا وفي فمهِ ، من الافاعي شجاعٌ أرقم ذَكَرُ
كأنهُ قَوْسُ رامٍ عنقـهُ يدهـا ، ورأسُـهُ رأسها والحيَّة الوَتَرُ

فهذا وصف اللقلق وصيدهُ للحيات وطيرانهُ بها الى عُشِّهِ » اه .

« ومن أعجب ما اوكّد لكم بهِ ذلك ، ما ورد في ديوان سِبط التعـاويذي . ونصُّهُ : (وقال في ناظرٍ يلقَّبُ باللقلق ، وكان جماعة من خواصّ الخليفة ، - خلّد الله ملكهُ ، - يخرجون الى معاملتهِ للبرزة [أي للخَرْجة الى الصيد] بطريق الولع بهِ :

يا ابن عبـد الحميـد ، اني نصيح لك فاقبل نصيحتي ووصـاتي :

أنتَ من جملةِ الجليلِ او ما زِلْـ ... تَ كثيرَ الاصحابِ والفلواتِ
فتخيَّشْ في طريقِ خُرَاسَا ... نَ رُمَاةٌ أكرِم بهم من رُماةِ
وتحرَّزْ حِفْظًا لنفسِك مِن وَجْـ ... ـهِ عِشاءٍ فهم ووجه عداة
واعتَصِمْ بالجدار لا تنْأَ عن ... عُشّكَ في مثل هذهِ الأوقاتِ
وتيقَّنْ ان السَبَيْطَرَ لا يُقْـ ... ـصَدُ إلاَّ في مَهْمهٍ أَوْ فلاةِ
أو فَدَعْهَا ولايةً أنت فيها ... غَرَضًا للهُمُومِ والآفاتِ

يقول لهُ : يا فلان اللقاق ، أنتَ من الطير الجليل ، فكيف خرجْتَ من أعالي الجدْران ، وفيها عُشُّك ، فتعرَّضت لأن تُرْمَى ، مع انك لو بقيت على الجدار ، لم يَجُزْ للرامي رَمْيُكَ ، لأن السَبَيْطَر ، أي اللقاق ، أي إياك أعني ، لا يُعَدُّ صَيْدًا جليلاً ، إلا إذا خرج الى المَهْمَهِ والفلاةِ ، وأما وهو على الجدارِ ، فلا .

« وقال الشيخ الامام الفقيه الشافعي ، محمد بن اسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقَّال ، من أهل الظَفَرِيَّةِ ببغداد ، والمُعِيد في المدرسة النظامية ، المتوفَّى سنة ٥٨٨ ، في كتابهِ (المقترح ، في المصطلح) ما نصُّهُ :

« وقد اشترطوا في الاعتداد بالسَبَيْطَرِ ، أن يُصرَعَ في موضع يكون بينهُ و بين الجدران خمس مقامات . » - وقال في موضع آخر : « وأما موضع صَرْعِهِ ، فاعلم أن لا يشترط إلا في السَبَيْطَر ، دون باقي الأصناف . فاشترط الرماة أن يكون بين موضع صرعهِ و بين الجدران خمس مقامات فما زاد . . . وانما اشترطوا ذلك ، لأنهُ يتخذ الجدران سَكَنًا . فاذا قَرُبَ [الرامي] منهُ توقَّفَ في الطيران توقُّفًا يصير بهِ كالمساعد لهُ ، لا كما إذا بعُدَ ، فانهُ يجدّ في طلب مأواهُ ، بخلاف ماعداهُ من الطيور العتيق » اه . ثم قال الأستاذ المصطفى : أما اللغلغ فقد قال فيهِ عُمَرُ بن السِّفْتِ في مخمَّسِهِ :

والقهقريَّات من اللغالغِ ، ... والخَزَرِيْ حُبّي اليهِ بالِغي

والجفن كالمَسْجَدِ عند الصائغِ والقلبُ منْ حُبّي لهُ بفارغ
وبعد ذا حسن المعانيّ اكتمل

يا حُسنهـا تحنّ في صِيَاحِها ، إن هبت النسمة في صباحها ،
حـتى اذا ما نشرت جناحها عند حواشي الفيض في مراحها
هُناك يرتاح لها قلب البطل .

بعقـلةٍ تُشْبِهُ طرف الرِيمِ ، مُسْوَدَّةٍ في غُنْجِها كالميمِ
في مشيها تخطــر كالعظيمِ ، «ان لَغْلَغَتْ» في الصُبح والنسيمِ
تهتف بالأسحار صوتاً لم يُمَلْ .

طول الشِتا تسكن في العِرَاقِ وفي الرَبيع تعزم الفراقِ
تقتلني في حُبهـا أشـواقي ، ثم يصـير الدمع كالمهـراقِ
إذا نأتْ عني وفي الخدِّ هَطل .

وقال في قصيدة أخرى :

هل ذاك بالرقّ ، بالغُوَيْرِ ، أنارَا ، أم أضْرَمُوا بلوى المُحَصَّبِ نارا ؟
وصبا إلى البَرَزَاتِ قلبٌ كُلَّمَا ، طارت بهِ خُزَزُ اللَغَالِغِ طارا !

فـ (اللغلغ) يترك العراق في الربيع ويشتو بهِ ، وهو من بناتِ المآءِ ، وليس من طير العمران ، وليس في الجليل من طيور العمران سوى السبيطر أي اللقلق . ولذلك جعلوا لصيدهِ المقبول الفَتَويّ شروطاً ، وقد تقدَّم ذكرها » اه كلام الاستاذ مصطفى جواد المحقق . ونحن نشكر لهُ هـذهِ الافادات الجليلة التي لم ترد مجموعة في كتابٍ . وقد آثرنا درجها هنا افادة لعلمآءِ الطير من أهل هذه اللغة ، لان الكتب التي ذكرها السرسور المحقق هي من مخطوطات خزانة الكتب الباريسية ، ولم ترد في مصنف مطبوع الى يومنا .

وفي هذا الكلام تحقيق بديع للسبيطر فضلاً عن اللقلق ، واللغلغ ، وطير الجليل ،

ونزيد القراء فائدة أننا سمعنا في أثناء إقامتنا على جبل المُحْرَقَة ،(وهو ذُؤابة الـكِرْمِلِ)، في سنة ١٩٢٤ – ١٩٢٥، كلمة اللُغْلُغ بضم اللامين كهُدْهُد.

وقد سبقنا فقلنا أنهم يسمون اللَقْلَق أوالسَبَيْطَر (أبوسَعَد) بفتح السين والعين، أو (أبو سْعِيد) باسكان السين وكسر العين لا بفتحها ، ولا يعرف الفتح الا القليلون .

وليس هنا مكان هذا المقال الطويل العريض،إنما دوّناه للاحتفاظ بهِ ، ورداً على كثيرٍ مَنْ كتبوا في هذا الموضوع ، وخبطوا فيــهِ خبط عشوآء ، ولا نريد أن نسمي أحداً ،فانهم فيأغلاطهم الجريئة، ومماحكاتهم الوقحة ، ومجادلاتهم الفارغة ، واحتقارهم للنـــاس ، غنًى عن ذكرهم بأعيانهم .

فائدة فى الطيور المـُلْقِمَةَ

بقي علينا أن نذكر هنا فائدة لغوية ، تتعلق بعلم الطيور وهي هذهِ :

ذكرنا في كلامنا على (البجع) انهُ يطعم فراخهُ والآن نقول أن هذه الطيور التي تفعل ذلك (كاللقلق أو السبيطر ، والحبارج) ، والعصفور تُسَمَّى: (المُلْقِمَة)، بضم الميم، واسكان اللام ، وكسر القاف وفتح الميم وفي الآخر هآء . وقد جاءَت هذهِ اللفظة في لسان العرب مصحفة بصورة (الملعمـــة) في مادة (حبرج) قال : « ابن الاعرابي : الحبارج : من طير المآءِ » اه . فسألت السيد محمود السيد شكري الآلوسيّ عن معنى (المُلَعَّمة) فكتب إليَّ يقول : الملعمــة تصحيف قبيح (للمُلْقِمَة) وهي الطيور التي تُلْقِمُ فراخها القاماً ولا تزقها زَقّاً . اه . قلنا يؤيد هذا الرأي ما قالهُ الجاحظ في كتاب (الحيوان) ذاكراً أقسام الطير ، قال:« ومنها. . . والمشترك عندهم كالعصفور فانهُ ليس ذي مخلب معقف ، ولا منسر ، وهو يلقط الحب ، وهو مع هــذا يصيد النحل ، اذا طار ، ويصيد الجراد ، ويأكل اللحم ، ولا يزق فراخهُ كما تزق الحمام ، بل يلقمها كما تلقم السباع من الطير فراخها وأشباه العصافير من المشترك كثير» اه .

فهذهِ فوائد فرائد لا يستغني عن الوقوف عليها كاتب ولاعالم أيًا كان .

فهرس ثالث للكتب والرسائل والصحف والمجلات من مطبوعة ومخطوطة

فهرس رابع للمواضع من مدن وبلاد وبحار وانهار وجبال واودية

فهرس خامس لأعلام الرجال والأقوام ولغاتهم

فهرس سادس يحوي الألفاظ اللغوية والقواعد الصرفية والنحوية
(ويعتبر فيها الحرف الزائد كالأصيل لتسهيل العثور عليها لأول نظرة) .

﴿ ب ﴾

﴿ ذ ﴾

﴿ ض ﴾

﴿ ط ﴾

﴿ غ ﴾

﴿ ق ﴾

﴿ م ﴾

NOTUS (L.)	نطاميّ ، نَطْس نَطِس، نطيس نُطُس ٤٤
NUDUS (L.)	نضيّ ، نِضو، عريّ ٥٩
ôdè (G.)	حُدَآء ١٦٠ و١٦١ - عُوذَة ١٦١
ôkeanos (G.)	أوقيانوس،أقيانس،أقيانوس،أوقيانس،قاموس،افريدوس،قَيْنَس ٨٣
OMPHAKION (G.)	فاق ، انفاق (زيت الزيتون غير الناضج) ٤٨
ORARE (L.)	عَرَا ، عَرّ ، صَلّى ٥٩
ôsteos (G)	أُسْطَاس ، نِسْطَاس ٤٦
PAKTOS (G)	فاق (بمعنى منضود ومرصوص ٤٧)
Paktuè (Gr.)	فاق (اسم صحرآء) ٤٨
PANIS (L)	فام ٧٦
PAPIER	قرطاس ، ورق ، كاغد ، برديّ ٨٠
PAPYRUS	برديّ ١٢٧
PARADEISOS (G.)	فردوس ، ج ، فراديس ، بستان ، جنة
PASSER (L.)	عُصفور ١٢٢
PASSEREAU	عُصفور ١٢٢
Pélican	مجع ٧٨ و٧٩
PERA (L.)	بالة ، جِراب ١٣٨
PES, PEDIS (L.)	(فُدْع) رِجْل ، قَدَم ١٠٢
PHALAINA (G)	فال ١٣٧
PHIALA (L.)	بالة ، قارورة ١٣٨
Phielè (G.)	بالة ، قارورة ١٣٨
PHYSIOLOGIE	علم مظاهر الحياة ، علم الخِلْقَة ٩٨
Préfixe	تصدير ٣

معجم

يحوى الألفاظ المكتوبة بالحرف الرومانى ،

من فرنسية ، ولاتينية ، وانكليزية ، ويونانية .

تنبيه : الحرف L يدل على ان اللفظ لاتيني — . والحرف A يدل على انه انكليزي — . والحرف G يدل على انهُ يوناني او هلني — . وما لا علامة لهُ فهو فرنسيّ . وما لا رقم وراءه فهو من الزيادات لايضاح الكلمة على وجهٍ لم يذكر في مطاوي الكتاب .

ABSINTHIUM (L) إصْفَنط ، إسْفَنْط ، إصْفَد ، إصْفَعْد ، إصْفَعِنْد ، إصْفَعِيد ٣٨

AEGYPTIUS (L) قِبْطِيّ ٤٨ مصري صميم

AFFIXE مُطرِّف ٣ حرف يزاد في طرف الكلمة أي اما في الأَول واما في الآخر .

aiglè (G) عَقَّة ٥١ (البَرْقة المستطيلة في السماء)

AMELGEIN (G.) مَلَح ، حَلَبَ ٧٢ مَلج (المَلْج اللبن وتنقلاتهُ في اللغات الغربية)

ANASTASIOS (G) أَنَسْتَاس . نِسْطاس ، أَنَسْطَاس (معناها البعيث) ٤٦

athèlus (G) عُتُلّ ٨٦ (الغليظ الجافي)

ASTROLABE أَسْطُرْلاَب ، أَصْطُرّلاب ٣٧ و ٣٨ (آلة فلكية)

AUGMENTATIVE (PARTICULE) مُفَخِّم ٣ حرف موسّع للكلمة

BAD (A.) بَيْد ، رَدِيء ٧٠ سيّء ، غير جيد

BALAENA (L) بال ، فال ، اول ، أوَال ، افال ، شال ، آل ، والي ، أوْل أوْك ، وَاك ، أَكْيَال ، بَالام ٨٢ ، ١٣٧ (حوت عظيم)

ὑβός, bosse. Etymol. inconnue. En arabe قُبَّة (Kubbah) signifie construction en bosse, bosse. Le ὑ avec l'esprit rude représente toujours en arabe une lettre gutturale, ك ou ق Ici, ὕ correspond à un ق.

ὕβρις, orgueil, insolence, fougue, ardeur excessive. Arabe كِبْر (Kibr) signifie le même sens exactement. Ici ὕ = ك.

Je cite pour le latin les mots qui suivent : SANTIS, IS, Ronces, buissons. Ar. سَنْط. (SANT), arbre épineux

Sero, is, sevi, satum, serere. Semer. Ar زرع (Zara'), même sens.

Sequor, eris, secutus sum, sequi. Suivre. Ar ساق (Saq). Même sens.

On pourrait multiplier les exemples dans les langues grecque et latine, mais ce serait bien inutile. Ce que je viens d'indiquer, est chose acquise à la science étymologique, et ne saurait être mise en doute. Pour le prouver, j'ai composé deux dictionnaires, l'un grec et arabe, l'autre latin et arabe. Je me contente d'exposur ici ce qui est le fruit ou le résultat de mes longues études dans le domaine indiqué.

Le Père Anastase - Marie de St Elie,
O. C. D.
de l'Académie Royale de Langue arabe
au Caire.

CE QUE VEUT ÊTRE CE LIVRE.

Le but de la présente étude est de mettre sous les yeux des amis de la langue arabe, un aperçu général, et comme à vol d'oiseau, de la formation, du développement et de la fixation de cette langue.

Je n'ai pas grand mérite à présenter ce travail, ou plutôt mon unique mérite est d'avoir coordonné les travaux de plusieurs auteurs, de les avoir condensés, afin de les présenter ainsi au public, dans un ordre méthodique.

Je suis arrivé à établir le fait que voici: à l'origine de l'arabe comme de toute autre langue d'ailleurs, les mots, d'une seule syllabe, ont été formés par onomatopée. A cette unique syllabe en ont été bientôt adjointes une on deux autres, selon la nécessité, afin d'ajouter une nouvelle idée à la première. C'est là une assertion admise aujourd'hui par tous les lexicologues.

Mes études m'ont paralèllement conduit à une autre constatation: on trouve dans la langue arabe, des termes monosyllabiques qui correspondent exactement, quant au sens, aux mots latins ou grecs, d'une ou deux syllabes, mots qui n'ont point pareil équivalent dans les autres langues. Ainsi le savant Emile Boisacq avoue n'avoir trouvé aucun pendant au mot τυννός, qui veut dire petit, tout enfant, rachitique. Or تَنّ ou تِنّ (tann ou tinn), signifie un enfant qui ne pousse pas, qui est atteint de rachitisme.

LE PÈRE ANASTASE-MARIE DE St ELIE,

O. C. D.

De l'Académie Royale de Langue Arabe.

Nushu' al-Lughati al-arabiyeh wa Numuuouha wa Iktihâluhâ,

(DE LA FORMATION DE LA LANGUE ARABE, DE SON DÉVELOPPEMENT ET DE SA FIXATION.)

SE VEND AU CAIRE

A LA LIBRAIRIE LOUIS SARKIS.

Rue Faggala 53.

A Bagdad (IRAQ),

AU COUVENT DES R R. P P. CARMES.

Imprimé par ELIAS' MODERN PRESS.

CAIRO.

١٩٣٨.